جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد ـ كلية الآداب
قسم اللغة العربية

المباحث الصوتيّة عند الباحثين العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين في كتبهم المطبوعة

أُطروحة تقدّم بها
ماجد عبدالحسين عبّاس الجبوريّ

إلى مجلس كلية الآداب ـ جامعة بغداد
وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة
اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الأستاذ المساعد الدكتورة
لمى فائق العانيّ

١٤٣٨هـ ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الإسراء:٩

الإهداء

إلى..

اللَّذَينِ أعطياني كُلَّ شيء ثـُمَّ رحلا ، لم يريدا منِّي جزاءً ولا شكورًا ..

إلى والديَّ..

وإلى أخي مقداد في جوار ربٍّ كريم..

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن الأطروحة الموسومة بـ(المباحث الصوتية عند الباحثين العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين في كتبهم المطبوعة) لطالب الدكتوراه (ماجد عبد الحسين عباس) قد جرى تقويمها علمياً من قبلي، وأصبحت مؤهلة للمناقشة، ولأجله وقعت.

الاسم: أ. م. د. ميثم محمد علي

التوقيع:

التاريخ:

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ(المباحث الصوتيّة عند الباحثين العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين في كتبهم المطبوعة) جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد، وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللُّغة العربية وآدابها.

التوقيع :

أ.م.د. لمى فائق جميل العاني

٢٠١٧/ ٤/ ١٠

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشّح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

أ.م.د. عقيل رحيم علي اللامي

رئيس قسم اللغة العربية

٢٠١٧ / ٤/ ١٠

إقرار لجنة المناقشة

نشهد ـ نحن لجنة المناقشة ـ بأنّنا ناقشنا الطالب ماجد عبدالحسين عبّاس الجبوريّ في أطروحته الموسومة بـ(المباحث الصوتيّة عند الباحثين العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين في كتبهم المطبوعة)، ونعتقد بأنّها جديرة بالقبول جزءاً من متطلّبات شهادة الدكتوراه في اللّغة العربيّة، بتقدير ( ).

التوقيع:
الاسم: أ. د. خميس عبدالله علي/ رئيساً
التاريخ: ١٦/٩/٢٠١٧م

التوقيع:
الاسم: أ. د. حسن عبدالغني محمد جواد/ عضواً
التاريخ: ١٨/٩/٢٠١٧م

التوقيع:
الاسم: أ. د. علاء جبر محمد/ عضواً
التاريخ: / /٢٠١٧م

التوقيع:
الاسم: أ. م. د. علي حليف حسين/ عضواً
التاريخ: ١٠/٩/٢٠١٧م

التوقيع:
الاسم: أ. م. د. تحسين عبدالرضا الوزّان/ عضواً
التاريخ: ١١/٩/٢٠١٧م

التوقيع:
الاسم: أ. م. د. لمى فائق العانيّ/ المشرف
التاريخ: ١١/٩/٢٠١٧م

تصديق مجلس الكلّية:

صدّق مجلس كلّية الآداب في جامعة بغداد على قرار المناقشة

التوقيع:
الاسم: أ. د. صلاح فليفل عايد الجابري
التاريخ: ٢٠/٩/٢٠١٧

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	أ ـ ت
التمهيد: الدرس الصوتيّ العربيّ	١
الفصل الأوّل: مخارج الأصوات وصفاتها عند الباحثين العراقيين	١٣
المبحث الأوّل: مخارج الأصوات الصامتة	١٤
المبحث الثاني: مشكلة الضاد	٤٢
المبحث الثالث: مخارج الأصوات الصائتة	٥٠
المبحث الرابع: الصفات التي لها ضدٌّ	٥٦

المبحث الخامس: مشكلة القاف والطاء	٦٦
المبحث السادس: الصفات التي لا ضدَّ لها	٧٢
الفصل الثاني: التشكيل الصوتي عند الباحثين العراقيين	٨٦
المبحث الأوّل: المقطع	٨٧
المبحث الثاني: إشكالية الرسم في ضوء الدرس الصوتي الحديث	١١٢
المبحث الثالث: القضايا التطريزية	١٣١
المطلب الأوّل: النبر	١٣٢
المطلب الثاني: التنغيم	١٣٤
المطلب الثالث: المفصل	١٣٩
المبحث الرابع: المماثلة	١٤٧
المبحث الخامس: أحكام الأصوات الأنفية	١٦٣
الفصل الثالث: الظواهر الصوتية الخاصة بالأصوات الصائتة عند الباحثين العراقيين	١٨١
المبحث الأوّل: المدّ	١٨٢
المبحث الثاني: سقوط أحرف المدّ وصلاً	١٩٧
المبحث الثالث: تحريك الساكن	٢٠٧
المبحث الرابع: نقل حركة الهمز	٢١٥
المبحث الخامس: الاختلاس	٢١٩
المبحث السادس: الروم والإشمام	٢٢٦
المبحث السابع: الإمالة	٢٣٥
المبحث الثامن: وظيفة الصوائت	٢٤٥
الخاتمة	٢٥١
المصادر والمراجع	٢٥٤
الملخص الإنجليزي	A-B

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي نَزَّلَ بكتابه الروحَ الأمينَ على قلب النبيِّ الحبيب الأمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا مُحمّد وآله الطيّبين الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين.

أمَّا بعد:

لا يخفى على أحدٍ أهمِّيّة دراسة الأصوات العربية؛ لعلاقتها بدراسة الصوت القرآني، فقد اعتاد علماء الأمّة قديماً وحديثاً على تلقين تلامذتهم مخارج الأصوات وصفاتها مشافهةً؛ حرصاً منهم في الحفاظ على أصوات الكتاب العزيز، وهم يرجون في ذلك تجارةً لن تبور.

ولم يكتفِ القدماء بمسألة المشافهة، بل ألّفوا الكتب اللُّغويّة التي تبيِّن مخارج الأصوات وصفاتها وما يتحقّق من ظواهر صوتية بسبب مجاورة الأصوات بعضها بعضًا.

وكانت مدارس العراق القرآنية مرجعاً لعلماء التجويد في الدرس والتأليف، فقد أصبح كتابها الأوّل (كتاب السبعة) لابن مجاهد (٣٢٧هـ)، مصدراً لمَنْ ألّف بعده في القراءات، ومنهم ـ عالم الأندلس ـ أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) الذي ألّف كتابه التيسير في القراءات السبع.

لما تقدَّم، وبعد التوكّل على الله ، ومشاورة أساتذتي الأفاضل في قسم اللُّغة العربية، انعقد العزم على أن يكون موضوع أُطروحتي: (المباحث الصوتية عند الباحثين العراقيين في النصف الثاني من القرن العشرين في كتبهم المطبوعة).

وبعد جمع كتب الباحثين، قمت بدراستها، فقسَّمت البحث على ثلاثة فصول، تسبقها مقدِّمة وتمهيد، وتقفوها خاتمة.

أمَّا التمهيد فتناولت فيه نبذة عن الدرس الصوتي العربيّ، وخصصتُ الفصل الأوّل لدراسة مخارج الأصوات وصفاتها، وقسّمته على ستة مباحث، وهي: مخارج الأصوات الصامتة. ومشكلة الضاد، ومخارج الأصوات الصائتة، وصفات الأصوات التي لها ضدّ، ومشكلة القاف والطاء، وصفات الأصوات التي لا ضدّ لها.

والفصل الثاني لدراسة الظواهر الصوتية على مستوى التشكيل الصوتيّ، موزّعاً على ستة مباحث، وهي: المقطع، وإشكالية الرسم في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث، والقضايا التطريزية، والمماثلة، وأحكام الأصوات الأنفية.

أمَّا الفصل الثالث فخصّصته لدراسة الظواهر الصوتية الخاصّة بالأصوات الصائتة، موزَّعاً على ثمانية مباحث، وهي: المدّ، وسقوط أحرف المدّ وصلاً، تحريك الساكن، ونقل حركة الهمز، والاختلاس، والروم والإشمام، والإمالة، ووظيفة الصوائت.

ثُمَّ اختتمت الأُطروحة بخاتمة ذكرتُ فيها أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث، وبعد ذلك أوردت ثبتاً بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وخلاصة البحث باللغة الانكليزية.

ولابُدَّ لي في هذا المقام من أن أُقدِّم عظيم الشكر والامتنان لكُلّ عالم جليل وَرَدَ اسمه في أُطروحتي، فلولا علمهم وكتبهم لما كانت هذه الدراسة.

وختاماً فمن الواجب عليَّ أن أشكر أستاذتي الدكتورة لمى فائق العاني، التي تفضّلت بالإشراف على هذه الأُطروحة، وأمدّتني بنصائحها وتوجيهاتها القيّمة التي ذلَّلَت لي الصعاب، فقد كانت حريصةً على متابعة الأُطروحة بكُلّ دقّة، فجزاها الله عنّي خير الجزاء.

وأشكر كُلّ أساتذتي الأفاضل بقسم اللُّغة العربية/ كلية الآداب الذين لم يبخلوا عليَّ بتوجيهاتهم التي أعانتني على أُطروحتي، وأشكر كُلّ مَنْ أسدى إليَّ جميلاً ومدَّ يدَ العون والمساعدة.

أسأل اللّه العلي القديرَ أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفّقني لخدمة لغة كتابه العزيز، ويجعلني من المستمسكين بنور كتابه العظيم الذي أنزله على قلب الحبيب مُحمّد (صَلَّى اللّهُ عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وآخر دعوانا أنِ الحمد للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله.

الباحث

الفصل الأول

مخارج الأصوات وصفاتها عند الباحثين العراقيين

المبحث الأوّل

مخارج الأصوات الصامتة

يُعَدُّ موضوع مخارج الأصوات ذا أهمِّية كبيرة لدارسي الأصوات، وقد حظي باهتمام القدماء والمحدثين.

ولابُدَّ لمتعلّم اللُّغة من معرفة مخارج الأصوات وكيفية وضع أعضاء النطق بأصوات لغةٍ ما.

والمخرج لغةً: «خرج: الخروج: نقيض الدخول. خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً ومَخْرَجاً، فهو خارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرَّاجٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ وخَرَجَ بِهِ... يُقال: خَرَجَ مَخْرَجاً حَسَناً، وهذا مَخْرَجُه. وأمَّا المُخْرَجُ فقد يكون مصدر قولك أَخْرَجَه، والمفعول به واسم المكان والوقت، تقول: أَخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَهَذَا مُخْرَجُه؛ لأنَّ الفعل إذا جاوز الثلاثة فالميم منه مضمومة، مثل دَحْرَجَ، وهذا مُدَحْرَجُنا، فشبَّهَ مخرج ببنات الأربعة»[١].

واصطلاحاً: «هو موضع في آلة النطق يخرج منه الصوت أو يظهر فيه ويتميَّز»[٢].

وبيَّنَ الدكتور إدوار يوحنا أنَّ المقصود بمخرج الصوت هو «الموقع الذي يتّصل أو يقترب فيه جزء متحرّك من جهاز النطق من جزء متحرّك أو غير متحرّك»[٣].

عدد مخارج أصوات العربية

اختُلِفَ في عدد مخارج أصوات العربية قديماً وحديثاً، ولكنَّ أكثر القدماء يعدّونها ستة عشر مخرجاً، وأكثر المحدثين يعدّونها عشرة مخارج[٤].

وقد تابع أكثر القدماء سيبويه في ترتيب مخارج أصوات العربية، قال الدانيُّ: «اعلموا أنَّ قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التي بها ينفصل بعضها

---

١) لسان العرب: مادّة (خرج).

٢) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٨٢.

٣) إدوار يوحنا ودراساته في علم الصوت واللُّغة في عقد السبعينات: ١٣٨، وينظر: ظاهرة النفخ ودورها في الأنظمة الصوتية: ١.

٤) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٨٢.

من بعض، وإن اشترك في المخرج. وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصّة، إذ هو الصحيح المعوَّل عليه إن شاء الله»[١].

وقال الرضيُّ: «وأحسن الأقوال ما ذكره سيبويه، وعليه العلماء بعده»[٢].

قال سيبويه: «والحروف العربية ستّة عشر مخرجاً:

فللحلق منها ثلاثةٌ:

فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.

وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى [وما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنية مخرج اللام.

ومن طرف اللسان بينه وبين][٣] ما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنَّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

وممَّا بين طرف اللسان وأُصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.

وممَّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد.

وممَّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء.

وممَّا بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة»[١].

---

١) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٤.

٢) شرح الشافية: ١٧/٣.

٣) ما بين القوسين ساقط من طبعة عبدالسلام هارون، وهو في طبعة بولاق: ٤٠٥/٢.

وأمَّا المحدثون فيرى أكثرهم أنَّ مخارج أصوات العربية (الصامتة) عشرة مخارج[٢]، وهي:

١. الشفة، والأصوات الشفوية هي: الباء والميم والواو.

٢. الشفة مع الأسنان. والأصوات الشفوية الأسنانية هي: الفاء.

٣. الأسنان. والأصوات الأسنانية هي: الثاء والذال والظاء.

٤. الأسنان مع اللِّثَة. والأصوات الأسنانية اللثوية هي: الدال والضاد والتاء والطاء، والسين والصاد والزاي.

٥. اللِّثَة. والأصوات اللثوية: اللام والراء والنون.

٦. الغار. والأصوات الغارية هي: الشين والجيم والياء.

٧. الطبق. والأصوات الطبقية هي: الكاف والغين والخاء.

٨. اللهاة. والأصوات اللّهوية هي: القاف.

٩. الحلق. والأصوات الحلقية هي: العين والحاء.

١٠. الحنجرة. والأصوات الحنجرية هي: الهمزة والهاء.

ذكر الخليل أنَّ مخارج الأصوات الصامتة لا تزيد عن تسعة، وأنَّ كُلّ مخرج منها يحتوي على مقاطع متقاربة منفصل بعضها عن بعض، وأنَّ بين الأصوات التي تشترك في حيّز واحد فوارق عَبَّر عنها الخليل بقوله: «بعضها أرفع من بعض»[٣].

---

١) الكتاب: ٤/ ٤٣٣-٤٣٤.

٢) ينظر: مناهج البحث في اللُّغة: ٨٤-٨٥، والمدخل إلى علم اللغة: ٣٠-٣١، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ٨٦.

٣) العين: ١/٥٧-٥٨، ، وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١٠٩.

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنَّ الخليل استعان بتسكين الأصوات في تحديد مخارجها وتبيين مقاطعها؛ «لأنَّه رأى أنَّ مخرج الصوت إنَّما يتمثَّل ويتبيَّن إذا كان ساكناً»[١].

ولمَّا لم يستطع الابتداء بالساكن بدأه بالهمزة المفتوحة؛ لأنَّها أسهل الحركات، فكان يفتح فاه بالهمزة المفتوحة، ويقف على ساكن فيقول مثلاً: أب، أت، أع... إلى آخر الأصوات، فاهتدى بذلك إلى تحديد المخارج.

رتَّب الخليل المخارج بحسب طريقته كما يأتي:

١. العين، الحاء، الهاء، الغين، الخاء.

٢. القاف، الكاف.

٣. الجيم، الشين، الضاد.

٤. الصاد، السين، الزاي.

٥. الطاء، الدال، التاء.

٦. الظاء، الثاء، الذال.

٧. الراء، اللام، النون.

٨. الفاء، الباء، الميم.

٩. الألف، الواو، الياء، الهمزة[٢].

أوضح الدكتور المخزومي أنَّ سيبويه تابع أُستاذه في منهجه وتذوّقه، إلاَّ أنَّه خالفه فيما يتّصل بترتيب الأصوات ومخارجها، وبيَّنَ أنَّ منشأ الخلاف بين الخليل وسيبويه، هو اصطناع كُلّ منهما مقياساً لتذوُّق الأصوات.

---

١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١٠٩.

٢) ينظر: العين: ٤٨/١.

أمَّا الخليل فقد اصطنع الهمزة المفتوحة «وإنَّما كان ذَواقه إيَّاها أنَّه كان يَفْتَحُ فاهُ بالألفِ ثم يُظْهِرُ الحَرْفَ نحو: أب، أع، أغ، فوجد العيْن أَدخَلَ الحروف في الحَلْق»[١].

وأمَّا سيبويه فقد اصطنع الهمزة المكسورة، وقد استنتج الدكتور المخزوميّ ذلك من قول ابن جنّي، الذي يقول: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف، أن تأتي به ساكناً لا متحرِّكاً؛ لأنَّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقرّه، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثُمَّ تُدخِل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأنَّ الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول: إك، إق، إج، وكذلك سائر الحروف، إلاَّ أنَّ بعض الحروف أشدُّ حصراً للصوت من بعضها»[٢].

وبيَّنَ المخزومي، أنَّنا إذا جرّبنا تذوُّق الحروف باصطناع الهمزة مفتوحة مرّةً ومكسورة أُخرى، وجدنا وجهة النظر عند كُلٍّ منهما سليمة[٣].

المخرج الأوّل: مخرج الباء، والميم، والواو (غير المدِّية)

من بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو (غير المدّية)، والمخطط رقم (١) يوضِّح مخرج هذه الأصوات[٤].

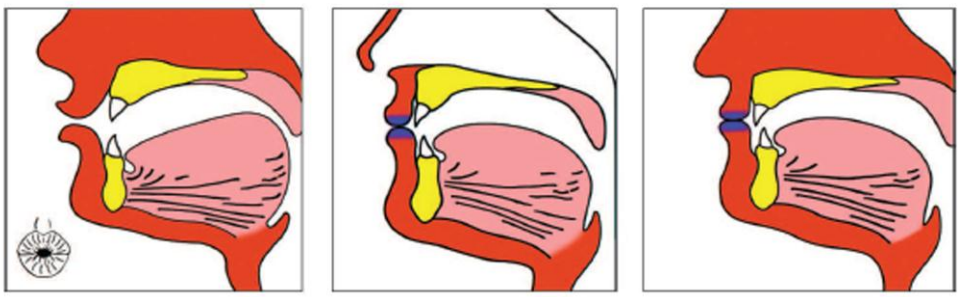

مخرج الباء مخرج الميم مخرج الواو غير المدية

١) العين: ٤٧/١، وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١١١.

٢) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ١٩-٢٠، ، وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١١١.

٣) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١١١.

٤) لا بُدَّ من الإشارة إلى أنّي أخذت هذه الأشكال التوضيحية لمخارج الأصوات من كتاب (شرح المقدمة الجزرية، للدكتور غانم قدوري الحمد).

المخطط (١) مخرج الباء، والميم، والواو غير المدّية

المخرج الثاني: مخرج الفاء

من بين الأسنان العليا والشفة السفلى مخرج الفاء، والمخطط رقم (٢) يوضِّح مخرج هذا الصوت.

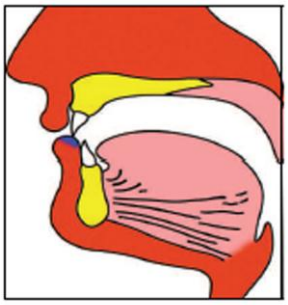

مخرج الفاء

المخطط (٢) مخرج الفاء

اختلف القدماء في أصوات هذين المخرجين، فمنهم مَنْ جمع الباء، والميم، والفاء في مخرج واحد، وهو عمل الخليل، إذ قال: «إعلم أنَّ الحروف الذُلْقَ والشفوية ستَّة وهي، ر، ل، ن، ف، ب، م... وثلاثة شفوية: مخرجها من بين الشَّفَتَيْن خاصّةً. لا تعمل الشفتان في شيء من الحرُوف الصَّحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة فقط»[١].

ومنهم مَنْ أخرج الفاء من هذا المخرج، وجعل له مخرجاً مستقلاً من بين الأسنان والشفة، وهو بذلك يَعُدُّ مخرج الفاء مخرجاً شفويًّا أسنانياً، وهو عمل سيبويه، وهذا واضح في قوله: «ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء. وممَّا بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو»[٢].

ذهب الدكتور المخزوميّ إلى أنَّ عمل سيبويه هنا أصوب من عمل الخليل، ولكنَّه لا يبعد أن يكون الواو عند الخليل مع الأحرف الشفوية، بدليل قوله: «لا تعمل الشفتان في

---

١) العين: ٥١/١-٥٢.

٢) الكتاب: ٤٣٣/٤.

شيء من الحروف الصحاح إلاَّ في هذه الأحرف الثلاثة»[١]. وهذا يُشعِر أنَّ الخليل كان يلاحظ أنَّ الواو من الحروف الشفوية إلاَّ أنـَّها من حروف العلّة[٢].

وفي هذا نظر، فإذا كان الخليل قد لاحظ أنَّ الواو من الحروف الشفوية، فهذا يعني أنَّ عمل الخليل أصوب من عمل سيبويه؛ لأنـَّه من الأنسب أن ينسب الصوت إلى عضو واحد، وهذا ما درج عليه القدماء، وهذا يعني أيضاً أنَّ مخرجي (الباء، والميم، والواو)، و(الفاء)، هما مخرج واحد عند الخليل (ب، م، ف، و- غير المدِّية -).

واختلف المحدثون في أصوات مخرج (الباء، والميم، والواو (غير المدِّية)، فهي عند بعضهم شفوية[٣]، وعند بعضهم الباء والميم فقط شفويان، أمَّا الواو فإنـَّه شفوي حنكي[٤]، ويرى بعض المحدثين أنَّ وصف الواو بأنـَّه شفوي ليس خطأً؛ لأنَّ الشفتين لهما دخل كبير في نطقه، ولكنَّ الوصف الدقيق أن يُقال:: إنـَّه من أقصى الحنك؛ لأنَّ اللسان يقترب من هذا الموضع عند نطق الواو[٥].

وبيَّنَ الدكتور حسام النعيمي أنَّ وضع الشفتين في حال النطق بالواو قد شغل القدماء عن تحسُّس موضع اللسان مع الحنك؛ لأنَّ حركة الشفتين مع الواو واضحة وأنَّ اللسان لا يقترب بصورة واضحة نحو الحنك[٦]، فضلاً عن أنَّ القدماء ينسبون مخارج الأصوات إلى الموضع الأظهر[٧].

---

١) العين: ٥١/١.

٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: ١٠٥.

٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣٠.

٤) ينظر: علم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٨٥.

٥) ينظر: علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ٨٩.

٦) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣١٠-٣١١.

٧) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٢.

وذهب الدكتور النعيمي إلى أنَّ الصواب الجمع بين الوصفين؛ لأنَّ من اقترح قصور الوصف على أقصى الحنك قد وقع فيما وقع فيه القدماء من قصور الوصف؛ لأنَّه أقَرَّ أنَّ للشفتين أثراً كبيراً في إخراجهما، ثُمَّ أغفل ذكرهما، كما أغفل القدماء ذكر الحنك[١].

إنَّ ما ذهب إليه الدكتور حسام النعيمي من أنَّ القدماء أغفلوا ذكر أقصى الحنك عند وصف مخرج الواو لم يكن بقصد منهم؛ لأنَّهم اعتمدوا ـ كما هو معلوم ـ على الملاحظة الذاتية، ولم تتوفّر لديهم المختبرات والآلات الدقيقة في تصور أعضاء النطق ورسم شكل الذبذبات الصوتية عند نطق صوت ما؛ لهذا أرى أنَّ القدماء كانوا على طريق مستقيم في وصفهم مخرج الواو.

وقد تابع الدكتور خليل العطيّة[٢] والدكتور غانم قدوري الحمد[٣] سيبويه وجمهور القدماء[٤]، وعلماء التجويد[٥]، والمحدثين[٦]، وجعلا لصوت الفاء مخرجاً مستقلاً عن مخرج مخرج الباء، والميم، والواو (غير المدِّية).

ممَّا تقدَّم يَتبيَّن لي أن تُجمَع هذه الأصوات الأربعة ـ عند تحديد المخارج ـ في مخرج واحد، وتنسب إلى الشفة، فيكون المخرج الأوّل، هو المخرج الشفوي؛ لأصوات (ب، م، ف، وـ غير المدِّية ـ)؛ لأنَّ الأنسب أن يُنسَب الصوت إلى عضو واحد.

---

١) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٣.

٢) البحث الصوتي عند العرب: ٢٠.

٣) لمدخل إلى علم أصوات العربية: ٩٥.

٤) ينظر: المقتضب: ٣٣٠/١، وسرّ صناعة الإعراب: ٦١/١.

٥) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ٢٠١، والتحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٤.

٦) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٧، وعلم اللُّغة العامّ (الأصوات): ٩٢.

المخرج الثالث: مخرج الظاء، والذال، والثاء

أطلق الخليل تسمية (اللثوية) على هذه الأصوات الثلاثة، وبيَّنَ علّة هذه التسمية بقوله: «لأنَّ مبدأها من اللثة»[١]، وتعجَّب الدكتور إبراهيم أنيس من هذه التسمية[٢].

وكان تحديد سيبويه لمخرج هذه الأصوات موافقاً تحديد المحدثين، إذ قال: «وممَّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والثاء»[٣]. ولكنَّه لم يحدِّد جهة الثنايا، وتابعه في ذلك قسمٌ من القدماء[٤]، ولكنَّ قسماً منهم حدَّدَ مخرج هذه الأصوات من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهو ما ذهب إليه المبرّد، إذ قال: «ومن طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء، والثاء، والذال»[٥]، وقد تابع المبرّدَ أكثرُ علماء التجويد، يقول مكّي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): «الظاء تخرج من المخرج العاشر من مخارج الفمّ، وذلك ممَّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، الثاء: يخرج من مخرج الظاء المذكور... الذال: يخرج من مخرج الظاء والثاء المذكور»[٦].

وانفرد ابن الطحّان بذكر الثنايا العليا والسفلى عند وصفه مخرج هذه الأصوات، إذ قال: «ومن طرفه وما يليه من أطراف الثنايا علياها وسفلاها، تخرج الظاء، والذال، والثاء»[٧].

---

١) العين: ٥٨/١.

٢) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٥.

٣) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٤) ينظر: الأُصول في النحو: ٤٠١/٣، وسرّ صناعة الإعراب: ٦١/١، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٥٢١.

٥) المقتضب (١/ ١٩٣.

٦) الرعاية: ٣٤٨-٣٥١، وينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٥، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٢.

٧) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٣٨، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٢.

اختلف المحدثون في وصف هذا المخرج، فمنهم مَنْ تابع سيبويه وموافقيه، ولم يحدِّد جهة الثنايا[١]، ومنهم مَنْ تابع المبرّدَ وأكثرَ علماء التجويد، وحدَّدَ الثنايا العليا[٢]، ووافق المستشرق برجستراسر في هذا المبرّد، فقال: «ظ، ذ، ث، من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، وهي الحروف اللثوية... فهذا كُلّه صحيح ما فيه شكٌّ، من وجهة نظر علماء الغرب»[٣].

وبيَّنَ الدكتور كمال بشر أنَّ طرف اللسان يوضع بين أطراف الثنايا العليا والسفلى حال النطق بهذه الأصوات[٤].

وأرى أنَّ الدكتور غانم قدوري كان أكثر دقّةً من الدكتور كمال بشر في وصف هذا المخرج، وهذا واضح في قوله: «فالمخرج من بين طرف اللسان وأطراف الثنيتين العليَيَن، ويستند طرف اللسان في الوقت نفسه على أطراف الثنيتين السفليَيَن»[٥]. والمخطط رقم (٣) يوضِّح مخرج هذه الأصوات.

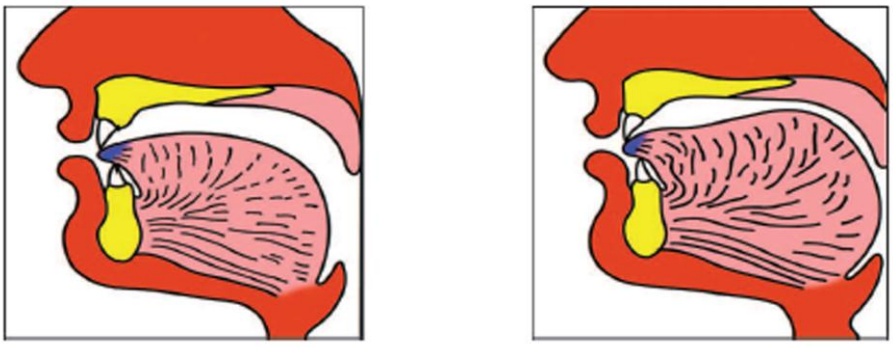

المخطط (٣) مخرج الظاء، والذال، والثاء

---

١) ينظر: علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي: ١٧٣.

٢) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٥، ودراسة الصوت اللُّغويّ: ٣١٥.

٣) التطوّر النحوي: ١٢-١٣.

٤) ينظر: علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ١١٨.

٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٢.

المخرج الرابع: مخرج السين، والصاد، والزاي

حدَّدَ سيبويه مخرج هذه الأصوات في قوله: «وممَّا بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد»[١].

ويتّضح من قول سيبويه أنَّه لم يحدِّد جهة الثنايا، وقد تناول الدكتور غانم قدوري مسألة تحديد الثنايا، وأوضح أنَّ للعلماء الذين جاءوا بعد سيبويه في تحديد جهة الثنايا ثلاثة مذاهب:

الأوّل: تخصيص فويق الثنايا السفلى، قال ابن السرّاج (٣١٦هـ): «ممَّا بينَ اللسان وفُويق الثنايا السفلى: مخرج الزاي والسين والصاد»[٢].

الثاني: تخصيص الثنايا العليا، قال الداني: «والصاد والزاي والسين من مخرج واحد، وهي الفرجة التي بين طرف اللسان والثنايا العليا»[٣].

الثالث: مذهب بعض شُرّاح الشاطبية، وهو أقرب إلى المذهب السابق، ولكنَّه أكثر تحديداً، قال أبو شامة المقدسيّ: «ومن طرف اللسان ومن بين الثنايا، لا أُصولها ولا أطرافها ثلاثة أحرف هي الصاد والسين المهملتان، والزاي»[٤].

ولم يتّفق المحدثون على تحديد الموضع الذي يعتمد عليه طرف اللسان في أثناء نطق هذه الأصوات، فمنهم مَنْ أشار إلى أنَّ طرف اللسان يعتمد على اللثة[٥]، ومنهم مَنْ أشار إلى أنَّ طرف اللسان يعتمد خلف الأسنان العليا[٦]، ومنهم مَنْ أشار إلى أنَّ طرف اللسان يلتقي بالثنايا السفلى والعليا[٧].

ويرى الدكتور الحمد أنَّ المرعشيَّ كان أكثر دقّةً في تحديد مخرج هذه الأصوات، فقد حدَّدَ مخرجها بقوله: «ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيّتين العليَيَن، أعني

---

١) الكتاب: ٤٣٥/٤.

٢) الأُصول في النحو: ٣/ ٤٠٠، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٠.

٣) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٥، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٠.

٤) إبراز المعاني من حرز الأماني: ٨١٤، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٠.

٥) ينظر: علم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٧٥.

٦) ينظر: علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ٩٦.

٧) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٦٦.

صفحتيهما الداخلتين، يخرج منه الصاد فالسين فالزاي، ولا يتّصل رأس اللسان بالصفحتين، بل يسامتهما»[١].

والمخطط رقم (٤) يوضّح مخرج هذه الأصوات.

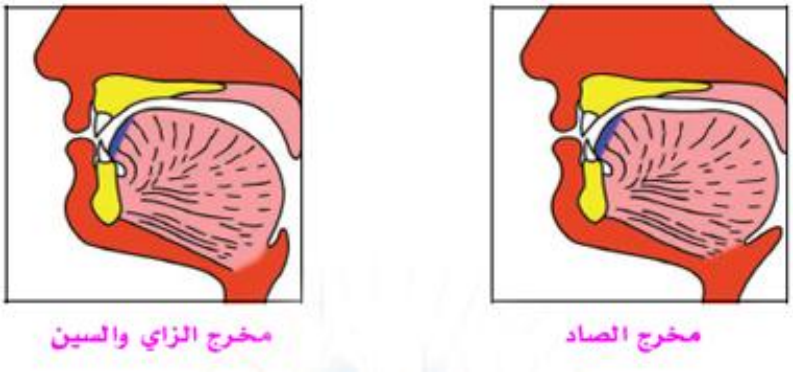

المخطط (٤) مخرج السين، والصاد، والزاي

المخرج الخامس: مخرج الطاء، والدال، والتاء، والضاد

جمع الخليل صوت الضاد مع صوتي الجيم والشين، وسمّاها شجرية؛ «لأنَّ مبدأها من شجر الفم، أي: مفرج الفم»[٢]. وسمّى الأصوات الثلاثة: الطاء، والتاء، والدال، نِطعيّة؛ «لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى»[٣].

أخرج سيبويه الضاد من مجموعة الشين والجيم وأدخل بدله الياء[٤]، وجعل للضاد مخرجاً مستقلاً «من بين أوّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس»[٥].

وبيِّنٌ من قول الخليل وسيبويه أنَّ للضاد مخرجاً مستقلاً عن مخرج الأصوات الثلاثة، لكنَّ المحدثين جمعوا هذه الأصوات الأربعة في مخرج واحد[١].

---

١) جهد المقل: ١٣٣، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١١.

٢) العين: ١/ ٥٨.

٣) العين: ١/ ٥٨.

٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

٥) الكتاب: ٤/ ٤٣٣.

وقد تابع الدكتور غانم المحدثين وجمع هذه الأصوات الأربعة في مخرج واحد[٢].

قال سيبويه: «وممَّا بين طرف اللسان وأُصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء»[٣].

وحدَّدَ الدكتور غانم مخرج (ض، ط، د، ت) بقوله: «بين مقدَّم اللسان وأوّل اللثة»[٤].

المخرج السادس: مخرج اللام والراء والنون

جعل سيبويه لكُلّ صوت من هذه الأصوات الثلاثة مخرجاً مستقلاً، إذ قال: «ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى [وما فويق الضاحك والناب الرباعية والثنيّة مخرج اللام.

ومن طرف اللسان بينه وبين][٥] ما فويق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنَّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء»[٦].

وجعل الفَرَّاء وقطرب والجرمي وابن كيسان، هذه الأصوات في مخرج واحد[٧]، فكان هذا سبباً في الخلاف في عدد المخارج.

وتابع الدكتور غانم المخالفين لسيبويه وجمع هذه الأصوات في مخرج واحد، «وذلك للقرب الشديد بينها»[٨].

ويرى الدكتور غانم أنَّ هذه الأصوات الثلاثة قد تندرج في مخرج واحد كُلّي، وقد يكون كُلّ واحد منها مخرج جزئي، وهذا هو السبب الذي أدَّى إلى الخلاف في جعل (ل، ر، ن) من مخرج واحد، أو من ثلاثة مخارج[٩].

---

١) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٦، وعلم اللُّغة العامّ (الأصوات): ١٠١-١٠٤.

٢) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٩٥.

٣) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٤) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٩٥.

٥) ما بين القوسين ساقط من طبعة عبدالسلام هارون، وهو في طبعة بولاق: ٤٠٥/٢.

٦) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٧) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٦.

٨) التجويد دراسة صوتية ميسّرة: ٤٩.

٩) ينظر: التجويد دراسة صوتية ميسّرة: ٥٢.

والمخطط رقم (٥) يوضِّح مخرج صوت (الراء). والمخطط رقم (٦) يوضِّح مخرج (النون). والمخطط رقم (٧) يوضِّح مخرج (اللام).

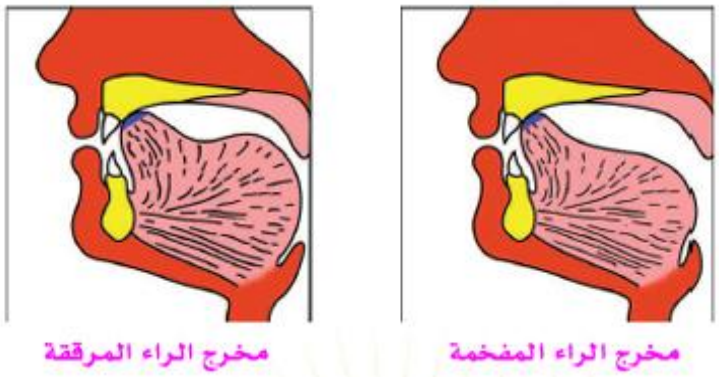

المخطط (٥) مخرج صوت الراء

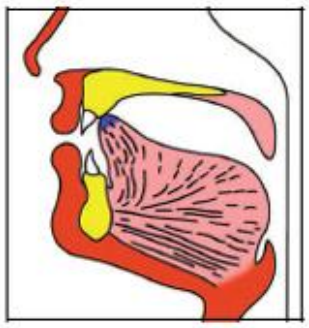

المخطط (٦) مخرج صوت النون

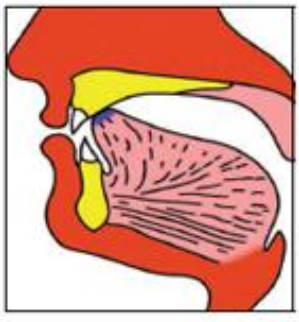

المخطط (٧) مخرج صوت اللام

المخرج السابع: مخرج الجيم والشين والياء غير المدِّية

جمع سيبويه هذه الأصوات في مخرج واحد، إذ قال: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء»[١].

وقد تابع علماء التجويد سيبويه في وصف مخرج هذه الأصوات، ولكنَّهم وصفوا الياء بأنَّها (غير المدِّية)[٢].

ونسب بعض المحدثين هذا المخرج إلى الحنك[٣]، وأطلق بعضهم على هذه الأصوات (الحروف الأدنى حنكية)[٤]، وبيَّنَ أنَّها تكون من وسط اللسان ووسط الحنك[٥]، ووصف ووصف بعضهم الشين بأنَّه لثوي حنكي[٦]، وكذلك الجيم[٧]، ووصف الياء بأنَّه حنكي حنكي وسيط؛ لأنَّه من وسط اللسان ووسط الحنك[٨]. والمخطط رقم (٨) يوضِّح مخرج هذه الأصوات.

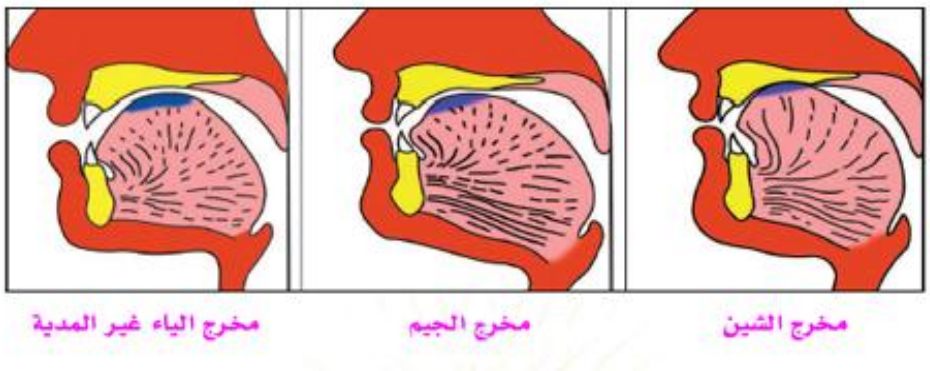

المخطط (٨) مخرج الجيم والشين والياء غير المدِّية

❖ ❖ ❖

---

١) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٢) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١٥٩/١، والمنح الفكرية: ١١.

٣) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٦٨.

٤) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٨٨.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨.

٦) علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي: ١٧٦.

٧) المصدر نفسه: ١٧٧.

٨) المصدر نفسه: ١٨٠-١٨١.

المخرج الثامن: مخرج الكاف

المخرج التاسع: مخرج القاف

القاف والكاف عند الخليل صوتان لهويّان؛ «لأنَّ مبدأهما من اللهاة»[١]. ووصف سيبويه مخرج هذين الصوتين في قوله: «ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً وممَّا يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف»[٢].

وأوضح الدكتور مهدي المخزومي أنَّ الكاف عند الخليل أرفع من القاف، أي: أنَّها أبعد عن الحلق من القاف، وذهب إلى أنَّ سيبويه لم يخالف أُستاذه في هذا المخرج[٣].

واختلف المحدَثون في ترتيب مخرج القاف، فمنهم مَنْ ذهب إلى أنَّ مخرجها أعمق من مخرج الغين والخاء، فتكون أصوات الغين والخاء والكاف من أقصى الحنك، وتكون القاف من اللهاة[٤]، ومنهم مَنْ ذهب إلى اعتبار مخرج الغين والخاء والقاف من اللهاة وما يتّصل بها من غشاء الحنك، ومخرج الكاف من أقصى الحنك[٥]، ومنهم مَنْ تابع القدماء في ترتيب مخارج هذه الأصوات[٦].

ونسب الدكتور تمّام حسّان الغلط إلى علماء العربية وعلماء التجويد في تحديد مخارج أصوات (خ، غ، ق، ك)، إذ قال: «والمخارج التي نذكرها هنا تختلف إلى حدٍّ ما، عن تلك التي توجد في علم التجويد والقراءات، اختلافاً اقتضاه منهج البحث الحديث، وسنشير عند

---

١) العين: ٦٥.

٢) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٣) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠١.

٤) ينظر: علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ١٣٦.

٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٢٣.

٦) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٧٥-٧٦.

كُلّ نقطة من نقطة الخلاف بين هذه المخارج، وتلك إلى وجه النقص الذي نراه في وجهة نظر النحاة والقُرَّاء»[١].

واتّخذ الدكتور تمّام حسّان من كلام ابن الجزري دليلاً على غلط النحاة والقُرَّاء، فقد قال: «ولقد خلط النحاة العرب خلطاً كبيراً في تحديد هذه المخارج، وحسبك أن ترى أنَّ ابن الجزري يفاضل بين الآراء المختلفة في تحديد عدد منها... ثُمَّ يغلط في تحديد مخارج أصوات الخاء، والغين والكاف... فيقول: إنَّ صوتي الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم، وراء مخرج القاف... وهو يجعل الكاف خلف القاف، والعكس أصح، فصوت الكاف من نفس مخرج صوتي الخاء والغين»[٢].

وللدكتور غانم قدوري ملاحظتان تتعلّق بكلام الدكتور تمّام حسّان، وهما[٣]:

الملاحظة الأُولى: نسب الدكتور تمّام حسّان الغلط والخلط إلى علماء العربية، وعلماء التجويد قاطبةً، وهو لم يطّلع ـ على رأي الدكتور غانم ـ إلاَّ على مصدر واحد.

الملاحظة الثانية: نسب الدكتور تمّام حسّان إلى ابن الجزريّ كلاماً لم يقله، فابن الجزريّ تابع علماء العربية وعلماء التجويد في الترتيب المشهور لمخارج هذه الأصوات (غ خ ق ك)، أمَّا الدكتور تمّام حسّان فهو ينسب إلى ابن الجزريّ هذا الترتيب (غ خ ك ق).

ونقل الدكتور الحمد عبارة ابن الجزري التي استخلص منها أنَّه تابع مَنْ سبقه من العلماء في ترتيب مخارج أصوات الغين، والخاء، والقاف، والكاف، يقول ابن الجزري: «المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء، ونصَّ شريح على أنَّ الغين قبل، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضاً، ونصَّ مكّي على تقديم الخاء، وقال الأُستاذ أبو الحسن

---

١) مناهج البحث في اللُّغة: ٨٤.

٢) المصدر نفسه: ٨٥-٨٦.

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٩٦.

عليّ بن مُحمّد بن خروف النحوي: إنَّ سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد. قلت: وهذه الستة الأحرف المختصّة بهذه الثلاثة المخارج هي الحروف الحلقية.

المخرج الخامس: أقصى اللسان ممَّا يلي الحلق وما فوقه من الحنك، وهو للقاف، وقال شريح: إنَّ مخرجها من اللهاة ممَّا يلي الحلق ومخرج الخاء.

المخرج السادس: أقصى اللسان من أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحنك، وهو للكاف، وهذان الحرفان يُقال لكُلّ منهما: لهوي، نسبة إلى اللهاة وهي بين الفم والحلق»[1]. والمخطط رقم (٩) يوضّح مخرج القاف، والمخطط رقم (١٠) يوضّح مخرج الكاف.

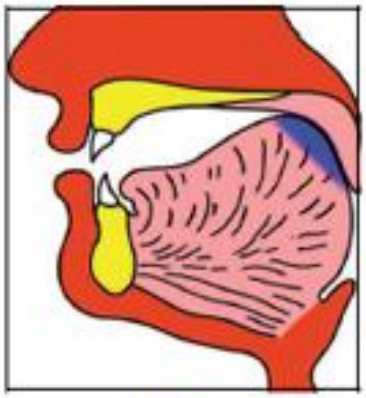

مخرج القاف

المخطط (٩) مخرج القاف

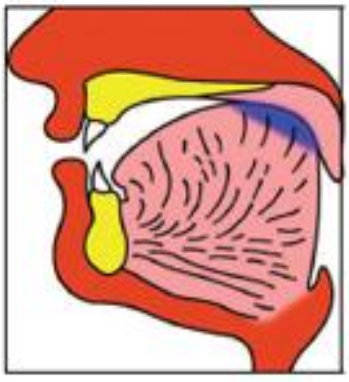

مخرج الكاف

١) النشر في القراءات العشر: ١٥٩/١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٩٦-١٩٧.

المخطط (١٠) مخرج الكاف

❖ ❖ ❖

المخرج العاشر: مخرج الغين والخاء

اختُلِفَ في ترتيب صوتَي هذا المخرج، فقد ذكر سيبويه أنَّ صوت الغين قبل صوت الخاء، إذ قال: «وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء»[١]، وقال ابن جنّي: «وممَّا فوق ذلك مع أوّل الفم مخرج الغين والخاء»[٢].

ولكن مكّي بن أبي طالب أوضح أنَّ «الغين: تخرج من مخرج الخاء، وبعدها، وهو آخر المخرج الثالث من مخارج الحلق ممَّا يلي الفم»[٣].

ونقل ابن الجزري هذا الاختلاف في قوله: «المخرج الرابع: أدنى الحلق إلى الفم، وهو للغين والخاء، ونصَّ شريح على أنَّ الغين قبل، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضاً، ونصَّ مكّي على تقديم الخاء»[٤].

واختلف المحدثون في مخرج هذين الصوتين، فمنهم مَنْ ضمّ إليهما القاف وسمى الثلاثة اللهوية[٥]، ومنهم مَنْ وصف مخرجهما بأنَّه أدنى الحلق إلى الفم[٦]، ووصف بعضهم الصوتين بانهما حنكيان قصيان[٧].

وذهب الدكتور حسام النعيمي إلى أنَّ الغين والخاء هما صوتا أدنى الحلق عند ابن جنّي، ويرى أنَّ مَنْ عَبَّر بأدنى الحلق أو بأقصى الحنك فقد أراد اللهاة، وعلى هذا يحمل

---

١) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٢) سرّ صناعة الإعراب: ٦٠.

٣) الرعاية لتجويد القراءة: ٢٨٩.

٤) النشر في القراءات العشر: ١٥٩/١.

٥) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣١.

٦) ينظر: أصوات اللُّغة: ٨٨.

٧) ينظر: علم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٧٧.

رأي مَنْ تابع ابن جنّي من المحدثين في عَدّ الغين والخاء من أدنى الحلق، ومَنْ عَدّهما من أقصى الحنك[١].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الخلاف في ترتيب مخارج أصوات الحلق هو خلاف وهميٌّ؛ لأنَّ التجارب الحديثة دَلَّت على أنَّ لكُلّ صوتين من أصوات الحلق حيّزاً مُعيَّناً يحلان فيه دون ترتيب لأحدهما على الآخر[٢]. وأيَّدَ الدكتور إبراهيم أنيس ما رآه بكلام ابن خروف الذي نقله ابن الجزري في قوله: «وقال الأُستاذ أبو الحسن عليّ بن مُحمّد بن خروف النحوي: إنَّ سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد»[٣].

وتساءل الدكتور غانم قدوري: «هل الخلاف في ترتيب الحروف التي تنتج من مخرج واحد خلاف وهمي، فيكون علماء التجويد قد أخطأوا في هذا الموضوع جملةً وتفصيلاً؟»[٤].

استعان الدكتور الحمد بكلام المرعشيّ الذي قال: «فاللسان إلى الخارج في الثاء أكثر ممَّا يقارب في أُختيها، ويقرب إليه في الذال أكثر ممَّا يقارب في الظاء»[٥]، وأوضح الدكتور غانم أنَّه يمكن الاستعانة بمرآة لكي يَلحَظ الناطق حركة طرف اللسان، فهو يتقدَّم مع الثاء ويتراجع مع الذال، ثُمَّ يتراجع أكثر مع الظاء، واشترط الدكتور غانم أن ينطق هذه الأصوات بنَفَس واحد، من غير فاصل بينهما بصوت آخر، وبيَّنَ أنَّ علّة تقدُّم الثاء هي صفة الهمس التي تحتاج إلى ضغط النَّفَس في مخرج الصوت أكثر ممَّا تحتاج إليه صفة الجهر التي يتميَّز بها صوت الذال، وعلّة تراجع طرف اللسان مع الظاء هي صفة الإطباق، وصفة الإطباق تتميَّز بأن يرتفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى في أثناء النطق بالصوت

---

١) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٥.

٢) ينظر: الأصوات اللُّغويّة:٩٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٨٤.

٣) النشر في القراءات العشر: ١٥٩/١.

٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٨٤.

٥) جهد المقل: ١٣٥.

المطبق، وليس بين الذال والظاء من فرق سوى الإطباق، والذي جعل طرف اللسان يتقاصر عن موضع الذال هو اندفاع ظهر اللسان؛ لأنَّ اندفاع ظهر اللسان من جهة أقصاه مع الظاء جعل طرفه يقرب إلى الخارج مع الذال أكثر من الظاء[١].

واستخلص الدكتور الحمد من تفسير كلام المرعشيّ أنَّ اختلاف علماء التجويد في ترتيب أصوات المخرج الواحد مثل العين والحاء، والغين والخاء، ليس وهميًّا، بل هو مبنيٌّ على ملاحظة دقيقة لحالة الأصوات في مخارجها[٢].

والمخطط رقم (١١) يوضِّح مخرج الغين والخاء.

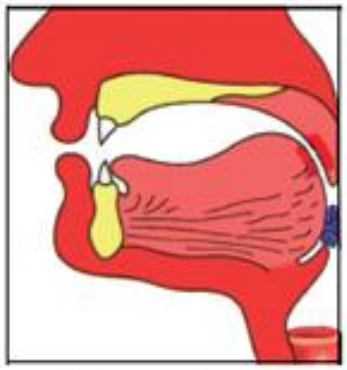

المخطط (١١) مخرج الغين والخاء

المخرج الحادي عشر: مخرج العين والحاء

العين والحاء هما صوتا وسط الحلق، قال سيبويه: «ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء»[٣].

واختلف المحدثون في هذين الصوتين، فمنهم مَنْ ذكر أنَّهما حرفان أدنى حلقيان[٤]، ومنهم مَنْ وصفهما بانهما حلقيان[٥]، وأوضح الدكتور سلمان العاني أنَّ أصوات هذا المخرج المخرج والمخرج الذي يليه وهما الهمزة، والهاء «تمتاز عن بقية السواكن بمواضع نطقها

---

١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٨٤-١٨٥.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٦.

٣) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٤) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣١.

٥) علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي: ١٧٨.

العمودية ويُعرّف موضع النطق العمودي بأنـّه مجموعة مواقع الأعضاء الممتدّة من الغار Palate إلى لسان المزمار Glottis وما بينهما»[١].

وبَيَّن الدكتور سلمان العاني أنَّ بحث مخرج أصوات العين، والحاء والهمزة، والهاء، صعب جدّاً؛ «لأنـّه لا يسهل ضبط مواقعها وصفاتها الكائنة في المناطق الحلقية والحنجرية التي لا يسهل الوصول إليها»[٢].

ولذلك يقول الدكتور كمال محمد بشر: «والحقّ أنَّ تكوين العين فيه غموض لم يتّضح لنا بعد»[٣]. والمخطط رقم (١٢) يوضِّح مخرج العين والحاء.

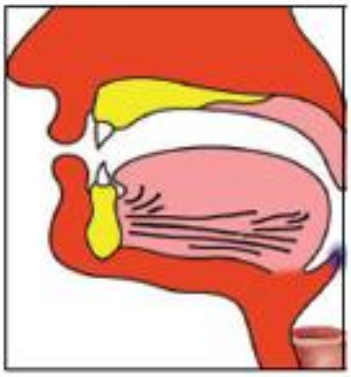

المخطط (١٢) مخرج العين والحاء

المخرج الثاني عشر: مخرج الهمزة والهاء

أضاف سيبويه إلى هذا المخرج الألف، إذ قال: «فأقصاها مخرجاً، الهمزة والهاء والألف»[٤].

وأوضح الدكتور مهدي المخزومي أنَّ سيبويه خالف أُستاذه في شيئين:

أوّلهما: إضافة الهمزة إلى أصوات الحلق.

ثانيهما: اعتبار الهاء قبل العين.

---

١) التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ٩٣.

٢) التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ٩٣، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٤٨.

٣) علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ١٣١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٤٨.

٤) الكتاب: ٤٣٣/٤، وينظر: سرّ صناعة الإعراب: ٦٠/١.

وذهب إلى أنَّ مخرج الهمزة لم يغب عن الخليل، فهي عنده من أقصى الحلق[١]. ولكنَّه أسقطها من أحرف الحلق؛ لأنَّها صوت غير ثابت إذا رُفِّهَ عنها لانت وانقلبت ألفاً أو واواً أو ياءً[٢].

وخالف المحدثون القدماء، فالهمزة والهاء عندهم من مخرج واحد هو فتحة المزمار، وتنطبق فتحة المزمار عند النطق بالهمزة انطباقاً تامًّا ثُمَّ تنفرج هذه الفتحة فجأة فينطلق الهواء المحبوس ويُحدِث انفجاراً[٣].

أمَّا عند النطق بالهاء فإنَّ فتحة المزمار تكون واسعة ويكون الفم في وضعه الطبيعي، وسُمِعَ لها حفيف هو الذي لحظه الخليل[٤].

أوضح الدكتور حسام النعيمي أنَّ الألف صوت مجهور يحدث في تكوينه اندفاع الهواء في مجرًى مستمرٍّ خلال الحلق والفم من دون أن يعترضه عائق يثنيه أو يضيّق مجراه[٥]، أو كما قال ابن جنّي: «أمَّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضَين على الصوت بضغط أو حصر»[٦].

أي: أنَّ الألف ليس له مقطع في الحلق أو في غيره، فلا يجوز أن يُجعَل من أصوات الحلق[٧].

وبيَّنَ الدكتور النعيمي أنَّ الدكتور إبراهيم أنيس اجتهد في الاعتذار عن سيبويه ومَنْ تابعه لذكره الألف في حروف الحلق، وذكر كلام ابن جنّي الذي قال: «اعلم أنَّ الألف التي في أوّل حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنَّما كُتِبَت الهمزة واواً مرّةً وياءً أُخرى على

---

١) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠٠، والعين: ٥٨/١، وتهذيب اللُّغة: ٤٤/١.

٢) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠٠، والعين: ٥٨/١.

٣) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠٠، والأصوات اللُّغويّة: ٧٧.

٤) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١٠٠، والأصوات اللُّغويّة: ٧٨.

٥) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٢، وعلم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٤٨.

٦) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٢١، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٢.

٧) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٢.

مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أُرِيدَ تحقيقها البتة، لوجب أن تُكتَب ألفاً على كُلّ حال»[١].

وبدا للدكتور إبراهيم أنيس أنَّ ابن جنّي كان يَعُدُّ الألف اسماً لصوت الهمزة، فالألف رمز للمكتوب، والهمزة رمز للمنطوق، ولهذا كان الواجب الاكتفاء بكلمة الهمزة التي هي رمز للصوت[٢].

ولم يوافق الدكتورُ النعيميُّ الدكتورَ إبراهيمَ أنيس فيما ذهب إليه؛ لأنَّ ابن جنّي لم يتناول في كلامه صوت الهمزة والألف، بل هو في رسم الهمزة في حالتَي تحقيقها وتسهيلها، نحو: (مؤمن: مومن)، و(بئر: بير)[٣].

وذهب الدكتور حسام النعيميّ إلى أنَّ سيبويه لم يرد بذكر الألف في أصوات الحلق إيضاحاً للهمزة، وأنَّ ما ذهب إليه بأُمور:

الأوّل: قول سيبويه: «فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء... »[٤]. ولو كان الألف إيضاحاً لكانت الحروف العربية ثمانية وعشرين حرفاً[٥].

الثاني: ذكر سيبويه الألف مرّةً واحدةً، وهذا يدلّ على أنَّه أراد الألف لذاتها لا لإيضاح الهمزة[٦].

الثالث: اعتمد ابن جنّي في تأكيده أنَّ الألف عند سيبويه بين الهمزة والهاء على قول سيبويه: «لأنَّ الهمزة أقصى الحروف وأشدّها سفولاً، وكذلك الهاء... وإنَّما الألف

---

١) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٥٥، وينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٩٥.

٢) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٩٥.

٣) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٢.

٤) الكتاب: ٤/٤٣٣، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٣.

٥) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٣.

٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠٤.

بينهما»[١]، فقد أراد سيبويه الألف حين ذكرها، وابن جنّي متابع له في ذلك[٢]. والمخطط رقم (١٣) يوضِّح مخرج الهمزة والهاء.

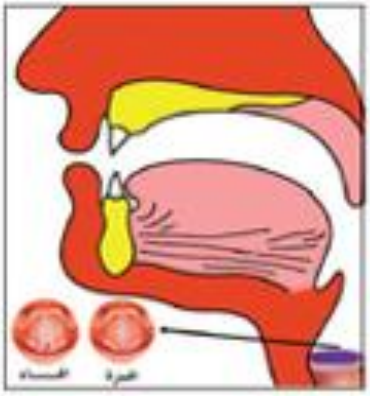

المخطط رقم (١٣) مخرج الهمزة والهاء

❖ ❖ ❖

١) الكتاب: ١٠٢/٤، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٤.

٢) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٠٤.

المبحث الثاني

مشكلة الضاد

يرى الدكتور غانم أنَّ وصف مخرج الضاد لم يعُد مطابقاً لنطق الضاد في زماننا، ممَّا يستدعي وضع الضاد في مخرج واحد مع الطاء والتاء والدال [١].

وللدكتور غانم أسبابٌ جعلته يدعو إلى جمع الضاد مع هذه الأصوات، وهي:

١. تطوّر صوت الضاد: «فإنَّ بعض الأصوات قد تغيَّر نطقها، فليس غريباً أن يعدّها علماء العربية من مخرج، ويعدّها المحدثون من مخرج آخر، ومن ذلك مخرج الضاد»[٢].

٢. طريقة نطق الضاد، يَعُدُّ أكثر المحدثين الضاد «من مخرج (ت، د، ط) بناءً على طريقة نطقه في قراءة القرآن في زماننا»[٣].

٣. ارتباط صوت الضاد مع الأصوات الثلاثة بعدد من الصفات[٤].

ويرى الباحث علي جواد كاظم أنَّ هذه الأسباب التي اعتمدها الدكتور غانم هي أسباب مقنعة «لا يمكن لباحث منصف إنكارها»[٥]، واستند الباحث في رأيه هذا إلى:

١. قول الدكتور حسام النعيمي: «إنَّ الذي دخله التغيير في أصوات العربية في الفصيح على سبيل القطع هو صوت الضادّ القديم»[٦].

٢. يرى أنَّ قُرَّاء القرآن المُجيدين ينطقون الضاد طاءً مجهورة أو دالاً مطبقة، أو ما سمّاه ابن غانم المقدسيّ الضاد الطائية[٧]، مستنداً في رأيه هذا إلى قول مُحمّد الأنطاكي: «الضاد صوت أسناني لثوي شديد مجهور مطبق، هكذا ننطق الضاد اليوم، وهكذا

---

١) المدخل إلى علم أصوات العربية: ٩٣.

٢) المصدر نفسه: ٨٩.

٣) المصدر نفسه: ٨٩.

٤) ينظر: المقدّمة الجزرية: ٣٢.

٥) البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد: ٥٤.

٦) أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٣٨، وينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد: ٥٤.

٧) بغية المرتاد لتصحيح الضاد: ١٣٠.

ينطقها المجيدون للقراءة أيضاً»[١].

٣. يرى الباحث أنَّ أكثر أقوال دارسي الأصوات المحدثين التي بُنِيَت على النتائج المختبرية تؤكد مشاركة الضاد لأصوات (ط، د، ت)[٢].

إنَّ دعوة الدكتور غانم جعلَ الضاد مع الطاء والدال والتاء في مخرج واحد، وهي دعوة توافق ما توصّلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، وبالخصوص الدراسات المختبرية على ما بيَّنَه المحدثون، واقتناع الباحث عليّ جواد كاظم بهذه الدعوة وتصريحه بأنَّه «لا يمكن لباحث منصف إنكارها»[٣]، فيه نظر.

لنناقش الأسباب التي دعت الدكتور غانم إلى هذه الدعوة، والأسباب التي استند إليها الباحث عليّ جواد كاظم، ولننظر هل تصمد هذه الأسباب أمام الحقائق الصوتية التي سنذكرها، ولكن قبل البدء بالمناقشة لا بُدَّ من الإشارة إلى:

أوّلاً: إنَّ إنعام النظر في الأسباب التي ذكرها الدكتور غانم تبيِّن أنَّه وافق المحدثين في اتّخاذهم نطق المختصّين في اللُّغة العربية، وقراءة القرآن الكريم دليلاً على تغيُّر مخرج الضاد وتغيّر صفاته.

ثانياً: إنَّ الأسباب التي ذكرها الباحث عليّ جواد كاظم لا تختلف في جوهرها عن أسباب الدكتور غانم:

١. إنَّ اتّخاذ نطق المختصّين في اللُّغة العربية في تعيين صوت الضاد ومعرفة صفاته صحيح، ولكن مَنْ هؤلاء المختصّون؟، وما هي بيئتهم؟، لأنَّني أرى أنَّ البيئة التي عاش فيها المختصُّ مهمّة جدّاً في هذا الموضوع، وعند متابعة ما كتبه المحدثون عن الضاد نلاحظ أنَّهم استعانوا بمختصّين ولدوا وعاشوا في بيئات نسبة الفصاحة فيها ليست كبيرة، ومنها بيئة مصر، يقول الدكتور كمال محمد بشر: «وقد تطوّر صوت الثاء في اللُّغة

---

١) الوجيز في فقه اللُّغة: ١٧٣، وينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد: ٥٤.

٢) ينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد: ٥٤.

٣) البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد: ٥٤.

العامّية إلى تاء كما في نحو (تعلب) وإلى سين كما في نحو (ثورة) بالنطق العامّي، وأكثر المثقّفين ينطقونه سيناً دائماً. وهو خطأٌ ظاهر يجب التخلُّص منه، وإنَّه لمن العيب أن نسمع هذا الخطأ من بعض معلِّمي اللُّغة العربية بمدارسنا»[١]، مع الإشارة إلى أنَّ هؤلاء المحدثين يعلمون أنَّ هناك بيئات عربية تكون نسبة الفصاحة فيها عالية، ومنها بيئة العراق، هذه البيئة التي يعترف المحدثون أنفسهم بفصاحة أهلها، وهذا واضح في قول الدكتور كمال بشر: «وليس أمامنا من توضيح لنطق هذا الصوت أكثر من القول: لعلها كانت تشبه ذلك الصوت الذي هو وسط بين الضاد والظاء في بعض اللهجات في البلاد العربية كالعراق والكويت، أو بعبارة أدقّ لعلَّ ما ينطقه هؤلاء الناس في هذه المناطق أثر من آثار الضادّ القديمة، أو هو تطوّر صوتي لها»[٢].

فكان من الأَولى بهؤلاء الباحثين أن يستعينوا بأهل هذه البيئات الفصيحة في دراسة صوت الضاد، قال عليّ بن غانم المقدسيّ[٣]: «فليعلم أنَّ أصل هذه المسألة أنَّهم ينطقون الضاد ممزوجة بالذال المعجمة والطاء المهملة وينكرون على مَنْ ينطق بها قريبة من الظاء المعجمة، بحيث يتوهّم بعضهم أنَّها هي، وليس كما توهّمه»[٤].

يُبيِّن ابن غانم المقدسي أنَّ الخلاف في مسألة الضاد واقع بين مَنْ ينطقها ذالاً أو طاءً، وبين مَنْ ينطقها قريبة من الظاء، ويؤكِّد المقدسيّ هذا المعنى في قوله: «قولهم... ولخرجت الضاد من الكلام إذ لا تخرج من موضعها غيرها. هذا نصُّ كلام الأُستاذ أبي حيّان في شرح التسهيل، ومثله في شرح المفصّل لابن يعيش، وهذا كما ترى يخصّ الضاد الشبيهة بالظاء، أمَّا الطائية فيخرج من مخرجها الحروف الثلاثة النطعية كما يشهد به الحسُّ بالقاعدة المعروفة في معرفة مخرج الحرف، فلو كانت الطائية عربية لوصفت بالنطعية

---

١) علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ١١٩.

٢) المصدر نفسه: ١٢٠.

٣) علي بن محمد بن علي الخزرجي، أصله من بيت المقدس، ولد ونشأ وتوفّي في القاهرة (١٠٠٤هـ)، ينظر: الأعلام: ١٢/٥.

٤) بغية المرتاد لتصحيح الضاد: ١٢١.

كما وصِفَت أخواتها، ولقالوا: لولا الإطباق لصارت الضاد دالاً بدل قولهم لخرجت من الكلام كما لا يخفى على ذوي الأفهام»[١].

وللمقدسي رأيٌ يؤكِّد كلامي المتقدِّم الذي أوضحتُ فيه أنَّه كان على المحدثين الاستعانة بأهل البيئات العربية التي يُشهَد لها بالفصاحة في دراستهم صوت الضاد، إذ يقول المقدسي: «إنَّ أهل مكّة التي هي منشأ النبيّ صَلَّى اللّهُ عَليهِ وَسَلَّمَ... إنَّما ينطقون بالضاد شبيهة بالظاء المعجمة ولا يُسمَع من أحد منهم هذه الطائية، وهم نعمَ المقتدى لمَنْ رام في هذا السبيل الاهتدا»[٢].

ثُمَّ يقول: «فيما يدلّ بالتصريح على أنَّ التلفُّظ بالضاد شبيهة بالظاء هو الصحيح، وهو المنقول من كلام العلماء الفحول، المتلقَّى كلامهم بالقبول»[٣].

ووصف المقدسي النطقَ بالضاد الطائية بأنَّه «من أسفل مراتب النطقية»[٤]؛ لأنَّ مَنْ ينطق بالضاد الطائية فقد «بدَّل حرفاً بحرف غير موافق له في المخرج وغير مشتبه به شديد اشتباه»[٥].

وأوضح أنَّ علّة تشابه لفظي الضاد والظاء على الرغم من تباعد مخرجي الصوتين، هو تشابه المخرجين، ووجه الشبه بين المَخْرَجَين هو أنَّ مخرج الضاد من حافة اللسان مع ما يحاذيها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الأسنان (أطراف الثنايا العليا)، «ولا يخفى أنَّ بين طرف اللسان وحافّته مشابهة من حيث إنَّ كلاً منهما نهاية مساحة جرم اللسان، فالطرف نهايته من جهة مقدَّم الفم، والحافة نهايتُهُ من جهة يسار الفم أو يمينه، فمخرج كُلٍّ من الظاء والضاد نهاية اللسان وبعض الأسنان، فلا جرم تشابه منهما

---

١) المصدر نفسه: ١٢٧.

٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

٣) المصدر نفسه: ١٢٧.

٤) بغية المرتاد لتصحيح الضاد: ١٣٠.

٥) المصدر نفسه: ١٣٠.

اللفظان، ولعلَّ هذا والله سبحانه وتعالى أعلم هو السبب في اشتراكهما في تلك الصفات المذكورة»[١].

وفي كلام ابن جنّي دليل على عدم جواز نطق الضاد دالاً أو ما يُسمَّى الضاد الطائية، فهو يرى «أنَّ كُلّ حرف سمّيته ففي أوّل حروف تسميته لفظه بعينه، ألا ترى أنَّك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف (جيم) وإذا قلت: دال، فأوّل حروف الحرف (دال)، وإذا قلت: حاء، فأوّل لفظه (حاء)»[٢].

ومن المعلوم أنَّ أكثر الأصوات شبهاً بصوت الضاد هو الظاء، وهذا ما أكَّدَه مكّي بن أبي طالب في قوله: «والضاد يُشبه لفظها بلفظ الظاء؛ لأنَّها من حروف الإطباق، ومن الحروف المستعلية، ومن الحروف المجهورة، ولولا اختلاف المَخْرَجَين وما في الضاد من الاستطالة، لكان لفظهما واحداً ولم يختلفا في السمع»[٣].

ممَّا تقدَّم يَتبيَّن أنَّه لا يجوز نطق الضاد طاءً مجهورة أو دالا مفخّمة، وهذا النطق يكون ناتجاً عن إخراج صوت الضاد من مخرج (ط، د، ت) نفسه.

هذا في ما يخصّ نطق المختصّين في اللُّغة العربية، وقد بيَّنت فساد اعتماد مخرج (ط، د، ت) لإخراج صوت الضاد.

أمَّا في ما يخصّ نطق القُرَّاء المجيدين، فأقول: لا أدري مَنْ هؤلاء القُرَّاء المجيدون الذين يلفظون الضاد دالاً مفخّمة أو طاءً مجهورةً، كيف يكون هذا: وعلم القراءة هو العلم الذي لا يؤخذ إلاَّ بمشافهة المشايخ والمتقنين من القُرَّاء والمقرئين، وصحيح هناك مَنْ يلفظ الضاد كأنَّها دالٌ مفخّمةٌ أو طاءٌ مجهورةٌ، وأنا أسمع بعض مَنْ يدَّعي أنَّه قد أتقن قراءة القرآن العزيز يلفظ الضاد دالاً مفخّمة أو طاءً مجهورةً، وهذا نتيجة عدم متابعة القراءة على المشايخ المقرئين المتقنين.

---

١) المصدر نفسه: ١٢٩، وينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٦.

٢) سرّ صناعة الإعراب: ٥٦/١.

٣) الرعاية لتجويد القراءة: ٣١٠.

أمَّا القول: إنَّ القُرَّاء المجيدين يلفظون الضاد دالاً مفخّمة أو طاءً مجهورةً فهذا غير صحيح وغير وارد عند أهل القراءة المخلصين.

إنَّ ما قدَّمنا من حقائق صوتية تؤكِّد عدم جواز لفظ الضاد دالاً مفخّمة أو طاءً مجهورة، ولهذا نرى أنَّ دعوة الدكتور غانم في جعله صوت الضاد مع أصوات (ط، د، ت) لا تقوم على أساس صوتي متين، فضلاً عن أنَّ هذه الدعوة تقتضي تغيير الكثير من مفاهيم علم التجويد، وتؤدِّي إلى وجود حالات من الإدغام لا تقرّها اللُّغة العربية، فعند التقاء الضاد بأصوات مخرج (الطاء، والدال، والتاء) يجب على القارئ أن يقرأها بعناية واجتهاد ليوضّح صوت الضاد لئلا يُدغَم مع هذه الأصوات، وهذا ما نبَّهَ عليه العلماء، قال أبو عمرو الداني: «فإن التقى ـ يقصد الضاد ـ بتاء تُوصِّلَ إلى إظهاره بتُؤَدةٍ ويُسرٍ وذلك نحو: ﴿أَفَضْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، و﴿وَخُضْتُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، و﴿عَرَّضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، و﴿فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، و﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ [الشعراء: ٨٠]، وما أشبهه. وكذا إن التقى بطاء... نحو ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [البقرة: ١٧٣]، و﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]، و﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ [البقرة: ١٢٦]... ومتى لم يُتفَقَّد ذلك ولم ينعم بيانه وتلخيصه اندغم»[1]. والمخطط رقم (١٤) يوضِّح مخارج أصوات (الطاء، والدال، والتاء). والمخطط رقم (١٥) يوضِّح مخرج صوت (الضاد).

---

١) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٦٣-١٦٤.

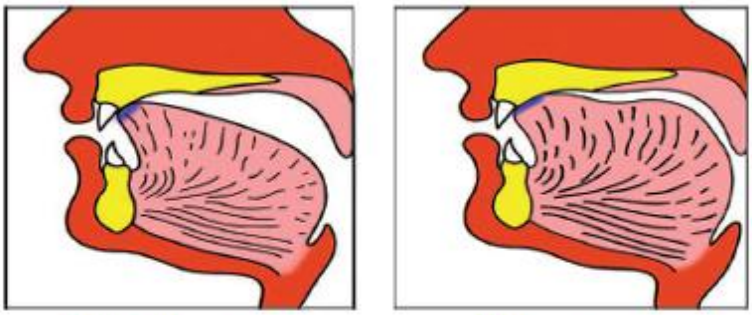

مخرج الطاء　　مخرج التاء والدال

المخطط (١٤) مخارج الطاء، والدال، والتاء

المخطط (١٥) مخرج الضاد

❖ ❖ ❖

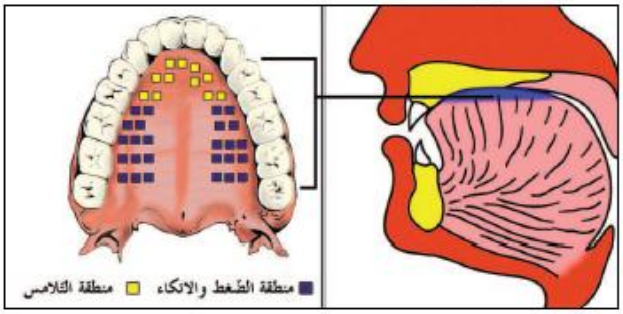

المبحث الثالث

مخارج الأصوات الصائتة

يُعَدُّ تحديد مخارج الأصوات الصائتة أصعب من تحديد مخارج الأصوات الصامتة؛ لأنَّ الصوت الصامت ينتج عن تضييق لمجرى النَّفَس أو قفل تامٍّ في موضع ما من آلة النطق، ولا يحدث ذلك في إنتاج الصوائت[١].

وقد أدرك القدماء صعوبة تحديد مخارج هذه الأصوات، وأوضح ابن سينا (٤٢٨هـ) ذلك بقوله: «وأمَّا المصوّتات فأمرها وتأثيرها عليَّ كالمشكل»[٢].

وقال عبدالوهاب القرطبي (٤٢٦هـ): «وكذلك الفتح من الألف، ولا آلة للألف يدركها النظر؛ لأنَّ مخرجها من الحلق»[٣].

وقال رضي الدين الاستراباذي ـ وهو يشير إلى مخرج الفتحة والكسرة ـ : «وأمَّا الكسرة فهي جزء الياء التي مخرجها وسطُ اللسان والفتحة جزء الألف التي مخرجها الحلق وهما محجوبان بالشفتين والسِّنِّ، فلا يمكن المخاطب إدراك تهيئة المَخرَجَين للحركتين»[٤].

وبيَّنَ الدكتور غانم قدوري أنَّ للقدماء اتجاهين في تحديد مخارج الأصوات الصائتة، وهذان الاتّجاهان هما[٥]:

الاتّجاه الأوّل: ينظر إلى أصوات المدّ الثلاثة وصوتَي اللين دون تفريق بين الواو والياء المدِّيتين والواو والياء الليّنتَين، وفي هذا الاتّجاه مذهبان لتحديد مخارج الأصوات الصائتة، وهما:

المذهب الأوّل: مذهب الخليل، الذي عَدَّ أصوات المدِّ هوائية تخرج من الجوف، إذ قال: «في العربية تسعة وعشرونَ حَرفاً: منها خمسة وعشرونَ حَرفاً صِحَاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة. والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً لأنَّها تَخرج من الجوف فلا تَقَع في مدرجة من مدارج اللِّسان، ولا من مدارج الحَلق، ولا من مدرج اللّهاة،

---

١) ينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٦٣، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٤.

٢) رسالة أسباب حدوث الحروف: ١٣٦، وينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٦٣.

٣) الموضح: ٢٠٩، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٦٤.

٤) شرح شافية ابن الحاجب: ٢/ ٢٧٦.

٥) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٦١، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٦-١٦٧.

إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيّز تُنسَب إليه إلاَّ الجَوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللَّينَة والواو والياء هوائية، أي: أنَّها في الهواء»[١].

وأوضح الدكتور غالب المطّلبي أنَّ قول الخليل بعدم وجود مخرج لأصوات المدِّ يعني أنَّه لا أثر للاحتكاك في إصدار هذه الأصوات؛ لأنَّ المخرج في الدرس الصوتي الحديث هو منطقة الاحتكاك التي يصدر عنها الصوت اللُّغويّ.

ويرى أنَّ إدخال صوت الهمزة مع أصوات المدّ في هذه الطبيعة الصوتية ـ وصوت الهمزة من الصوامت الانفجارية ـ أمر قد يكون نتيجة تحريف أو تصحيف، وأنَّ هذا التحريف جاء بسبب خطأ في فهم كلام الخليل على الحروف المعتلّة؛ إذ إنَّه تحدّث عن أصوات العلّة ووصفها بالضعف والانقلاب في أثناء التصريف. وهذا يعني أنَّ الخليل أراد بيان مسلك أصوات المدّ الصرفي من تغيّر وانقلاب وسقوط وعلائق فونولوجية مشتركة، وأنَّه لا يفي طبيعتها الصوتية.

و يؤكِّد الدكتور غالب أنَّ فكرة الخليل عن العلاقة بين صوت الهمزة وأصوات المدّ كانت صحيحةً من قبل وجهة النظر الفونولوجية، إذ إنَّ الهمزة قد تتبادل معها المواقع دون تغيّر في المعنى، نحو: (قاول: قائل)، و(بايع: بائع)، و(إدهام: أدهأم)[٢].

ولكنَّ الدكتور غانم قدوري يرى عكس ما يراه الدكتور المطّلبي، فهو يرى أنَّ سبب جمع القدماء بين صوت الهمزة وأصوات المدّ هو اشتراك هذه الأصوات الأربعة في صفة الجهر، وأوضح الدكتور غانم أنَّ القدماء أرادوا بمخرج الهمزة الوترين الصوتيَين، وحروف المدّ جميعها مجهورة، والجهر صفة مصدرها الوتران الصوتيّان، ومن هنا ربطوا بين مخارج هذه الأصوات الأربعة[٣].

---

١) العين: ١/ ٥٧.

٢) ينظر: الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٧٠-٧١.

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٦٧.

المذهب الثاني: مذهب سيبويه الذي جعل لكُلّ صوت منها مخرجاً محدّداً، فالألف من أقصى الحلق مع الهمزة والهاء، والياء من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى مع الجيم والشين، والواو من الشفتين مع الباء والميم[١].

الاتّجاه الثاني: ينظر إلى هذه المجموعة على أنَّها تتألّف من خمسة أصوات، ثلاثة صائتة هي أصوات المدّ، واثنان صامتان هما الواو والياء الليّنان، ويُمثّل هذا الاتّجاه ابن سينا وبعض علماء التجويد المتأخِّرين[٢].

قال ابن سينا: «وأمَّا الواو الصامتة، فإنَّها تحدث حيث تحدث الفاء، ولكن بضغطٍ وحَفْزٍ للهواء ضعيف، لا ينافِسُ في انضغاطه سطحَ الشَّفة، ثُمَّ يُتمُّ هيئتَه بقلع أيضاً للمقدار المنطبق من الشَّفة في الفاء.

وأمَّا الياء الصامتة فتحدث حيث تحدث الطاء والجيم وغير ذلك، ولكنْ بتَعرُّضٍ للحبس يسير وصفير ضعيف»[٣].

وقال: «أمَّا الألف المصوّتة وأُختها الفتحة فأظنُّ أنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم.

وأمَّا الواو المصوّتة وأُختها الضمّة فأظنُّ أنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلسل إلى فوق.

وأمَّا الياء المصوّتة وأُختها الكسرة فأظنُّ أنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلسل إلى أسفل»[٤].

وأمَّا علماء التجويد فقد ميَّزوا بين مَخرجَي الواو والياء الصائتَين ومَخرَجَي الصامتين، قال مُحمّد بن محمود السمرقندي (٧٨٠هـ): «وقِيلَ: إنَّ الألف والواو والياء، إذا سكنت وتحرَّك ما قبلها بجنسها، جوفية أو هوائية، أو هاوية؛ لأنَّها لا تقع في الأحياز التي

---

١) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤.

٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٩.

٣) رسالة أسباب حدوث الحروف: ١٣٦.

٤) رسالة أسباب حدوث الحروف: ٨٤-٨٥.

ذكرناها فتنسب إليها، لكنَّها تخرج من الجوف، فتذهب في هواء الفم، والأصحّ: إنَّ الألف من هواء الحلق.

والياء الساكنة المكسور ما قبلها من هواء وسط الفم.

والواو الساكنة المضموم ما قبلها من هواء الشَّفة.

والياء المتحرِّكة والساكنة المفتوح ما قبلها شجريّة.

والواو المتحرِّكة والساكنة المفتوح ما قبلها شفوية»[١].

وقَسَّمَ مُحمّد المرعشي مخارج الأصوات إلى مخرج محقّق، ومخرج مقدَّر[٢]، وأوضح الدكتور غانم أنَّ تفريق علماء التجويد بين مخرَجَي الواو والياء الصائتَين، ومخرَجَي الصامتَين شيء صحيح أقَرَّه المحدثون[٣]. والمخطط رقم (١٦) يوضِّح مخارج هذه الأصوات.

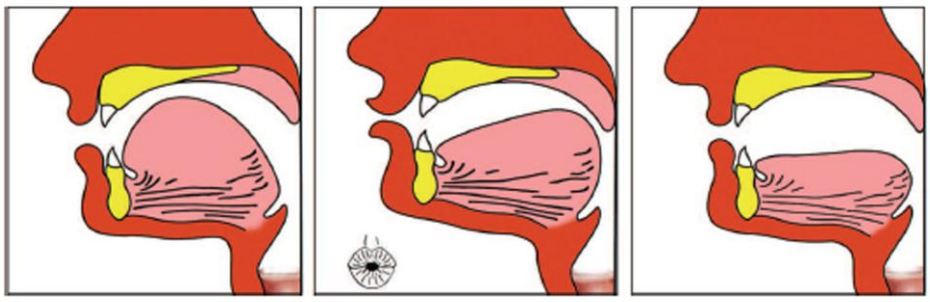

المخطط رقم (١٦) مخارج الأصوات الصائتة

❖ ❖ ❖

١) روح المريد: ٦٥-٦٦.

٢) ينظر: جهد المقل: ١٢٣-١٢٥.

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٦٨، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ١٧١.

المبحث الرابع

صفات الأصوات التي لها ضدٌّ

توطئة

قد يشترك أكثر من صوتٍ في مخرج واحد، وصفة الصوت هي التي تميّزه من غيره من الأصوات التي تشترك معه في المخرج الواحد، وقد تشترك بعض الأصوات في صفات مُعيَّنة، وتفترق في أُخرى، كاشتراك أصوات الإطباق ـ وهي أصوات (ص، ض، ط، ظ)[١] ـ في صفة الإطباق والاستعلاء، وتفترق فيما بينها في صفات الصفير، والاستطالة، والقلقة، فصوت الصاد يتميّز من هذه المجموعة من الأصوات بصفة الصفير، والضاد يتميَّز منها بصفة الاستطالة، والطاء يتميّز منها بصفة القلقة.

وقد تنفرد بعض الأصوات العربية بصفة مُعيَّنة لا تشترك معها بقية الأصوات في هذه الصفة، فصوت الضاد ينفرد بصفة الاستطالة، وصوت الراء ينفرد بصفة التكرير[٢]، وصوتا النون والميم يتميّزان بصفة الغُنَّة عن سائر أصوات العربية[٣].

تُقسَم الأصوات اللُّغويّة إلى: صوامت، وصوائت.

وينبني هذا التقسيم على أساسين: الأوّل عضويّ، والثاني صوتيّ.

أمَّا الأساس العضوي، فقد لحظ العلماء أنَّ الهواء ينطلق حرًّا طليقاً من دون أن يقف في طريقه أيّ عائق أو حائل، وذلك حين النطق بالصائت، وقد يصادف الهواء اعتراض كامل أو جزئي في مجراهن وذلك حين النطق بالصامت[٤].

وقد ميَّزَ ابن جنّي بين نوعَي الأصوات اللُّغويّة، إذ قال: «ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تَبايُنِ أصدائها، ما شَبَّهَ بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنَّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صَنعة، فإذا وضع الزامرُ أنامله على خروق الناي المنسوقة،

---

١) ينظر: الكتاب: ٤٣٦/٤.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٥/٤.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٤/٤، و٤٥٤/٤.

٤) ينظر: علم اللُّغة العامّ (الأصوات): ٧٤، والدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٥٣.

وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمِعَ لكُلّ خرق منها صوتٌ لا يُشبِه صاحبَه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»[١]. وشَبَّهَ ابن جنّي كيفيّة حدوث الصوت اللُّغويّ بوتر العود وأثر الأصابع عليه، فقال: «ونظير ذلك أيضاً وَتَرُ العود، فإنَّ الضارب إذا ضربه وهو مرسل، سمعت له صوتاً، فإن حَصَر آخِرَ الوتَر ببعض أصابع يُسراه، أدَّى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً، سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كُلّما أدنى أصبعه من أوّل الوتر تشكَّلت لك أصداء مختلفة، إلاَّ أنَّ الصوت الذي يؤديه الوَتر غُفلاً غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أدَّاه وهو مضغوط محصور، أملس مهتزّاً، ويختلف ذلك بقدر قوّة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته»[٢]، واستطرد قائلاً: «فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأوّل الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غُفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرِضُ للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا.

وإنَّما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم يكن هذا الفنُّ ممَّا لنا ولا لهذا الكتاب به تعلُّق، ولكنَّ هذا القبيل من هذا العلم، أعني علم الأصوات والحروف، له تعلُّق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»[٣].

وتعجَّبَ أُستاذنا الدكتور مُحمّد حسين آل ياسين من قول ابن جنّي: «ما شَبَّهَ بعضهم الحلق والفم بالناي»، وتساءل: لماذا لم يذكر ابنُ جنّي أنَّ هذا التشبيه هو للإمام الصادق (عليه السلام)؟ لأنَّ الدكتور مُحمّد حسين آل ياسين يرى أنَّ هذا الوصف لأعضاء النطق هو للإمام الصادق المنقول عنه في كتاب التوحيد المرويّ عن المفضَّل بن عمر[٤].

---

١) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٢١-٢٢.

٢) المصدر نفسه: ٢٢/١.

٣) المصدر نفسه: ٢٢/١، وينظر: الأصوات اللُّغويّة: ١٦٧-١٦٨.

٤) من محاضرات الأستاذ الدكتور مُحمّد حسين آل ياسين على طلبة الماجستير للعام ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «أطِلِ الفكر يا مُفضَّلُ في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أنَّ مَنْ سقطت أسنانه لم يقم السين ومَنْ سقطت شفته لم يصحِّح الفاء ومَنْ ثقل لسانه لم يفصح الراء وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزقّ الذي يُنفَخ فيه لتدخل الريح والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتَّى تجري الريح في المزامير والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً غير أنَّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإنَّ المزمار في الحقيقة هو المشبَّه بمخرج الصوت، قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أُخرى»[١].

وقال الدكتور حسن الأسدي وهو يشير إلى قول الإمام الصادق (عليه السلام): «وقد استحسن هذا التشبيه بعض علماء العربية البارزين في الدراسات الصوتية، وهو ابن جنّي (٣٩٢هـ): ولكنَّه لم ينسبه إلى قائله صراحةً، بل أبهم، فنسب الأمر إلى بعضهم»[٢].

وأوضح أنَّ الإمام قَسَّمَ أعضاء النطق عند الإنسان على قسمين رئيسين، هما:

القسم الأوّل: الحنجرة.

القسم الثاني: اللسان والشفتين والأسنان، وبها يتمُّ إنتاج الأصوات المتنوّعة[٣].

وبيَّنَ أنَّ الإمام الصادق حدَّدَ مخارج بعض الأصوات، وبهذا يضع الإمام أوّل لبنة في مخارج الحروف[٤].

---

١) كتاب التوحيد: ٣٢.

٢) الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن مُحمّد الصادق (عليه السلام): ٢٧٤.

٣) المصدر نفسه: ٢٧٤.

٤) المصدر نفسه: ٢٧٦.

ويرى الدكتور حسن الأسدي أنَّ الإمام الصادق أرسى الأسس الأُولى لعلم الأصوات العامّ في جوانبه الثلاثة[١].

وبيَّنَ أنَّ للإمام الصادق (عليه السلام) الريادة في أهمّ المصطلحات الصوتية، منها: الصوت، ومخرج الصوت، والحرف، والآلة، وأعضاء النطق[٢].

أمَّا الأساس الصوتي فهو نسبة الوضوح السمعي، فقد لحظ العلماء أنَّ الصوامت أقلُّ وضوحاً في السمع من الصوائت، «ولهذا عُدَّ الأساس الذي بُنِيَ عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة، وأصوات اللين أساساً صوتياً، وهو نسبة وضوح الصوت في السمع»[٣].

ولأصوات اللام والميم والنون نسبة وضوح تقرب من الصوائت، ولذا يميل بعض المحدثين «إلى تسميتها (أشباه أصوات اللين)، ومن الممكن أن تُعدُّ حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين»[٤].

تنقسم الأصوات العربية على:

١. الصوامت، وعددها ثمانية وعشرون، وهي: الهمزة، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء.

٢. الصوائت، وعددها ستة، ثلاثة منها قصار وهي الحركات (الفتحة والكسرة، والضمّة)، وثلاثة منها طوال، وهي أصوات المدّ (الألف، والياء، والواو).

---

١) المصدر نفسه: ٢٨٠.

٢) المصدر نفسه: ٢٨١.

٣) الأصوات اللُّغويّة: ٢٠٧.

٤) المصدر نفسه: ٢٧.

فائدة الصفات

للصفات ثلاث فوائد، وهي:

الأُولى: تمييز الأصوات المشتركة في المخرج الواحد.

الثانية: معرفة الصوت القويّ من الصوت الضعيف ليتبيَّن ما يجوز إدغامه وما لا يجوز.

الثالثة: تحسين لفظ الأصوات المختلفة المخارج.

قال المراديُّ (٧٤٩هـ): «اعلم وفّقك الله أنَّ هذه الصفات المذكورة تميّز الحروف المشتركة في المخرج ولولاها لاتّحدت أصواتها ولم تتميّز ذواتها، قال المازني: الذي فصل بين الحرف التي ائتلف منها الكلام سبعة أشياء... قال الرمّاني وغيره: لولا الإطباق (لصارت الظاء ذالاً) ولصارت الطاء دالاً؛ لأنَّه ليس بنيهما فرقٌ إلاَّ الإطباق، ولصارت السين صاداً ولخرجت الضاد من كلام العرب؛ لأنَّه ليس من موضعها شيء غيرها فهذه إحدى فائدة الصفات وهي تميُّز الحروف المشتركة في المخرج والفرق بين ذواتها، ولها فائدة أُخرى وهي تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج... ثُمَّ اعلم أنَّ هذه الصفات المذكورة تنقسم إلى صفات قوّة وإلى صفات ضعف»[١].

تقسيم الصفات

تنقسم الصفات على قسمين[٢]:

الأوّل: الصفات الذاتية اللازمة للصوت، التي لا تنفكُّ عنه مطلقاً.

الثاني: الصفات العرضية التي تَعرِض للصوت في بعض الأحيان، فأمَّا الصفات الذاتية، فقد اختلف العلماء في عددها، والرأي المشهور في عدد هذه الصفات هو رأي ابن الجزري الذي عَدَّها سبعة عشر صفةً.

تنقسم الصفات الذاتية على قسمين، هما[٣]:

---

١) المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٨-٦٩.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٣٦.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٣٦.

الأوّل: الصفات التي لها ضدٌّ، وهي: الهمس وضدّه الجهر، والشدّة وضدّها الرخاوة، والاستعلاء وضدّه الاستفال، والإطباق وضدّه الانفتاح، والإذلاق وضدّه الإصمات.

الثاني: الصفات التي لا ضدَّ لها، وهي: الصفير، والقلقلة، واللين، والانحراف، والتكرير، والتفشّي، والاستطالة، والغُنَّة.

وفيما يأتي معنى الصفات التي لها ضدٌّ:

أوّلاً: الجهر والهمس

١. الجهر: ومعناه لغةً: «جَهَرَ الشيءُ: إذا ظهر، وأجهرتُه أنا، وأجهر فلان ما في صدره، ورأيته جهرةً، أي عياناً. وجهر بكذا: أعلنه. وقد جهر بكلامه وقراءته: رفع بهما صوته»[١].

واصطلاحاً: «منع النَّفَس أن يجري مع الحرف لقوّة الاعتماد عليه»[٢].

وقد عَرَّف سيبويه المجهور في قوله: «حرفٌ أُشبِعَ الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»[٣].

٢. الهمس، ومعناه لغةً: «الخفِيُّ من الصَّوتِ وَالوَطْءِ والأَكل، وقد هَمَسُوا الكلامَ هَمْساً. وفي التنزيل: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨]»[٤].

و اصطلاحاً: قال مكّي بن أبي طالب: «ومعنى الحرف المهموس أنَّه حرف جرى مع النَّفَس عند النطق به لضعفه، وضعف الاعتماد عليه عند خروجه، فهو أضعف من المجهور»[٥].

---

١) أساس البلاغة: مادّة (جهر).

٢) المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٤.

٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

٤) لسان العرب: مادّة (همس).

٥) الرعاية لتجويد القراءة: ٢١٧.

وقد عَرَّف سيبويه الصوت المهموس في قوله: «والمهموس حرفٌ أُضعِفَ الاعتماد في موضعه حتَّى جرى النَّفَس معه»[١].

ثانياً: الشدّة والرخاوة

١. الشدّة: ومعناها لغةً: «الصلابة»[٢].

واصطلاحاً: «انحصار صوت الحرف عند مخرجه بحيث لا يجري معه الصوت حين النطق به»[٣].

٢. الرخاوة: ومعناها لغةً: «الرِّخْوُ والرَّخْوُ والرُّخْو: الهَشُّ من كُلِّ شيءٍ»[٤].

واصطلاحاً: قال مكّي بن أبي طالب: «ومعنى الحرف الرَّخْو: أنَّه حرفٌ ضَعُفَ الاعتماد عليه في موضعه عند النطق به، فجرى معه الصوت، فهو أضعف من الشديد»[٥].

ثالثاً: الاستعلاء والاستفال

١. الاستعلاء: ومعناه لغةً: «عُلْو كُلِّ شَيْءٍ وعِلْوه وعَلْوُه وعُلاوَتُه وعَالِيه وعالِيَتُه: أَرْفَعُه... وَعَلا الشيءُ عُلُوًّا فَهُوَ عَلِيٌّ... وَعَلا النهارُ واعتلى واستعلى: ارتفع»[٦].

واصطلاحاً: «ارتفاع اللسان بالحرف إلى الحنك»[٧].

٢. الاستفال: ومعناه لغةً: «السُّفْلُ والسِّفْلُ والسُّفُولُ والسَّفَال والسُّفَالَة، بالضَّمِّ. نقيضُ العُلْوِ

---

١) الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

٢) لسان العرب: مادّة (شدد).

٣) المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٥.

٤) لسان العرب: مادّة (رخو).

٥) الرعاية لتجويد القراءة: ٢١٠.

٦) لسان العرب: مادّة (علو).

٧) المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٥.

والعِلْوِ والعُلُوِّ والعَلاءِ والعُلاوة. والسُّفْلَى: نقيضُ العُلْيا»[١].

واصطلاحاً: قال مكّي بن أبي طالب: «وإنَّما سُمِّيَت مستفلة ـ يعني الحروف ـ؛ لأنَّ اللسان والصوت لا يستعلي عند النطق بها إلى الحنك»[٢].

رابعاً: الإطباق والانفتاح

١. الإطباق: ومعناها لغةً: «الطَّبَقُ غِطَاءُ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَطْباق، وَقَدْ أَطْبَقَه وطَبَّقَه انْطَبَقَ وتَطَبَّقَ: غَطَّاه وَجَعَلَهُ مُطَبَّقاً»[٣].

واصطلاحاً: «هو أن ينطبق اللسان على الحنك عند اللفظ بالحروف»[٤].

٢. الانفتاح: ومعناها لغةً: «الفَتحُ: نقيضُ الإغلاقِ، فَتَحه يَفْتَحه فَتْحاً وافْتَتَحه وفتَّحَه فانْفَتَحَ وتَفَتَّحَ»[٥].

واصطلاحاً: قال مكّي بن أبي طالب: «إنَّما سُمِّيَت بالمنفتحة ـ يعني الحروف ـ ؛ لأنَّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بين اللسان والحنك، وتخرج الريح عند النطق»[٦].

خامساً: الذلاقة والإصمات

الذلاقة لغةً: «حِدَّة كُلِّ شَيْءٍ: ذَلْقُه، وذَلْقُ كُلِّ شَيْءٍ حَدُّه... وذلَقُ اللِّسَانِ وذَلَقَته: حِدَّته، وذَوْلقُه طَرَفُهُ. وكلُّ محدَّد الطرَف مُذَلَّق، ذَلُقَ ذَلاقَةً، فَهُوَ ذَلِيق وذَلْق وذُلَق وذُلُق... والذَّلِيق: الفصيحُ اللسانِ»[١].

---

١) لسان العرب: مادّة (سفل).

٢) الرعاية لتجويد القراءة: ٢٢٧.

٣) لسان العرب: مادّة (طبق).

٤) المفيد في شرح عمدة المجيد: ٦٥.

٥) لسان العرب: مادّة (فتح).

٦) الرعاية لتجويد القراءة: ٢٢٥-٢٢٦.

واصطلاحاً: «السرعة في النطق»[٢].

الإصمات لغةً، قال ابن منظور: «وَالْحُرُوفُ المصْمَتة: غيرُ حُرُوفِ الذَّلاقةِ، سُمِّيَتْ بذَلِكَ؛ لأنَّه صُمِتَ عَنْهَا أَن يُبْنَى مِنْهَا كَلِمَةٌ رُبَاعِيَّةٌ، أَو خُمَاسِيَّةً، مُعَرَّاة مِنْ حُرُوفِ الذَّلاقَةِ»[٣].

واصطلاحاً: قال مكّي بن أبي طالب: «معنى المصمتة: الممنوع من أن تنفرد في كلمة وطويلة من قولهم: صَمَتَ، إذا منع نفسه من الكلام»[٤].

❖ ❖ ❖

١) لسان العرب: مادّة (ذلق).

٢) بغية المرتاد لتصحيح الضاد: ١٣٢.

٣) لسان العرب: مادّة (صمت).

٤) الرعاية لتجويد القراءة: ٢٤٣.

المبحث الخامس

مشكلة القاف والطاء

يرى المستشرق برجستراسر أنَّ «الطاء مهموسة اليوم، مجهورة عند القدماء، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماماً»[١].

أمَّا المستشرق (شادِه) فيرى أنَّ نطق الطاء العتيق يوجد في جنوب جزيرة العرب، فيقول: «سيبويه يعُدُّ من المجهورة الطاء والقاف، وفي لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية في إنتاجها، ولكنَّ ذلك لا يصحّ إلاَّ عن لفظ المدارس، وأمَّا اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة، فإنَّ سكَّان جنوب جزيرة العرب مثلاً، يلفظون الطاء، كأنَّها ضاد المصريين، والقاف كأنَّها جيم المصريين بإطباق، فيقولون مثلاً: وجع فوجنا مَضَر، يعني: وقع فوقنا مطر، أو قَضَعْت وَرَجَه، يعي: قطعت ورقة، ومثل ذلك يصُحّ عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب، ومن اللهجات العصرية»[٢].

وأمَّا الدكتور إبراهيم أنيس فيعترف بالتطوّر الذي أصاب صوت الطاء، فيقول: «وقد أجمع الرواة في وصفهم للطاء القديمة، على أنَّها صوت مجهور، ممَّا يحملنا على الاعتقاد بأنَّ الطاء القديمة تخالف التي ننطق بها الآن، على أنَّ وصف الطاء في كتب الأقدمين، لا يمكن للباحث المدقِّق من تحديد كُلّ صفات ذلك الصوت، ولا كيف كان ينطق به على وجه الدقّة»[٣].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الطاء كانت صوتاً يشبه الضاد المصرية، إذ قال: «غير أنَّه من الممكن أن نستنتج من وصفهم أنَّها كانت صوتاً يشبه الضاد التي نعرفها الآن، وهنا يتّضح معنى قول ابن الجزري: إنَّ المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاءً مهملةً»[٤].

واستنتج الدكتور إبراهيم أنيس من وصف القدماء للقاف «أنَّه ربَّما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن من القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب

---

١) التطوّر النحوي في اللُّغة العربية: ٦.

٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا: ١٣.

٣) الأصوات اللُّغويّة: ٥٧.

٤) الأصوات اللُّغويّة: ٥٧.

العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، إذ نسمعها نوعاً من الغين»[١].

وتابع الدكتور غانم قدّوري الحمد المحدثين في أنَّ صوت الطاء الذي وصفه القدماء صوت مجهور يشبه صوت الضاد المصرية، وأيَّدَ ذلك بقول سيبويه: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيءٌ من موضعها غيرها»[٢].

وأوضح أنَّ هذا النصّ صريح في أنَّ الطاء العربية هي النظير المطبق للدال، وأنَّه إذا أُزيلَ عنها الإطباق صارت دالاً، وهذا الوصف ـ على رأي الدكتور غانم ـ ينطبق على الضاد المصرية، وهذا يعني أنَّ تحوّلاً حصل في نطق الطاء والضاد معاً[٣].

وأيَّدَ الدكتور غانم رأيه هذا بوصف ابن غانم المقدسيّ (١٠٠٤هـ) نطق أهل مصر للضاد، قال المقدسيُّ: «لـمَّا رأيت بمحروسة القاهرة التي هي زين البلاد كثيراً من أفاضل الناس فضلاً عن الأوغاد يخرجون عن مقتضى العقل والنقل في نطق الضاد... فليعلم أنَّ أصل هذه المسألة أنَّهم ينطقون بالضاد ممزوجة بالدال المفخّمة أو الطاء المهملة»[٤].

واستخلص الدكتور الحمد من عرض مسألة الطاء «أنَّ وصف علماء العربية وعلماء التجويد للطاء بأنَّه صوت مجهور وصف صحيح، وهذا الوصف يُمثّل الطاء العربية القديمة التي لم تحافظ على خصائصها الصوتية، فلحقها الهمس وصارت تنطق اليوم تاءً مطبقةً، في حين صارت الطاء العربية القديمة المجهورة حرفاً آخر في بعض البلدان، فصارت تُمثّل

---

١) الأصوات اللُّغويّة: ٧٤.

٢) الكتاب: ٤٣٦/٤.

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٣.

٤) بغية المرتاد لتصحيح الضاد: ١٢٠-١٢١.

الضاد في نطق أهل مصر ومَنْ سار على منوالهم، بعد أن اختفت الضاد العربية القديمة من الاستخدام»[١].

وتناول الدكتور حسام النعيمي مشكلة القاف والطاء، وكان المستشرق برجستراسر قد أثار مشكلة الاختلاف في صفة القاف والطاء بين الجهر والهمس في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩م[٢]. وقد نشرها الدكتور رمضان عبدالتوّاب بعنوان (التطوّر النحوي للغة العربية).

وصف القدماء صوتي القاف والطاء أنَّهما صوتان مجهوران[٣]، ووصفهما المحدثون انهما صوتان مهموسان[٤]، فهل حصل لهذين الصوتين تحوّل جعل منهما صوتين مهموسين بعد أن كانا صوتين مجهورين كما وصفهما القدماء؟

للإجابة عن هذا التساؤل وضع الدكتور النعيمي ضابطاً للقول بالتحوّل أو الثبات في صوتَي القاف والطاء، وهذا الضابط هو:

١. كيف ينطق قُرَّاء القرآن المجيدون الصوت الذي ندرسه.

٢. كيف ينطقون الصوت نفسه في لهجاتهم المحلّية.

فإن اتّفق القُرَّاء على نطق الصوت في قراءة القرآن، وإن اختلفوا فيه في لهجتهم، دَلَّ ذلك على ثبات الصوت، وإن اختلف القُرَّاء في نطقه في قراءة القرآن دَلَّ ذلك على التحوّل[٥].

وبيَّنَ الدكتور حسام أنَّ الذي أورده المحدثون عن الهمس في القاف والطاء مبنيٌّ على مصطلح الجهر والهمس عندهم لا عند القدماء، فالمجهور عند المحدثين هو الذي يهتزّ الوتران الصوتيّان حال النطق به، والمهموس عندهم بعكس المجهور هو الذي لا يهتزّ الوتران الصوتيّان حال النطق به[٦].

---

١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٤٧.

٢) ينظر: التطوّر النحوي للغة العربية: ٣.

٣) الكتاب: ٤٣٣/٤.

٤) الأصوات اللُّغويّة: ٥٧-٥٨ و٧٣-٧٥، والمدخل إلى علم العربية ومناهج البحث اللُّغويّ: ٧٥.

٥) أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٩.

٦) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٦٢، وعلم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٦٨.

واهتزاز الوترَين الصوتيَّين وعدمه غير منظور إليه في مصطلحي الجهر والهمس عند القدماء[١]، ولهذا أوضح الدكتور النعيميّ أنَّه «ليس صحيحاً أن يحاكم القدماء على وفق المعنى الذي وصفناه لمصطلح وافقناهم في لفظه وخالفناهم في معناه، بل الصواب أن ننظر في مرادهم من المصطلح ثُمَّ نرى أكانوا على صواب فيما وصفوه أم لا»[٢].

وقد حدَّدَ سيبويه المجهور والمهموس في قوله: «المجهور حرفٌ أُشبِعَ الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتَّى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت... وأمَّا المهموس فحرفٌ أُضعِفَ الاعتماد في موضعه حتَّى جرى النَّفَس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النَّفَس. ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه»[٣].

وقد تابع علماء العربية وعلماء التجويد سيبويه في هذا التحديد فضابط الجهر والهمس عند القدماء جرى النَّفَس مع الحرف أو عدمه، ونقل الدكتور إبراهيم أنيس من شرح السيرافي أنَّ الأخفش قال: «سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور، فقال: المهموس إذا أخفيته ثُمَّ كَرَّرته، أمكنك ذلك، وأمَّا المجهور فلا يمكنك ذلك فيه، ثُمَّ كَرَّرَ سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: ألاَّ ترى كيف يمكن، وكَرَّرَ الطاء والدال، وهما من مخرج التاء فلم يمكن»[٤]، وقد ضمَّ الدكتور حسام هذا النصّ إلى ما وَرَدَ في تحديد المهموس ووضع ضابطاً لتمييز المهموس من المجهور، وهذا الضابط هو الطريقة الآتية:

١. اخفض صوتك بالحرف إلى أدنى ما تستطيع ـ الإخفاء ـ.

٢. ردِّد الصوت بالحرف ـ التكرار ـ .

٣. أجرِ النَّفَس وأنت تقوم بهذه المحاولة ـ جرى النَّفَس ـ .

فإذا سُمِعَ الصوت بوضوح وبصوت مرتفع فالحرف مهموس، أي: إذا لم تؤدِّ التجربة إلى سماع صوت آخر، فهو مهموس، وإذا أدَّت التجربة إلى سماع صوت آخر، فالصوت مجهور،

---

١) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٧.

٢) المصدر نفسه: ٢٧.

٣) الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

٤) الأصوات اللُّغويّة: ١٣٠.

وذكر الدكتور النعيميّ أنـّه قد جرَّبَ ذلك مع الأصوات المهموسة جميعاً فأمكنه ذلك، وفهمها السامع وميَّزَ أصواتها[١].

ويرى الدكتور حسام أنَّ هذه التجربة تثبت أنَّ الطاء والقاف لا ينطبق عليهما ضابط الهمس، فهي إذن مجهورة بضابط القدماء، وهذا يعني «أنَّ الصوت الشائع الفصيح اليوم للقاف والطاء هو الصوت القديم لهما»[٢]، قال الدكتور النعيميّ «وبهذا نكون قد قدَّمنا ثبات الصوتَين بين يدي دعاوى تحوّل القاف عن الكاف المجهورة، والطاء عن الضاد المصرية»[٣].

المبحث السادس

صفات الأصوات التي لا ضدَّ لها

١) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٧-٢٨.

٢) أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٢٨.

٣) المصدر نفسه: ٢٨.

١. ***الصفير***: وهي الصفة التي تختصُّ بها أصوات الصاد والسين والزاي.

الصفير لغةً: «مِنَ الصَّوْتِ بِالدَّوَابِّ إِذا سُقِيَتْ، صَفَرَ يَصْفِرُ صَفِيراً، وصَفَرَ بِالْحِمَارِ وصَفَّرَ: دَعَاهُ إِلى الْمَاءِ»[١].

واصطلاحاً: «حدَّةُ الصوتِ، كالصوتِ الخارجِ عن ضغط ثُقب»[٢].

وذكر سيبويه مصطلح الصفير في قوله: «وأمَّا الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنَّهن حروف صفير، وهُنَّ أندى في السمع»[٣].

وذهب الشيخ جلال الحنفي ـ وهو يشير إلى مخرج أصوات الصفير ـ إلى أنَّ هناك بعداً ظاهراً بين الصاد والسين «يفسد به ويتغيّر المعنى المراد من اللفظ عند النطق به على هيئة السين، كقولنا: (نَصَبٌ، ونَسَبٌ)، و(صارَ، وسارَ)، و(صَيْف، وسَيْف)، و(نَصْرٌ، ونَسْرٌ)»[٤].

ولا يخفى على أحد أنَّ الصفات هي التي تميِّز بين أصوات المخرج الواحد، ومنها أصوات الصفير، قال مكّي بن أبي طالب: «والصاد أقواها للإطباق والاستعلاء اللَّذَين فيهما، والزاء تليها في القوّة للجهر الذي فيها، والسين أضعفها للهمس الذي فيها»[٥].

ويبدو لي أنَّ الشيخ جلال الحنفي كان يدرك أنَّ الصفات هي التي تميز بين الأصوات، إذ قال: «وكذلك قالوا: إنَّ الدال والتاء والطاء من مخرج واحد، في حين أنَّ بعض هذه الحروف إطباقي استعلائي، وبعضها استفالي»[٦].

٢. ***القلقلة***: وهي الصفة التي تختصُّ بها أصوات القاف، والطاء، والباء، والجيم، والدال.

---

١) لسان العرب: مادّة (صفر).

٢) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٤٧.

٣) الكتاب: ٤٦٤/٤.

٤) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧.

٥) الرعاية: ٢٢٧-٢٢٨.

٦) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧.

القلقلة لغةً: قال أبو عليٍّ القالي (ت٣٥٦هـ): «وقال الخليل: القلقلة والتقلقل شدّة اضطراب الشيء وتحرُّكه وقلّة ثبوته في المكان»[١].

واصطلاحاً: «صويتٌ حادثٌ عند خروج حروفها لضغطه عن موضعه»[٢].

وصف سيبويه أصوات القلقلة في قوله: «واعلم أنَّ من الحروف حروفاً مشربة ضُغِطَت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صويتٌ ونبا اللسان عن موضعه، وهي حروف القلقلة... وذلك القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء»[٣].

وذكر ابن جنّي أنَّ بعض العرب أشدُّ تصويتاً في نطق أصوات القلقلة وقفاً، إذ قال: «واعلم أنَّ في الحروف حروفاً مشربة، تحفز في الوقف، وتضغط عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء؛ لأنَّك لا تستطيع الوقوف عليها إلاَّ بصوت، وذلك لشدّة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحقْ، واذهبْ، واخلِطْ، واخرُجْ، وبعض العرب أشدُّ تصويتاً»[٤].

وبيَّنَ الدكتور حسام النعيميّ أنَّ الأصوات المجهورة عند ابن جنّي على ثلاثة أقسام[٥]:

القسم الأوّل: أصوات القلقلة: وهي أصوات تجمع بين صفتي الجهر والشدّة.

القسم الثاني: أصوات الزاي، والظاء، والذال، والضاد. وهي أصوات مجهورة رخوة يُسمَع معها عند الوقف عليها كالنفخ.

القسم الثالث: أصوات الهمزة، والعين، والغين، واللام، والنون والميم، وهي أصوات جمعت بين صفتي الشدّة والرخاوة، إلاَّ أنَّ الغين منها حرف رخو، والهمزة جمعت بين الجهر والشدّة.

ويرى الدكتور حسام النعيميّ أنَّنا عندما نقف على الباء مثلاً في كلمة مثل (المآب)، وصوت الباء يجمع بين الجهر والشدّة ـ والجهر والشدّة فيهما منع النَّفَس ـ نكون قد جمعنا

---

١) البارع في اللُّغة: ٥٣٤.

٢) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٥٠.

٣) الكتاب: ٤/ ١٧٤.

٤) ينظر: سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٧٧.

٥) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٣٢٠.

مع حبس الهواء والحاجة إلى هواء الصدر لنزير الوترين. استمرار انطباق الشفتين بسبب سكون الوقف، فيخفت الصوت؛ «ولذا كان فتح مكان حصر الصوت بإظهار صويت عند الوقف يسمح للوتَرَين بالنزير لازماً لبيان الصوت المجهور الانفجاري أو الشديد»(١).

عَرَّف الشيخ جلال الحنفي القلقلة، قائلاً: «القلقلة: هي ما يقع لحروف معلومة تمُرُّ بسكون مُغلَق فيَتَأتَّى من ذلك أن تنفصم عن مخرجها ولها ذيول صوتيّة مُتوهَّمة محدودة الجرس، وهناك من سَمَّى هذه الذيول بالانفجار الصوتيّ، ومنهم مَنْ سمّاها بالنبرة القوية، ومنهم من وصف صوتها بأنَّه شديد الوقع»(٢).

وذهب الشيخ الحنفي إلى أنَّ سيبويه أطلق اسم (صويت) على القلقلة تعبيراً عن كونه شيئاً يسيراً.

وبيَّنَ أنَّ صوت القلقة الذي نسمعه اليوم، هو لحن لم يقع فيه قدامى الناطقين بهذه الأصوات، وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ الأمر لا يتطلَّب أن ينطق صوت القلقلة بمثل هذه الضجّة الذريعة الصخب «فإن كان بعض العرب شديد التصويت ـ يشير هنا إلى قول ابن جنّي ـ في نطق حروف القلقلة، فإنَّ بعض العرب لا يصلح أن يُتَّخذ مقياساً لسائر العرب، وما أحسب أنَّ هذا البعض من العرب قد صنع مثل هذا، فإنَّ عندنا من الشعر ما يسقط به الوزن ويختلّ إذا نطق بحروف القلقلة فيه ذلك النطق المستبشع»(٣).

٣. ***اللِّين:*** وهي الصفة التي يختصُّ بها صوتا الواو والياء إذا سكنتا، وانفتح ما قبلهما.

اللِّين لغةً: «ضِدُّ الخُشونة. يُقَالُ فِي فِعْل الشَّيْءِ اللَّيِّن: لانَ الشيءُ يَلِينُ لِيْناً ولَيَاناً وتَلَيَّن وشيءٌ لَيِّنٌ ولَيْنٌ، مُخَفَّفٌ مِنْهُ»(٤).

---

١) المصدر نفسه: ٣٢١.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٥٧.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٥٨.

٤) لسان العرب: مادّة (لين).

واصطلاحاً: «إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كلفة على اللسان»[١].

خصَّ سيبويه بهذه الصفة صوتَي الواو والياء غير المدّيّتين، فقال: «ومنها اللِّينة، وهي الواو والياء؛ لأنَّ مخرجهما يتّسع لهواء الصوت أشدّ من اتّساع غيرهما كقولك: وأيٌ، والواو، وإن شئت أجريت الصوت ومددت»[٢].

وصوتا اللِّين عند علماء التجويد، هما: «الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما»[٣].

وبيَّنَ الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ صوتَي اللين في مثل (بَيْت، ويَوْم)، يستحقّان أن يُعالجا علاجاً خاصًّا؛ لأنَّ التجارب الدقيقة دَلَّت على أنَّنا نسمع لهما نوعاً ضعيفاً من الحفيف، وأطلق الدكتور إبراهيم أنيس على هذين الصوتين مصطلح (أشباه أصوات اللين)[٤].

٤. ***الانحراف***

الانحراف لغة: «الميلُ»[٥].

واصطلاحاً: «الميل بالحرف عن مخرجه حتَّى يتَّصل بمخرج غيره»[٦].

العلماء في تحديد الأصوات التي تختصُّ بصفة الانحراف فريقان، فمنهم مَنْ ذكر أنَّها تختصُّ باللام، قال سيبويه: «ومنها المنحرف، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأنَّ طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدقّ اللسان فويق ذلك»[٧].

---

١) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١١٢، وينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ٢٣٠.

٢) الكتاب: ٤/ ٤٣٥.

٣) النشر في القراءات العشر: ١٦٢/١، وينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ٢٣٠.

٤) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٠.

٥) لسان العرب: مادّة (حرف).

٦) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١١٣، وينظر: النشر في القراءات العشر: ١٦٠/١.

٧) الكتاب: ٤/ ٤٣٥، وينظر: سرّ صناعة الإعراب: ٧٧/١، وينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٨.

ومنهم مَنْ ذكر أنَّها تختصُّ باللام والراء، وهم جمهور علماء التجويد، قال مكّي بن أبي طالب: «حرف الانحراف: وهما الراء واللام، وإنَّما سُمِّيَا بذلك؛ لأنَّهما انحرفا عن مخرجيهما حتَّى اتّصلا بمخرج غيرهما، وعن صفتهما إلى صفة غيرهما»(١).

٥. ***التكرير:*** وهي الصفة التي يختصُّ بها صوت الراء.

التكرير لغةً: «كَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى... كَرَّرْتُ الشَّيْءَ تَكْرِيراً وتَكْراراً»(٢).

واصطلاحاً: «تضعيف يوجد في جسم الراء؛ لارتعاد طرف اللسان بها، ويقوى مع التشديد، ولا يبلغ به حدٌّ يقبُح»(٣).

ذكر سيبويه أنَّ صفة التكرير تخصُّ صوت الراء، إذ قال: «ومنها المكرَّر وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرَّر لم يجرِ الصوت فيه وهو الراء»(٤).

واختُلِفَ في هذه الصفة، فبعض العلماء مع إخفاء تكرير الراء، قال مكّي بن أبي طالب: «فواجب على القارئ أن يخفي تكريره ولا يظهره، ومتى ما أظهره فقد جعل من الحرف المشدّد حروفاً»(٥).

وذكر بعضهم أنَّ تكرير الراء لحن، قال الفخر الموصلي (ت٦٢١هـ): «فيجب على القُرَّاء إخفاء التكرير، وإلاَّ كان لحناً»(٦).

وأوضح المرعشيّ معنى إخفاء التكرير في قوله: «ليس معنى إخفاء تكريره إعدام تكريره بالكلّية، بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلّية؛ لأنَّ ذلك لا يمكن إلاَّ بالمبالغة في

---

١) الرعاية: ٢٣٨، وينظر: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٤٨-٤٩، والنشر في القراءات العشر: ١٦٠/١.

٢) لسان العرب: مادّة (كرر).

٣) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٤٨.

٤) الكتاب: ٤/ ٤٣٥.

٥) الرعاية لتجويد القراءة: ٣٢١.

٦) الدرّ المرصوف في وصف مخارج الحروف: ٢٤١.

لصق اللسان باللثة بحيث ينحصر الصوت بينهما بالكلّية، كما في الطاء المهملة، وذلك خطأ لا يجوز»[١].

ويرى الشيخ جلال الحنفي أنَّه يجب الاحتراز من تكرير الراء عند النطق بالراءات السواكن، فلا يُعلَّق بها شيء من تكرار، وأوضح أنَّ التمييز بين الراءات المشدَّدة وغير المشدَّدة واجب في حالات الوقف، فقولنا: (سِرْ أوْ لا تَسِرْ) غير قولنا: (إنَّه لسِرٌّ وأيُّ سِرّ)[٢].

يبدو لي أنَّ من الواجب أن يأخذ صوت الراء حقّه من التكرير وصلاً ووقفاً؛ لأنَّها صفة لازمة له، ففي بعض الألفاظ إن لم يأخذ صوت الراء حقّه من صفة التكرير، قد يحصل بينه وبين ما يجاوره من الأصوات إدغام، نحو لفظة (الأرض) ففي هذه اللفظة إن لم يلفظ الراء باجتهاد تغلَّب عليه صوت الضاد واختفى صوت الراء من اللفظ، ولهذا لا بُدَّ من إعطاء صوت الراء حقّه من التكرير، ولكن دون مبالغة، قال ابن الجزريّ: «وظاهر كلام سيبويه أنَّ التكرير صفة ذاتية في الراء، وإلى ذلك ذهب المحقّقون، فتكريرها ربوها في اللفظ وإعادتها بعد قطعها، ويتحفّظون من إظهار تكريرها خصوصاً إذا شُدِّدَت ويعُدُّون ذلك عيباً في القراءة، وبذلك قرأنا على جميع مَنْ قرأنا عليه وبه نأخذ»[٣].

٦. ***التفشّي***: وهي الصفة التي يختصُّ بها صوت الشين.

التفشّي لغةً: «فَشا خَبَرُه يَفْشُو فُشُوًّا وفُشِيًّا: انْتَشَرَ وذاعَ... وتَفَشَّى الشَّيْءُ أي: اتَّسَعَ»[٤].

واصطلاحاً: «كَثرَة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق»[٥].

وصف سيبويه الشين بالتفشّي[٦]، وأضاف المبرّد إلى الشين الضاد[٧].

---

١) جهد المقل: ١٥٧.

٢) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٠٢.

٣) النشر في القراءات العشر: ١/١٦٢-١٦٣.

٤) لسان العرب: مادّة (فشا).

٥) جهد المقل: ١٥٨.

٦) ينظر: الكتاب: ٤/٤٤٨، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣١٨، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٨٠.

٧) ينظر: المقتضب: ١/٢١٤.

أمَّا علماء التجويد فقد أضاف بعضهم إلى الشين الضاد[١]، «وأضاف بعضهم إليها الفاء والضاد، وبعضٌ: الراء والصاد والسين والياء والثاء والميم»[٢].

وأطلق الدكتور رشيد العبيدي على صوت الشين مصطلح الانتشاري؛ لأنَّ النَّفَس ينتشر عند النطق به[٣].

وعَدَّ الشيخ جلال الحنفي الظاء[٤]، والفاء[٥]، من أصوات التفشِّي، وأوضح أنَّ التفشِّي التفشِّي يتجلَّى في صوت الفاء في حالة نطقه ساكناً، وإن كان التفشِّي فيه ظاهراً مع وجود الحركة عليه[٦].

يبدو لي أنَّ صفة التفشِّي التي يتميَّز بها صوت الشين، تتجلَّى في صوتَي الفاء والثاء، ولكن بقدر أقلّ ممَّا هي عليه في صوت الشين، وهذا ما يُبيِّنه التلفُّظ بصوتَي الفاء والثاء.

٧. ***<u>الاستطالة</u>***: وهي الصفة التي يختصُّ بها صوت الضاد.

الاستطالة لغةً: «اسْتَطَالَ الشَّقُّ فِي الْحَائِطِ: امتدَّ وَارْتَفَعَ»[٧].

واصطلاحاً: «تمدُّد عند نبات الضاد، للجهر والاستعلاء، وتمكُّنها من أوّل حافة اللسان إلى منتهى طرفه، فاستطالت بذلك، فلحقت مخرج اللام»[٨].

وصف سيبويه صوتَي الضاد، والشين بالاستطالة، إذ قال: «واللَّذان خالطاها: الضاد والشين؛ لأنَّ الضاد استطالت لرخاوتها حتَّى اتّصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتَّى اتّصلت بمخرج الطاء»[٩].

---

١) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٠.

٢) النشر في القراءات العشر: ١٦٣/١.

٣) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللُّغة العربية: ١٨٣.

٤) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٢.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٩-٢٠.

٧) لسان العرب: مادّة (طول).

٨) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٤٨.

٩) الكتاب: ٤/ ٤٥٧.

ذكر بعض علماء التجويد أنَّ المستطيل «حرف واحد، وهو الضاد»[١]، وذكر بعضهم أنَّ الاستطالة «لا تختصُّ بالضاد، بل الشين المعجمة مستطيلة أيضاً للتفشّي»[٢].

ويرى الدكتور غانم قدّوري أنَّ المقصود بالاستطالة، هو اتّساع مخرج الحرف، وأنَّ ما يأخذه الحرف المستطيل من العضوين اللذين يشتركان في مخرجه أكبر ممَّا يأخذه الحرف غير المستطيل[٣].

٨. ***الغُنَّة:*** وهي الصفة التي يختصُّ بها صوتا النون والميم.

الغُنَّة لغةً: «صَوْتٌ من الخَيْشُوم، وَقِيلَ: صَوْتٌ فيه ترخيم نحو الخياشيم تكون من نفس الأنف»[٤].

واصطلاحاً: «الصوت الزائد على جسم الميم والنون منبعث عن الخيشوم، المُركَّب فوق غار الحلق الأعلى»[٥].

وصف سيبويه الغُنَّة قائلاً: «ومنها حرفٌ شديدٌ يجري معه الصوت؛ لأنَّ ذلك الصوت غنةٌ من الأنف، فإنَّما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنَّك لو أمسكت بأنفك لم يجرِ معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم»[٦].

أنواع الغُنَن

ذهب الشيخ جلال الحنفي إلى أنَّ الغُنَن أنواع، هي:

١. ***غُنَّة الإدغام***، وهي قسمان[٧]:

---

١) التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٠، وينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ٢٤١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٠.

٢) جهد المقل: ١٦٠، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢٠.

٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٢١.

٤) لسان العرب: مادّة (غنن).

٥) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٤٩.

٦) الكتاب: ٤/ ٤٣٥.

٧) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٤٨-٣٤٩.

القسم الأوّل: غُنَّة كاملة، وتتحقَّق حين تُدغَم ميم في ميم، ونون في نون، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦]، وقوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤].

وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ إدغام النون الساكنة المنقلبة إلى ميم هو إدغام ميم في ميم وليس إدغام نون في ميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٩٣].

القسم الثاني: غُنَّة ناقصة أو (شبه غُنَّة)، وتتحقَّق حين تُدغَم واو في واو، وياء في ياء، نحو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

وبيَّنَ الشيخ الحنفي أنَّ الواو والياء المجتلبَتين المنقلبَتين عن نون ساكنة، حكمهما حكم الواو والياء الأصليَّتين[١]، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ [القصص: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الدهر: ٨، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

ويرى أنَّ غُنَّة الإدغام تابعةٌ للصوت الساكن الأوّل ولا شأن لها بالمتحرِّك الذي يليه، فبعد أن تتمَّ الغُنَّة في الصوت الساكن، ينهض اللسان إلى النطق بالصوت المتحرِّك، نحو كلمة (إنَّا) المؤلَّفة من مقطعين: / ء ـِ ن/ ن ـَـَ /، فالغُنَّة تقع في المقطع الأوّل / ء ـِ ن/[٢].

وإذا وقفنا على الكلمات التي تنتهي بالنون المشدَّدة، نحو كلمة (الجنّ)، فإنَّ الغُنَّة من حقّ النون الأوّل الساكنة، «وكُلّ الذي حصل عند النطق بالنون المشدَّدة هو أنَّ النون الثانية جاءت لِحْقَ النون الأُولى ذات الغُنَّة فأُلغِيَت وكأنَّها من بعض بقاياها على ما تدركه الأُذن من أمر الأصوات»[٣].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٩.

٢) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٥٠.

٣) المصدر نفسه: ٣٥٠.

٢. ***غُنَّة التمكين***: وهي غُنَّة تنشأ بسبب إدغام واو في واو إذا كان قبلها مضموماً أو مكسوراً، وتكون كذلك في الياء المدغمة في ياء يكون ما قبلها مكسوراً أو مضموماً، وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ الغنة في هذه الحالة هي شبه غُنَّة؛ لأنَّها لا تنعدم عند انغلاق الخيشوم[١].

ومن أمثلة ذلك في الواو الأصلية، قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

وفي الواو المجتلبة عن نون ساكنة نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

أمَّا أمثلة الياء الأصلية فنحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

أمَّا الياء المجتلبة عن نون ساكنة فنحو قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧].

٣. ***غُنَّة التماسّ***: وهي غُنَّة الميم الساكنة عند التحاق الباء بها[٢]، ويقصد بها الشيخ جلال الحنفي غنة إخفاء الميم الساكنة مع الباء؛ لأنَّ الشيخ الحنفي أطلق مصطلح (التماسّ) على حكم إخفاء الميم الساكنة[٣].

من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحجّ: ٢].

---

١) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٥٠.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٢.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٦.

ويرى الشيخ جلال الحنفي أنَّ لهذه الغنة أثراً ظاهراً «في تحقيق معنى التماسّ فإذا انغلقت الغنة بانغلاق الأنف ضعف التماسُّ وكاد ينعدم وجوده»[١].

٤. ***غُنَّة الإشمام***: وهي «غُنَّة مشوبةٌ برائحة الإشمام، ولذا تتفاوت في مذاقها وطبيعتها، وهي ألطف من غنة التماسّ والإدغام، وتفاوتها ناشئ من ظروف صلة النون بحروف الإشمام»[٢].

وحروف الإشمام هي حروف حكم إخفاء النون الساكنة والتنوين؛ لأنَّ الشيخ جلال الحنفي أطلق مصطلح (الإشمام) على حكم إخفاء النون الساكنة والتنوين[٣].

٥. ***الغُنَّة الكاذبة***: «وهي ما يقع للام الساكنة ـ مشدَّدة وغير مشدَّدة ـ من تمويج وترعيد لا يجيزهما شيء من قوانين التعبير السليم»[٤].

❖ ❖ ❖

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٥٢-٣٥٣.

٢) المصدر نفسه: ٣٥٣.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٦١.

٤) المصدر نفسه: ٣٥٤.

الفصل الثاني

التشكيل الصوتيّ عند الباحثين العراقيين

المبحث الأوّل

المقطع

توطئة: مصطلحات البحث الصوتيّ

قدَّمَ الدكتور حسام النعيميّ بياناً موجزاً لمصطلحات البحث الصوتيّ، وهذه المصطلحات هي:

١. رموز الكتابة الصوتية[١]:

الحركة القصيرة الحركة الطويلة

الفتحة /ـَ/ الألف /ـَا/

الكسرة /ـِ/ الياء المدِّيّة /ـِي/ الياء غير المدِّيّة /ي/

الضمّة /ـُ/ الواو المدِّيّة /ـُو/ الواو غير المدِّيّة /و/

٢. «الصامت: ويُراد به الصوت اللُّغويّ الذي ينجم بتقارب في نقطة ما من جهاز النطق يُؤدِّي إلى احتكاك مسموع، ويُسمَّى الصوت احتكاكيًّا»[٢].

٣. «الصائت أو المصوِّت: ويُراد به الصوت اللُّغويّ الذي ينجم بتكيّف في جهاز النطق لا يؤدِّي إلى انطباق، أو إلى حدوث احتكاك مسموع، والزمن الذي يؤدَّى فيه الصائت يقرَّر كونه قصيراً أو طويلاً»[٣].

٤. «نصف الصائت أو نصف المصوِّت أو نصف الصامت: ويُراد به الصوت اللُّغويّ الذي ينجم بارتفاع في اللسان فوق نقطة ولادة الصائت، بحيث يؤدِّي إلى حدوث احتكاك مسموع، ويكون في موضع ولادة الكسرة والياء المدِّية فيؤدِّي الاحتكاك إلى ولادة الياء غير المدِّية في نحو: يَبْس، ولَيْت، فهذه الياء نصف صائت، ويكون في موضع ولادة الضمّة

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٧.

٢) المصدر نفسه: ٧.

٣) المصدر نفسه: ٧.

والواو المدِّيّة، فيؤدِّي الاحتكاك إلى ولادة الواو غير المدِّية في نحو: وَجْد، ولَوْن... والاحتكاك في هذين الصوتين يجعلهما صامتين، وهما هكذا في القيمة المقطعيّة، إلاَّ أنَّ دارسي الأصوات أطلقوا على كُلّ منهما نصف صائت للتعبير عن العلاقة القائمة في الصفة والمخرج بينهما وبين ما هما منه من الصوائت»[١].

فيما يخصُّ مصطلح (نصف الصائت، أو نصف الصامت)، أرى أن يُطلَق مصطلح نصف الصامت على الياء والواو في مثل كلمة (يَبْس)، وكلمة (وَجْد): /ي ـَ ب س/، /و ـَ ج د/؛ لأنَّ المتكلّم لا يمكنه إطالة الصوت بالياء أو بالواو في مثل هذه الكلمات، ويُطلَق مصطلح نصف الصائت على الياء والواو في مثل كلمة (لَيْت)، و(لَوْن): /ل ـَ ي ت/، /ل ـَ ون/؛ لأنَّ المتكلّم يمكنه إطالة الصوت بالياء أو بالواو في مثل هذه الكلمات، على هذا الرأي يكون المصطلح:

نصف الصامت، نحو: (يَبْس): /ي ـَ ب س/، و(وَجْد): /و ـَ ج د/.

نصف الصائت، نحو: (لَيْت): /ل ـَ ي ت/، و(لَوْن): /ل ـَ ون/.

٥. «المزدوج، وهو تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد، فإذا تقدَّم الصائت سُمِّيَ المزدوج هابطاً، كالفتحة والياء في: (لَيْت): /ل ـَ ي ت/، وإذا تأخَّر الصائت سُمِّيَ المزدوج صاعداً، كالياء والفتحة في (يَكتُبُ): / ي ـَ ك/ ت ـُ/ ب ـُ/»[٢].

وعلى رأيي في مصطلح «نصف الصامت، ونصف الصائت»، يكون للمزدوج تعريفان هما:

أ. المزدوج الهابط: وهو تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد، كالفتحة والياء في (لَيْتَ): ل ـَ ي/ ت ـَ /.

ب. المزدوج الصاعد: وهو تتابع صائت ونصف صامت في مقطع واحد، كالياء والفتحة

---

١) أبحاث في أصوات العربية: ٧-٨.

٢) المصدر نفسه: ٨.

في (يَكْتُبُ): / ي ـَ ك/ ت ـُ/ ب ـُ/.

٦. «الاتّحاد: وهي الحالة التي يتحوّل فيها الصائت القصير ونصف الصائت إلى صائت طويل، وهي عكس الانشطار، وذلك كاتّحاد لام يدعو مع الصائت الذي قبله مكوِّنَين صائتاً طويلاً»[١].

يدعو: / ي ـَ د/ ع ـُ/ وـُ/ بزنة: يَنْصُرُ، حُذِفَت حركة الإعراب من اللام للثقل، وأُعيدَ تشكيل البنية المقطعيّة بإلحاق لام الكلمة بالمقطع السابق:

/ ي ـَ د/ ع ـُ و/ بزنة: يَنْصُرْ، ساكنة الراء، اتّحاد:

/ـُ و/ ← /ـُـُ/ ي ـَ د/ ع ـُـُ/ [٢].

من المعلوم أنَّ الصائت القصير هو من جنس الصوائت، وأنَّ الواو في المقطع (و) هو من جنس الصوامت (واو احتكاكية)، فهل يتّحد صوتٌ من جنس الصوائت مع صوتٍ من جنس الصوامت؟

إنَّ الذي يحصل في مثل هذه الحالة هو سقوط المقطع الأخير (المزدوج) / وـُ/ وإطالة صوت الصائت القصير (قمّة المقطع السابق للمزدوج) ليصبح صائتاً طويلاً، ولهذا لا أرى أنَّ هناك اتحّاداً من هذا القبيل في موضوع الكتابة المقطعيّة.

«الانشطار: وهي الحالة التي يتحوَّل فيها الصائت الطويل إلى صائت قصير ونصف صائت، وهي عكس الاتّحاد، وذلك كما في انشطار الصائت الطويل من (يدعو)، عند إظهار علامة النصب، إذِ الفتحة صائت، وواو يدعو صائت، ولا يجوز تتابع صائتين، فينشطر الصائت الطويل إلى ضمّة، وواو غير مدِّية تتّصل بالفتحة مكونةً مقطعاً، أي:

لن / ي ـَ د/ ع ـُـُ/ + ـَ = انشطار / ـُـُ/ ← / ـُ و/ ←

لن / ي ـَ د/ ع ـُ/ وـَ/»[٣].

---

١) أبحاث في أصوات العربية: ٨.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨.

٣) أبحاث في أصوات العربية: ٨.

إنَّ حكاية انشطار الصائت الطويل (واو المدّ) إلى صائت قصير ونصف صامت (واو احتكاكيّة) في نحو: / ع ـُـُ/ ـــ / ـُ و/ شبيهةٌ بحكاية اتّحاد الصائت القصير مع نصف الصامت؛ لأنَّ الصائت القصير من جنس الصوائت، ونصف الصامت من جنس الصوامت، فهل ينشطرُ صوتٌ صائت إلى صوت صائت وآخر من جنس الصوامت؟

أرى أنَّ الذي يحصل فيما سمَّاه الدكتور النعيميّ (الانشطار)، هو أنَّ الصائت القصير (حركة الإعراب) يحتاج إلى قاعدةٍ ليؤلِّف معها مقطعاً قصيراً، ولأنَّه لا يمكن تتابع صائت طويل ونصف صامت في الكلمة نفسها، صار إلى تقصير الصائت الطويل (واو المدّ) ليصبح صائتاً قصيراً، وبعده نصف صامت (واو احتكاكية) من جنس حركة أعضاء النطق؛ لأنَّه أعضاء النطق بعد نطق الضمّة مُهَيَّأةٌ لنطق (الواو الاحتكاكية)، فبعد نطق الضمّة تترك أعضاء النطق بسرعة وضع نطق الضمّة إلى وضع نطق الواو الاحتكاكية (نصف الصامت)[١]، فكانت النتيجة مقطعاً قصيراً يتألَّف من نصف الصامت (الواو الاحتكاكية) والصائت القصير (الفتحة) هي علامة نصب الفعل.

يرى الدكتور حسام أنَّ المقطع المديد /صامت + صائت طويل + صامت/ إذا تكوَّن في الدرج بسبب التعامل الصوتيّ يتحوَّل إلى مقطع طويل مغلق/ صامت + صائت قصير + صامت/، وذلك بتحوّل الصائت الطويل إلى صائت قصير، نحو:

أتى صديقنا: / ء ـَ/ ت ـَـَ/ ص ـَ/ د ـِ/ ق ـُ/ ن ـَـَ/،

وأتى الصديق: / ء ـَ/ ت ـَ ص/ ص ـَ/ د ـِـِ/ ق ـُ/:

/ء ـَ/ت ـَـَ ص/ـــ/ت ـَ ص/ـــ/ ء ـَ/ ت ـَ ص/ ص ـَ/ د ـِـِ/ ق ـُ/[٢].

أقول: إنَّ سبب تحوّل الصائت الطويل إلى صائت قصير في مثل هذه الحالة من كلمة (أتى)، هو أنَّ الساكن في بداية كلمة (الصديق)، ـ وهو لام التعريف ـ منع امتداد

---

١) ينظر: علم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي: ١٨٠.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٩.

الصوت بالصائت الطويل (الألف)، فاكتفى الناطق بلفظ الصائت القصير (الفتحة)، وقد أثَّرَ ذلك في مقطع اتّصال الكلمتين، مقطع الكلمة الأُولى قبل الوصل: /ء ـَـ/ ت ـَـ/، وعند الاتّصال بالكلمة الثانية، يكون مقطع اتّصال الكلمتين: / ء ـَـ/ ت ـَـ ص/ ص ـَـ/ د ـِـ/ ق ـُـ/، فمقطع اتّصال الكلمتين هو: ت ـَـ ص/ مقطع طويل مغلق، أمَّا المقطع / ت ـَـَـ ص/ فلا وجود له في اللسان العربيّ في اللفظ في مثل هذه الحالة، وهو مقطع من افتراض الدكتور النعيميّ، قاسه على الحالة التي يأتي بها هذا المقطع في حال عدم وجود صوت ساكن بعده في كلمة ثانية.

المقطع في اللُّغة والاصطلاح

المقطع لغةً: «مقطع كُلّ شيء ومُنْقَطَعُه: آخره حيث ينقطع.. والمقطع: الموضع الذي يُقَطَّعُ فيه النهر من المعابر، ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف، ومبادئه: مواضع الابتداء.. ومُقطَّعات الشيء: طرائقه التي يتحلَّل إليها ويتركَّب عنها كمقطَّعات الكلام، ومُقَطَّعات الشعر ومقاطيعه: ما تَخَلَّل إليه وتركَّب عنه من أجزائه التي يسمِّيها عَروضيُّو العرب الأسبابَ والأوتادَ»[١].

المقطع اصطلاحاً: عَرَّف الدكتور حسام النعيمي المقطع بقوله: «وهو وحدة صوتيّة تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أوّل صامت يرد متبوعاً بصائت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد»[٢].

وبيَّنَ الدكتور عبدالعزيز الصيغ أنَّ هذا التعريف أكثر التعريفات تقييداً لمعنى المقطع، إذ قال: «ويُعَدُّ تعريف أُستاذنا الدكتور النعيمي أكثر التعريفات تقييداً لمعنى المقطع... وهو

---

١) لسان العرب، مادّة قطع.

٢) أبحاث في أصوات العربية: ٨.

تعريف جامع مانع، ولعلَّ العبارة الأخيرة في التعريف، وهي: (قبل مجيء القيد) ليست ضرورية؛ لأنَّ التعريف من دون ذكرها واضح»[١].

ويرى الدكتور غانم قدّوري الحمد أنَّ هذا التعريف جامع مانع، إلاَّ أنَّه يرى أنَّ عبارة (وحدة صوتيّة) قد تجلب اللبس نظراً إلى استعمال البعض لها في ترجمة كلمة (فونيم)، وفضَّل استعمال عبارة (مجموعة أصوات) أو (تجمُّع صوتيّ) مكانها[٢].

وبيَّنَ الدكتور سلمان العاني أنَّ بداية المقطع تكون ساكناً مفرداً، في حين تكون نهايته إحدى عناصر ثلاثة:

ساكن مفرد، أو ساكنان، أو لا ساكنَ مطلقاً[٣].

وعَرَّف الدكتور مناف الموسويّ المقطع بقوله: «هو كُلّ جزء منطوق من أجزاء الكلمة نتيجة إخراج دفعة هوائية من الرئتين يستريح عند نطقها النَّفس، سواء أكان ذلك الجزء المنطوق ينتهي بإغلاق تامٍّ لجهاز النطق أم إغلاق جزئيّ»[٤].

من الواضح أنَّ الدكتور مناف الموسويّ قد عَرَّف المقطع من الناحية الفسيولوجيّة، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: «ومن اللُّغويّين مَنْ ركَّزَ على الناحية الفسيولوجيّة، فعرَّفَ المقطع على أنَّه (نبضة صدرية)، أو (وحدة منفردة لتحرُّك هواء الرئتين لا تتضمَّن أكثر من قمَّة كلامية)، أو (قمّة تموُّج مستمر من التوتُّر في الجهاز العضليّ النطقيّ، أو (نفحة هواء من الصدر)»[٥].

وعَرَّفت الدكتورة مي الجبوري المقطع بأنَّه: «نوع من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية يتكوَّن من النواة المقطعية، وتكون مصوِّتاً أو قمّة في المقطع، ومن صامت أو ساكن واحد أو أكثر، والمقطع المغلق ينتهي بساكن إمَّا المفتوح فبقمّة»[٦].

---

١) المصطلح الصوتيّ في الدراسات العربيّة: ٢٧٨.

٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٠١.

٣) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣١-١٣٢.

٤) علم الأصوات اللُّغويّة: ١١٩.

٥) دراسة الصوت اللُّغويّ: ٢٨٥.

٦) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ١٤-١٥.

أشارت الدكتورة مي في هذا التعريف إلى أنَّ المقطع يتكوَّن من نواة، وتكون مصوِّتاً، ولكنَّها عند ذكرها الجزء الثاني الذي يتكوَّن منه المقطع، وهو الصامت لم تُشِر إلى أنَّه يُمثّل قاعدة المقطع، وأرى أنَّه لا حاجة لذكر عبارة (أو قمّة في المقطع)؛ لأنَّ عبارة (النواة المقطعيّة) قد أدَّت الغرض؛ لأنَّ من الباحثين مَنْ يُعبِّر عن نواة المقطع بالقمّة[١].

أنواع المقاطع

مقاطع العربية ستّة، منها ما ينتهي بصائت، ومنها ما ينتهي بصامت، وهي على النحو الآتي:

١. صامت + صائت قصير، مثل: بِ = ب ـِ .

٢. صامت + صائت طويل، مثل: ما = م ـَـا .

٣. صامت + صائت قصير + صامت، مثل: مَنْ = م ـَ ن.

٤. صامت + صائت طويل + صامت، مثل: كانْ = ك ـَـا ن.

٥. صامت + صائت قصير + صامتان، مثل: نَهْر = ن ـَ هـ ر.

٦. صامت + صائت طويل + صامتان، مثل: سارّ = س ـَـا ر ر[٢].

استعمل المحدثون العراقيون رموزاً للدلالة على الأصوات التي يتألَّف منها المقطع، فمنهم مَنْ استعمل الرمزين (س ح)[٣]، وهو الدكتور سلمان العاني، إذ قال: «نرمز لجميع السواكن بالحرف /س/ وللحركات القصيرة بالحرف /ح/ وللحركات الطويلة بالحرفين /ح ح/. ويُعتبَر /ح ح/ صوتاً واحداً Monophthongs دائماً»[٤]، وذكر أنواع المقاطع الستّة، وهي:

---

١) ينظر: دراسة الصوت اللُّغويّ: ٢٩١-٢٩٥، وعلم الأصوات، بسّام بركة: ٩٦ن وأبحاث في أصوات العربية: ١١.

٢) ينظر: التشكيل الصوتيّ في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٣، وأبحاث في أصوات العربية: ٩-١١.

٣) تجدر الإشارة إلى أنَّ هذين الرمزين في نسخة كتاب العاني المترجمة إلى العربية.

٤) التشكيل الصوتيّ في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٣.

١. س ح، مثل: بِ = ب ـِـ .

٢. س ح س، مثل: مَنْ = ع ـَـ ن.

٣. س ح ح، مثل: ما = م | .

٤. س ح ح س، مثل: بابْ = ب | ب.

٥. س ح س س، مثل: نَهْر = ن ـَـ هـ ر.

٦. س ح ح س س، مثل: سارّ = س | ر ر[١].

ومنهم مَنْ استعمل الرمزين (ج ذ) وهو الدكتور غانم قدّوري الحمد؛ لأنَّه رَجَّحَ استعمال المصطلحين: (جامد وذائن)، نحو: يَشُدُّ: ج ذ/ ج ذ ج/ ج ذ[٢].

ومنهم مَنْ اكتفى باستعمال الكلمات المعبِّرة عن الصوتين، وهو الدكتور حسام النعيميّ، والمقاطع عنده هي:

١. المقطع القصير، مثل: كُتِبَ = ك ـُـ/ ت ـِـ / ب ـَـ.

٢. المقطع الطويل المفتوح، مثل: نودينا = / ن ـُـُـ/ د ـِـِـ / ن ـَـَـ.

٣. المقطع الطويل المغلق، مثل: عَلَّمْهُم = ع ـَـ ل/ ل ـِـ م/ هـ ـُـ م.

٤. المقطع المديد: ويرى الدكتور أنَّه من مقاطع الوقف، ويكون في الدَّرج إذا أُدغِمَت قاعدته في قاعدة المقطع التالي له، ومثاله في الوقف والدَّرج، كلمة (ضالِّين) = ض ـَـَـ / ل ـِـِـ ن.

٥. المقطع المزيد: وهو من مقاطع الوقف، مثل: نَهْر = ن ـَـ هـ ر.

٦. المقطع المتمادّ، مثل: متمادّ = م ـُـ/ ت ـَـ/ م ـَـَـ د د، وقفاً[١].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٣.

٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢١٢.

بعد أن عرض الدكتور غانم قدّوري الحمد أشهر مذاهب الأصواتيين العرب، وجد أنَّه يمكن اتّخاذ المقطعين الأوّل (صامت + صائت قصير)، والثاني (صامت + صائت طويل) أساساً لوصف بقية المقاطع، فالمقطع الذي فيه صائت قصير يكون مقطعاً قصيراً، فإن لم يتّبع الصائت القصير صوت صامت كان مفتوحاً، وإن تبعه صامت واحد فهو مقطع قصير مغلق بصامت، وإن تبعه صامتان فهو مقطع قصير مغلق بصامتين، والمقطع الذي فيه صائت طويل يكون مقطعاً طويلاً مفتوحاً، ثُمَّ يكون مغلقاً بصامت أو مغلقاً بصامتين[٢].

وعلى رأي الدكتور الحمد تكون أنواع المقاطع في العربية على النحو الآتي:

١. مقطع قصير مفتوح، مثل: بِ = ب ـِ .

٢. مقطع طويل مفتوح، مثل: ما = م ـَـ .

٣. مقطع قصير مغلق بصامت، مثل: مَنْ = م ـَ ن.

٤. مقطع طويل مغلق بصامت، مثل: كانْ = ك ـَـ ن.

٥. مقطع قصير مغلق بصامتين، مثل: نَهْر = ن ـَ هـ ر.

٦. مقطع طويل مغلق بصامتين، مثل: سارّ = س ـَـ ر ر.

يَتبيَّن لي أنَّ المصطلح الذي أطلقه الدكتور غانم على أنواع المقاطع في العربيّة هو المصطلح الأقرب للواقع، ويجنّبنا الوقوع في الإشكالات بسبب بعض المصطلحات التي استعملها بعض المحدثين العرب في هذا المجال، نحو إطلاق مصطلح المقطع المديد على المقطع المؤلَّف من صامت وصائت قصير، وبعده صامتان، نحو كلمة:

(كَرْب) = / ك ـَ ر ب/[٣].

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٩-١١.

٢) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٠٩-٢١٠، مع الإشارة إلى أنَّ الدكتور الحمد استعمل مصطلح (جامد) بدل (صامت).

٣) ينظر: المنهج الصوتيّ للبنية العربية: ٣٩.

ففي مثل هذا المقطع لا يمكن للمتكلّم مدّ الصوت؛ لأنَّ مدَّ الصوت ـ كما هو معلوم ـ يكون بوجود صائت طويل، وفي هذا المقطع لا وجود للصائت الطويل فيه، والمقطع يتّصل بالجانب الصوتيّ، فهو المادّة التي يقوم عليها ـ على رأي الشيخ جلال الحنفيّ ـ بناء التجويد والمطالب الصوتيّة؛ لأنَّ الحرف غير ذي موضوع عند انفراده، وإنَّما يكون ذا موضوع حين تُمثّله المقاطع بتراكيبها الصوتية ذات المواصفات العديدة التي لا تعرف في غير علم التجويد والأداء الصوتيّ، فعندما نقول (أنباء) فإنَّا نرى النون قد قُلِبَت إلى ميم، وإنَّما كان ذلك كذلك؛ لأنَّ النون دخلت في المجال المقطعيّ فصار لها بذلك ظرف خاصٌّ لم يكن له وجود لولا المقطعيّة[١].

قال الشيخ جلال: «نفهم من هذا أنَّه لولا العلاقات المقطعيّة لما وقع مثل هذا التأثُّر والتأثير بين جماعة الحروف»[٢].

وبيَّنَ أنَّ المقطع الصوتيّ قد يكون حرفاً واحداً فهو المقطع الفرديّ، وقد يكون مؤلَّفاً من حرفين فهو المقطع الزوجيّ، وإن كان من ثلاثة أحرف يرتفع اللسان عنها مرّةً واحدةً فهو المقطع الثلاثيّ أو المقطع المبسوط، ومَثَّلَ له بقولنا: (جاء)، وقولنا: (بكاء) عند الوقوف عليها فتكون لفظة (كاء) مقطعاً صوتيًّا ثلاثيًّا[٣].

مَثَّلَ الشيخ جلال للمقطع الثلاثيّ بلفظتي (جاء) و(بكاء)؛ لأنَّه يرى أنَّ الألف حرف ساكن وليس حركةً طويلةً، وهذا هو سبيله في كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتيّ).

---

١) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٠-٣١.

٢) المصدر نفسه: ٣١.

٣) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣١.

قواعد المقاطع وقممها

بيَّنَ الدكتور سلمان العانيّ أنَّ المقطع في اللُّغة العربيّة؛ يُبنَى على العناصر المتناظرة التي تحتويها بنيته Structure[١]، وتتألَّف هذه النظائر المتتابعة في حدود المقطع Syllable Boundary، من الفونيمات اللُّغويّة المفردة، ولكُلّ مقطعٍ جزء رئيس يكون بارزاً أو ظاهراً، ويُطلَق على هذا الجزء هنا نواة المقطع Nucteus.

وتُسمّى العناصر الباقية العناصر المساعدة، ويكون لهذه النواة قوّة صوتيّة أشدّ من العناصر المساعدة[٢].

ويرى الدكتور سلمان أن تُقسَّم الفونيمات المفردة في العربيّة إلى فونيمات مركزيّة Syllablicity، وغير مركزيّة Non- Syllablicity، وأوضح أنَّ الحركات القصيرة الثلاث مع نظائرها الطويلة تُشكِّل نواة المقطع دائماً، وتُمثّل جميع السواكن وصوتا اللِّين (الياء، والواو) الفونيمات المساعدة في بنية المقطع، وأنَّ هناك فصلاً واضحاً بين الفونيمات، إذ تكون بعضها نواة المقطع وبعضها الآخر عناصره المساعدة، ووفقاً لهذا الفصل بين الحركات والسواكن فإنَّ عدد مقاطع لفظٍ ما سيطابق عدد الحركات الموجودة فيه[٣].

وبيَّنَ أنَّ الفونيمات المساعدة توجد في بداية المقطع أو نهايته، ولا تكون بداية المقطع إلاَّ ساكناً مفرداً، في حين قد تكون نهايته إحدى عناصر ثلاثة:

ساكن مفرد.

أو ساكنان.

أو لا ساكنَ مطلقاً، وعلى هذا الأساس مَثَّلَ لبنية المقطع بالشكل الآتي:

تُمثّل النقطة (ب) نواة المقطع،

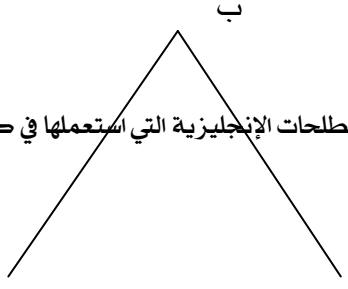

١) ألَّفَ الدكتور العانيّ كتابه باللغة الإنجليزية وعليه سأذكر المصطلحات الإنجليزية التي استعملها في كتابه.

٢) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣١.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٣١.

و تُمثّل النقطتان (أ ، ج) بداية

المـقطع ونهايته على التوالي،

ويرمز الخط (أ ب) إلى زيادة أ ج

في التوتُّر عند المتكلِّم، في حين يرمز الخط (ب ج) إلى نقص هذا التوتُّر[١].

وقد بيَّنَ الدكتور حسام النعيميّ أنَّ الدارسين وجدوا في التخطيط الطيفيّ للمقاطع في السلسلة المنطوقة أنَّها تُشكَّل من تقعُّر وتحدُّب، فأطلقوا على نقاط التقعُّر أو الوديان مصطلح قواعد المقاطع، ولا تكون إلاَّ من الصوامت، ونصف الصامت قيمته قيمة صامت في البنية المقطعيّة، وأطلقوا على التحدُّب مصطلح قمم المقاطع، ولا تكون إلاَّ صوائت قصيرة أو طويلة، وأقلُّ ما يتألَّف منه المقطع قاعدة تليها قمّة، وقد تلي القمّة قاعدةً أو قاعدتان، ولكن لا تكون في المقطع سوى قمّة واحدة[٢].

وفي موضوع مقطعيّة الفعل الماضي بيَّنَ الدكتور حسام قواعد الاتّصال بالماضي، وهي:

١. إذا اتّصل ضمير رفع مقطع (تُ، تَ، تِ، نا) بالماضي الذي ينتهي بمقطعين قصيرين، حُذِفَت قمّة المقطع الأخير من الفعل وأُعيد تشكيل البنية المقطعيّة، نحو:

كَتَبَ + تُ = /ك ـَ/ ت ـَ/ ب ـَ/ + ت ـُ/ـــ/ـَ/× = /ك ـَ/ ت ـَ ب/ ت ـُ/

بعد حذف قمّة المقطع الأخير بقيت قاعدته من غير قمّة، وهي لا تُشكِّل مقطعاً ولا يمكن إلحاقها بالمقطع التالي لها، إذ ليس من مقاطع العربية ما يبدأ بصامتين، فأُلحقت بالمقطع القصير السابق لها لتشكّل معه مقطعاً طويلاً مغلقاً[٣].

٢. إذا كان المقطع الأخير من الفعل مزدوجاً هابطاً عولجَ وفقاً لقاعدة الاتّحاد، نحو:

رَضِيَ + تُ =

---

١) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٢.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ١١.

٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ١٧.

/ر ـَ/ ض ـِـ/ ي ـَ/ + ت ـُ/ـــ/ـــَ/× =/ر ـَ/ ض ـِـ ي/ ت ـُ/ـــ/ـــِـ ي/ اتّحاد ـــِـِ =/ ر ـَ/ ض ـِـِ/ ت ـُ/.

سَرُوَ + نا = /س ـَ/ ر ـُ/و ـَ/ + ن ـَـَ/ـــ/ـــَ/× =/س ـَ/ر ـُ و/ ن ـَـَ/ـــ/ـــُ و/ اتّحاد ـــُـُ =/س ـَ/ ر ـُـُ/ن ـَـَ/[1].

يبدو لي أنَّ هذا ليس اتّحاداً بين الصائت القصير ونصف الصامت كما يُخيِّلُهُ الرسمُ ولكنَّ سقوط الصائت القصير من المزدوج (المقطع الأخير) يؤدِّي بالضرورة إلى سقوط (الياء أو الواو) الاحتكاكية فيُمَدُّ الصوتُ بالصائت القصير (قمّة المقطع الثاني) ليصبح صائتاً طويلاً (ياء أو واو) مدِّيّة، وعلى هذا فإنَّ الذي سقط هو المقطع الأخير كُلّه وعُوِّضَ عنه بمدِّ الصائت القصير.

ويبدو أنَّ فكرة سقوط المقطع (المزدوج) ومدِّ الصوت كانت واضحةً عند الدكتور النعيمي، إذ يقول: «كما يمكن أن تخصَّ هذه الصورة، أعني: حين يكون المقطع الأخير مزدوجاً، بقاعدة منفصلة، وذلك بأن يُقال: يُحذَف المزدوج ويمدُّ الصوت بالصائت الذي قبله، أي:

/ر ـَ/ ض ـِـ/ ي ـَ/ + ت ـُ/ـــ يُحذَف/ي ـَ/، وتمدُّ/ ـِـ ـــ ـِـِ/ =

/ ر ـَ/ ض ـِـِ/ ت ـُ/، ولكنَّ اطِّراد القاعدة وحفظ المراتب جعلنا نميل إلى ما قدَّمنا»[2].

٣. إذا اتّصل ضمير رفع صائت بالماضي الذي ينتهي بمقطعين قصيرين، حُذِفَت قمّة الأخير، وحَلَّ الضمير الصائت محلَّها في إعادة التشكيل المقطعيّ، نحو:

كَتَبَ + ا = كَتَبا، عَلِمَ + وا = عَلِموا، أي:

/ك ـَ/ ت ـَ/ ب ـَ/ + ـَـَ/ـــ/ـــَ/ × ـــ/ ك ـَ/ ت ـَ/ ب ـَـَ/.

/ع ـَ/ ل ـِـ/ م ـَ/ + ـُـُ/ـــ/ـــَ/ × ـــ/ع ـَ/ ل ـِـ/ م ـُـُ/ [3].

يمكن توجيه ما يحصل عند اتّصال الفعل الماضي نحو: كَتَبَ، بضمير الرفع الصائت على النحو الآتي:

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٧-١٨.

٢) أبحاث في أصوات العربية: ١٨.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

١. إذا كان ضمير الرفع صائتاً طويلاً من جنس قمّة المقطع الأخير اكتُفِيَ بإطالة الصوت بقمّة المقطع الأخير لتصبح صائتاً طويلاً.

٢. إذا كان ضمير الرفع صائتاً طويلاً ليس من جنس قمّة المقطع الأخير، أدَّى ذلك إلى سقوط قمّة المقطع الأخير، وحَلَّ الضمير الصائت محلَّها في إعادة التشكيل المقطعي.

٣. وإذا اتّصل الصائت الطويل (الألف) بالفعل الماضي الذي ينتهي بمقطع مزدوج، لم يُعتدَّ بالمزدوج، وحُذِفَت قمّة المقطع الأخير وحَلَّ الضمير الصائت (الألف) محلَّها، نحو:

/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/ + ـَ/ـ←/ـَ/× ←/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/.

وإذا اتّصل هذا الفعل بالصائت الطويل (الواو) سقط المزدوج كُلّه والصائت الذي قبله وأُعيدَ التشكيل المقطعيّ، أي:

/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/ + ـُ/ـ←/ـَ/× ←/ر ـَ/ ض ـِ ي ـُ/. ولكنَّ التطبيق ـ كما يرى الدكتور النعيميّ ـ أدَّى إلى صورة غير سائغة في النطق العربيّ في آخر اللفظة، حيث انحصر نصف الصامت (الياء) بين صائتين، فيُحذَف الصائت القصير، أي:

/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/ + ـُ/ـ←/ـَ/× ←/ر ـَ/ ض ـِ ي/ ـُ/ـِ ي/ اتّحاد ←/ ر ـَ/ ض ـِ/ ـُ ←/ ـِ/، تُحذَف لتوالي صائتين: /ر ـَ/ ض ـُ/.

ومثله: سَرُوَ + ـُ =/س ـَ/ ر ـُ/و ـَ/ + ـُ/ـ←/ـَ/× ←

/س ـَ/ر ـُ / و+ ـُ/ـ← يُحذَف نصف الصامت لانحصاره بين صائتين هما الضمّة/ُ-/ والواو المدّيّة /ـُ/ وتُحذَف / ـُ/ لتوالي صائتين بعد حذفه نصف الصامت الذي كان بينهما =/س ـَ/ ر ـُ/.

يُستفاد ممَّا تقدَّم أنَّ نصف الصامت يسقط من آخر اللفظ إذا انحصر بين صائتين، الثاني منهما ليس فتحةً[١].

ممَّا تقدَّم تبيِّن لي أنَّ اتّصال الفعل الماضي المنتهي بمقطعين قصيرين الأخير منهما مزدوج يؤدِّي إلى سقوط المزدوج، وتُحذَف قمّة المقطع الثاني ويُعاد التشكيلُ المقطعيُّ:

/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/ + ـُ/ـ←/ر ـَ/ ض ـُ/.

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ١٨-١٩.

ولكن في حالة اتّصال هذا الفعل بالضمير الصائت الألف، تُحذَف قمّة المزدوج ويُعاد التشكيل المقطعيّ:

/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَ/ + ـَـَ/=/ر ـَ/ ض ـِ/ ي ـَـَ/، ولم يُحذَف المزدوج في هذه الحالة لأمن اللبس، فلا يُعلَم المثنَّى[١].

وقد بيَّنَ القدماء ذلك، إذ قال ابن يعيش: «ما صحَّ خوف اللَّبس: غزوا، ورميا، واستقصيا؛ لسكونها وسكون ألف التثنية بعدها، فكنت تقول: غزا، ورما، وأنت تريد التثنية، فيلتبس بالواحد»[٢].

٤. إذا كان المقطع الأخير قصيراً، والذي قبله طويل مفتوح واتّصل به ضمير رفع مقطع:

فإذا كان الفعل من مقطعين، حُذِفَت قمّة المقطع القصير، نحو:

قال + تُ ← قُلتُ، خاف + تُ ← خِفْتُ، باعَ + تُ ← بِعتُ.

قال + تُ = /ق ـَـَ/ل ـَ/ + ت ـُ = /ق ـَـَ ل/ ت ـُ/، /ق ـَـَ ل/ مديد يتحوَّل الى طويل مغلق /ق ـَ ل/ تُحذَف القمّة وتُجتلبُ الضمّةُ رعايةً لوجود الواو في المضارع (يقول)، /ق ـُ ل/ ت ـُ/.

خاف + تُ = /خ ـَـَ/ف ـَ/ + ت ـُ = /خ ـَـَ ف/ ت ـُ/← /خ ـَـَ ف/ مديد يتحوَّل إلى طويل مغلق /خ ـَ ف/ تُحذَف القمّة وتُجتَلب الكسرة؛ لأنَّ المضارع ليس بالواو على أنَّ الفعل أجوف واويّ: /خ ـِ ف/ ت ـُ/.

باع + تُ = /ب ـَـَ/ع ـَ/ + ت ـُ : بعد حذف قمّة المقطع القصير وتحوّل المقطع المديد /ب ـَـَ ع/ إلى طويل مغلق = /ب ـَ ع/ ت ـُ/، تُحذَف القمّة وتُجتَلب الكسرة = /ب ـِ ع/ ت ـُ/ [٣].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

٢) شرح الملوكيّ في التصريف: ٢١٩.

٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢٠.

ويمكن أن يُقال: يرجع إلى الأصل فيتوالى صائتان قصيران ،ونصف صائت فيُغلَّب الأقوى بصورة صائت قصير:

/ق ـَ/ وـَ/ ل ـَ/ ← ـُ.

/ب ـَ/ ي ـَ/ ع ـَ/ ← ـِ.

/خ ـَ/ وـِ/ ف ـَ/ ← ـِ.

وإذا كان الفعل الماضي من أكثر من مقطعين، نحو:

استعادَ + تُ ← استعدْتُ:

/ء ـِ س/ت ـَ/ع ـَـَ/د ـَ/ + ت ـُ/←/ع ـَـَ د/ مديد يتحوَّل إلى طويل مغلق: /ع ـَ د/ = / ء ـِ س/ت ـَ/ ع ـَ د/ ت ـُ/[1].

وإذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله مفتوح واتّصل به ضمير رفع صائت، حُذِفَت قمّة المقطع الأخير، وأُعِيدَ التشكيل المقطعي، نحو: قال + ألف الاثنين، أو واو الجماعة ← قالا، وقالوا:

/ق ـَـَ/ل ـَ/ + ـَـَ = /ق ـَـَ ل/ ل ـَـَ/

/ق ـَـَ/ل ـَ + ـُـُ = /ق ـَـَ/ ل ـُـُ/

ونحو استقال + ـَـَ أو ـُـُ.

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَـَ/ل ـَ/ + ـَـَ =/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَـَ/ل ـَـَ/.

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَـَ/ل ـَ/ + ـُـُ =

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَـَ/ل ـُـُ/ [2].

٥. إذا اتّصل ضمير رفع مقطع بفعل ماضٍ مدغم العين في اللام، رُدَّ الفعل إلى صورته قبل

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢١.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

الإدغام، فيكون ممَّا ينتهي بمقطعين قصيرين، نحو: رَدَّ + تُ: قبل الإدغام:

/ر ـَ/د ـَ/د ـَ/ + ت ـُ/= ا ـَ ا × حذف قمّة المقطع الأخير =

/ر ـَ/د ـَ د/ ت ـُ/ = رَدَدْتُ.

ونحو: اسْتَقَلَّ + نَ:

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَ ل/ + ن ـَ/

صورته قبل الإدغام: (اسْتَفْعَلَ): /ء ـِ س/ت ـَ ق/ل ـَ/ل ـَ/ + ن ـَ/.

حذف قمّة المقطع الأخير، وإعادة التشكيل المقطعيّ:

/ء ـِ س/ت ـَق/ل ـَ ل/ ن ـَ/

ونحو: أَنَّ يَئِنُّ: /ء ـَ ن/ن ـَ/ + ت ـُ/ـ/ ـَ/

صورته قبل الإدغام: /ء ـَ/ن ـَ/ن ـَ/ ت ـُ/ حُذِفَت قمّة المقطع الأخير، وأُعيدَ التشكيل المقطعيّ: /ء ـَ/ن ـَ ن/ ت ـُ/.

أمَّا إذا اتّصل بهذه الأفعال ضمير رفع صائت، حُذِفَت قمّة المقطع الأخير، وحَلَّ الصائت محلّها:

رَدَّ + ـَـَ/ر ـَ د/د ـَ/+ ـَـَ/= /ر ـَ د/د ـَـَ/، /ر ـَد/د ـَ/ + ـُـُ/= /ر ـَ د/د ـُـُ

.

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَ ل/ل ـَ/ + ـَـَ/، /ـَ/×=/ ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَ ل/ل ـَـَ/.

/ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَ ل/ل ـَ/ + ـُـُ/، /ـَ/×=/ ء ـِ س/ت ـَ/ق ـَ ل/ل ـُـُ/.

/ء ـَ ن/ن ـَ/ + ـَـَ/=/ ء ـَ ن/ن ـَـَ/، /ء ـَ ن/ن ـَ/ + ـُـُ/=/ ء ـَ ن/ن ـُـُ/ (١).

٦. إذا كان المقطع الأخير قصيراً والذي قبله مديداً، واتّصل به ضمير رفع مقطع، حُذِفَت قمّة المقطع الأخير، فيتكوَّن مقطع متمادٌّ ينقسم إلى طويل مفتوح، وطويل مغلق باجتلاب قمّة لقاعدته تكون فتحةً، نحو: إشهابَّ + تُ:

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢٢-٢٣.

/ء ـِـ ش/هـ ـَـَ ب/ب ـَ/+ تُ/=/ء ـِـ ش/هـ ـَـَ ب ب/ت ـُ/ـــ/هـ ـَـَ ب ب/ ينقسم وتجتلب قمّة هي الفتحة = /هـ ـَـَ/ ب ـَ ب/ـــ/ء ـِـ ش/هـ ـَـَ/ ب ـَ ب/ت ـُ/.

وإذا اتّصل بهذا الفعل ضمير رفع صائت، حُذِفَت قمّة المقطع الأخير، وحَلَّ الصائت محلّها، نحو: إشهابَّ + ـَـَ:

/ء ـِـ ش/هـ ـَـَ ب/ب ـَ/+ ـَـَ/=/ء ـِـ ش/هـ ـَـ ب/ب ـَـَ/، /ء ـِـ ش/هـ ـَـَ ب/ب ـَ/+ ـُـُ/=/ء ـِـ ش/هـ ـَـَ ب/ب ـُـُ/ [1].

٧. إذا كان المقطع الأخير طويلاً مفتوحاً، واتّصل به ضمير رفع مقطع:

فإذا كان الفعل من مقطعين، رجع إلى أصله المفترض، وحُذِفَت قمّة المقطع الأخير، وأُعيدَ التشكيل المقطعي، نحو: دعا + تُ:

/د ـَ/ع ـَ/و ـَ/(الأصل المُفتَرَض)/ـــ/ـَ/ـــ/ د ـَ/ع ـَ و/ت ـُ/.

و نحو: رمى + تُ:

/ر ـَ/م ـَ/ى ـَ/(الأصل المُفتَرَض)/ـــ/ر ـَ/م ـَ ي/ت ـُ/.

وإذا كان الفعل أكثر من مقطعين، تحوَّل الطويل المفتوح إلى مغلق بانشطار صائته الطويل، نحو: استدعى + تُ:

/ء ـِـ س/ت ـَ د/ع ـَـَ/+ تُ//ـَـَ / انشطار/ـَ ي/ =

/ء ـِـ س/ت ـَ د/ع ـَـ ي/ت ـُ/استدعيتُ.

ونحو: انتمى + تُ:

/ء ـِـ ن/ت ـَ/م ـَـَ/انشطار/+ تُ/ـِـ/ء ـِـ ن/ت ـَ/م ـَـ ي/ت ـُ/انتميتُ.

ونحو: تنامى + تُ:

/ت ـَ/ن ـَـَ/م ـَـَ/انشطار/+ ت ـُ/=/ ت ـَ/ن ـَـَ/م ـَ ي/ت ـُ/تناميتُ [2].

وبيَّنَ الدكتور حسام النعيميّ علّة انشطار الصائت الطويل (الألف) في المقطع الأخير من هذه الأفعال إلى صائت قصير (الفتحة)، ونصف صائت من الكسرة (الياء)، إذ قال: «وإنَّما

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢٣.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢٤.

انشطر الصائت الطويل إلى قصير من جنسه (فتحة) على الأصل، ونصف صائت من الكسرة (الياء)؛ لأنَّ الألف ليس منها نصف صائت كما تقدَّم، فإمَّا أن يأتي نصف صائت إذا انشطرت من الضمّة، وإمَّا أن يأتي من الكسرة، والعربيّ أميل إلى الياء منه إلى الواو، ألاَّ يُرَى مثلاً أنَّ جمهور العرب غلَّبوا صوت الياء على صوت الواو في بناء الأجوف الواويّ للمجهول في نحو: قيلَ، والأصل: /ق ـُ/و ـِ/ل ـَ/، بزنة فُعِلَ: /و/ سقطت قاعدة المزدوج فالتقى صائتان: الضمّة والكسرة، ولا يجوز ذلك فحذف الجمهور الضمّة ومدُّوا الصوت بالكسرة فقالوا: /ق ـِـ/ل ـَ/، وحذف بعض العرب الكسرة ومدَّ الصوت بالضمّة فقال: /ق ـُـ/ل ـَ/[1].

٨. إذا كان الفعل ثلاثيًّا، ويتألَّف من مقطعين، وكان مقطعه الأخير طويلاً مفتوحاً، واتّصل به الضمير الصائت (الألف) رُجِعَ بالفعل إلى الأصل وحُذِفَ الصائت القصير (القمّة) من المقطع الأخير وحَلَّ محلّه الضمير الصائت، نحو: دعا + ـَ:

/د ـَ/ع ـَ/و ـَ/+ ـَـ/=/د ـَ/ع ـَ/و ـَـ/.

ونحو: رمى + ـَـ: /ر ـَ/م ـَ/ي ـَ/+ ـَـ/=/ر ـَ/م ـَ/ ي ـَـ/.

وإذا كان الفعل أكثر من مقطعين، انشطر الصائت الطويل في المقطع الطويل المفتوح؛ ليكون الصائت قمّةً للمقطع نفسه، ونصف الصائت قاعدة مقطع تالٍ قمّته الضمير الصائت، نحو: نحو: تنامى + ـَـ:

/ت ـَ/ن ـَـ/م ـَـ/+ ـَـ/ـــ/انشطار/ـــ/م ـَ ي//ت ـَ/ن ـَـ/م ـَ/ي ـَـ/[2].

وإذا كان المقطع الأخير طويلاً مفتوحاً واتّصل به الضمير الصائت (الواو)، نحو: دعا + ـُـ = /د ـَ/ع ـَـ/+ ـُـ، حُوِّلت قمّة المقطع إلى صائت قصير من جنسها، وحُوِّلَ الضمير الصائت إلى نصف صائت من جنسه (واو احتكاكيّة)؛ ليكون قاعدةً ثانيةً للمقطع الأخير:

/د ـَ/ع ـَـ/+ ـُـ/ـــ/ ـَ و/ـــ/ د ـَ/ع ـَ و/ دَعَوْا/[3].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤-٢٥.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٢٥.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦-٢٧.

والتوجيه الصوتيّ لهذا التحوُّل ـ حَسْب رأي الدكتور حسام ـ في ضوء الكلام على حفظ المراتب، «أن يُقال: المقطع الأخير قمّته صائت طويل (ـــَـــ)، والمطلوب وصل الضمير به، وهو أيضاً صائت طويل (ـــُـــ)، والتقاء صائتين لا يكون، كما لا يكون للمقطع الواحد قمّتان؛ لذا كان لا بُدَّ من شطر أحد الصائتين الطويلين، وشطر الضمير (ـــُـــ) أَولى؛ لأنَّه يكون منه نصف صائت بخلاف قمّة المقطع (ـــَـــ) الألف؛ إذ لا يكون منه نصف صائت، فيكون لدينا في التصوُّر صائت طويل (ـــَـــ) بعده صائت قصير (ـــُـــ) بعده نصف صائت (و) ـ الواو الاحتكاكيّة ـ تسقط الضمّة إذ لا يتوالى صائتان، فيبقى مقطع مديد يتحوَّل إلى طويل مغلق وفقاً للقاعدة في تحوُّل المديد إلى طويل مغلق في الدرج، أي:

/د ـــَـــ/ع ـــَـــ/+ ـــُـــ/انشطار/ـــُـــ/ـــ/ ـــُـــ و/=/ د ـــَـــ/ع ـــَـــ ـــُـــ و/ـــ/ـــُـــ و/× لتوالي صائتين ـــ/ د ـــَـــ/ع ـــَـــ و/، مديد يتحوَّل إلى طويل مغلق:

/ ع ـــَـــ و/ـــ/ د ـــَـــ/ع ـــَـــ و/»[1].

ونحو كلمة (تنامى)، يتوالى صائتان، أي:

«/ت ـــَـــ/ن ـــَـــ/م ـــَـــ/+ ـــُـــ/انشطار/ـــُـــ/ـــ/ـــُـــ و/ـــ

/ت ـــَـــ/ن ـــَـــ/م ـــَـــ ـــُـــ و/حذف/ـــُـــ/لتوالي صائتين ـــ

/ت ـــَـــ/ن ـــَـــ/م ـــَـــ و/م ـــَـــ و/مديد يتحوَّل إلى/م ـــَـــ و/ طويل مغلق ـــ

/ت ـــَـــ/ن ـــَـــ/م ـــَـــ و/، وبهذا يفسَّر تحوُّل الواو من صائت طويل /ـــُـــ/ إلى نصف صائت احتكاكي قيمته قيمة صامت /و/، ويفسَّر أيضاً تحوُّل الألف في دعا وتنامى ونحوهما إلى فتحة»[2].

❖ ❖ ❖

١) المصدر نفسه: ٢٦.

٢) أبحاث في أصوات العربية: ٢٦-٢٧.

المبحث الثاني

إشكالية الرسم في ضوء الدرس الصوتيّ الحديث

تناول الدكتور حسام النعيميّ مشكلة الرسم وبيَّنَ أنَّ تفسير القدماء الذين أوهمهم توحيد الرمز للاحتكاكيّ والمصوّت ـ ويُقصَد الواو والياء ـ أمر نملك أن نقول فيه كما قال أسلافنا، ونملك أن نعيد النظر فيما قرَّروه.

واتّخذ الكتابة الصوتية عوناً في تفسير التحوّلات الصوتية في ألفاظ العربية، وبيَّنَ أنَّ الدراسة الصرفية لتفسير التحوّلات الصوتية ينبغي أن تقوم على أُسس علمية صحيحة[١].

بدأ الدكتور النعيميّ بالفعل (غزا) وما ينصرف منه، نحو: غزا، يغزو، يغزوان، يغزون.

أمَّا غزا فيرى القدماء أنَّ الألف هنا منقلبة عن واو، لقولهم: غزا، يغزو، غزوا، فالفعل من باب نَصَرَ ينْصُرُ، أي: أنَّ الأصل غَزَوَ، تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها فقُلِبَت ألفاً، قال ابن جنّي: «فأمَّا قولهم: قال، وخاف، وطال، وسكون عين الفعل منها وإجماعهم على ذلك، فإنَّ أصل العين منه الحركة، فأصل (قال، قَوَلَ)، وأصل (خافَ، خَوِفَ)، وأصل (طال، طَوُلَ)، ثُمَّ انقلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، وليس أصل العين السكون، ولو كان الأمر كذلك لصحَّتِ الواو ولم تنقلب، وهذا مبيَّنٌ في موضعه»[٢].

يرى الدكتور النعيميّ أنَّ ما حصل من تحوُّل في هذا الفعل (غَزَوَ)، هو سقوط المزدوج الصاعد /و ـَـ/، ومدُّ الصوت بالصائت القصير (الفتحة)، الذي يُمثّل قمّة المقطع القصير السابق فصار مقطعاً طويلاً مفتوحاً، وكأنَّ ذلك كان تعويضاً من الحذف، أي: / غ ـَـ/ ز ـَ / وـَـ / × ← / غ ـَـ/ ز ـَـ / ← / = غ ـَـ/ ز ـَـ[٣].

وأمَّا يغزو فأصله: يَغزُوُ بزنة ينصُرُ، ويفسّر القدماء تحوّله إلى يَغْزُو بذهاب الحركة من الواو للثقل فتسكن، والواو الساكنة المضموم ما قبلها واو مدّ، قال ابن السرّاج (٣١٦هـ): «فقلت: هو يغزو عمرًا، ويرمي بكرًا فتسكن الياء والواو... وإنَّما امتنع من ضمّ الياء والواو لأنَّها تثقل فيهما»[٤].

يُبيِّن الدكتور النعيمي أنَّ هذا التفسير قاصر؛ لأنَّ الواو في الأصل المفترض تقابل الراء من يَنْصُرُ، فهي واو احتكاكيّة، وذهاب حركتها لا يحوّلها إلى صائت بل يُحدَث تغييراً في البنية المقطعيّة للكلمة، كالتغيير الذي يحدث في ينصر إذا سكنت الراء، أي:

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٤-٤٥.

٢) المنصف: ٥١-٥٢.

٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٦.

٤) الأصول في النحو: ١٦٤/٢.

/ ي ـَ ن/ ص ـُ / ر ـُ / × ـــ / ـُ/ × ـــ / ي ـَ ن/ ص ـُ ر/

/ ي ـَ غ/ ز ـُ / وـُ / ـــ / ـُ/ × ـــ / ي ـَ غ/ ز ـُ و/

فالواو في يغزو تتحوَّل إلى قاعدة ثانية للمقطع السابق ليصبح مقطعاً طويلاً مغلقاً، فهي واو احتكاكيّة، وهذا معناه ـ كما يرى الدكتور النعيميّ ـ أنَّ الواو تبقى احتكاكية وتكون قاعدة النهاية للمقطع الثاني الذي تحوّل من مقطع قصير إلى مقطع طويل مغلق.

تبيِّن الكتابة المقطعية أنَّ المضارع من (غزا) مكوَّن من مقطعين الأوّل طويل مغلق، والثاني أيضاً طويل مغلق، ولكنَّ واقع لفظ المضارع هو:

/ ي ـَ غ/ ز ـُـُ /، المقطع الأوّل طويل مغلق، والثاني طويل مفتوح، وتفسير الدكتور النعيميّ لما حصل في الفعل (يغزو) هو: حذف المزدوج الصاعد / وـُ/، ومَدُّ الصوت بالحركة القصيرة، وهي قمّة المقطع السابق فصارت حركةً طويلةً، وصار المقطع طويلاً مفتوحاً، وكأنَّ ذلك كان تعويضاً من الحذف[١].

وبحذف المزدوج وإطالة الصوت بالصائت القصير الذي قبله فسَّر الدكتور النعيميّ نحو: قال، وباع، وخاف، ونحو: سما ورمى.

قرَّرَ القدماء أنَّ الأصل المفترض لهذه الأفعال هو:

(قال، قَوَلَ)، و(باعَ، بَيَعَ)، و(خافَ، خَوِفَ)، و(سما، سَمَوَ)، و(رمى، رَمَيَ)، قال ابن جنّي: «وينبغي أن يُعلَم أنَّه ليس معنى قولنا: إنَّه كان الأصل في (قام، وباع: قَوَمَ وبَيَعَ) وفي (أخاف، وأقام: أخْوَفَ، وأقْوَمَ) وفي (استعان، واستقام: اسْتَعْوَنَ، واستَقْوَمَ) أنَّنا نريد به أنَّهم قد كانوا نطقوا مدّةً من الزمان بـ(قَوَمَ وبَيَعَ) ونحوهما ممَّا مُغيَّر، ثُمَّ إنَّهم أضربوا عن ذلك فيما بعد. وإنَّما نريد بذلك أنَّ هذا لو نُطِقَ به على ما يوجبه القياسُ بالحمل على أمثاله، لقيل: (قَوَمَ وبَيَعَ، واستَقْوَمَ، واسْتَعْوَنَ»[٢].

يَتبيَّن أنَّ العين في الأجوف على الأصل المفترض هي قاعدة مزدوج، وهي نصف صامت احتكاكية، قيمتها قيمة صامت، والعين في واقع الحال هي صائت طويل، حُذِفَ المقطع الثاني وهو المزدوج ـ على رأي الدكتور النعيميّ ـ ومُدَّ الصوت بصائت المقطع الأوّل، فوزن، قال: فال، وكذلك الشأنُ في باع، وخاف، أي:

/ ق ـَ / وـَ / ل ـَ / ـــ/ وـَ /× ، / ـَ / ـــ/ـَـَ / = /ق ـَـَ/ ل ـَ/

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٦.

٢) المنصف: ١٨٢.

/ ب ـَ / ي ـَ / ع ـَ / ـﻫ/ ي ـَ /× ، / ـَ / ـﻫ/ـَـَ / = /ب ـَـَ/ ع ـَ/

/ خ ـَ / وـِ / ف ـَ / ـﻫ/ وـِ /× ، / ـَ / ـﻫ/ـَـَ / = /خ ـَـَ/ ف ـَ/[١].

وكذلك في نحو سما، ورمى، فالأصل سَمَوَ، ورَمَيَ، أي: / س ـَ / م ـَ / وـَ / على الأصل المفترض، حذف المزدوج / وـَ /× ، ومُدَّ الصوت بالصائت القصير الذي يُمثّل قمّة المقطع السابق فصار مقطعاً طويلاً مفتوحاً، أي: / س ـَ / م ـَـَ /.

/ ر ـَ / م ـَ / ي ـَ / على الأصل المفترض، حذف المزدوج / ي ـَ /× ، ومُدَّ الصوت بالصائت القصير الذي قبله، أي: / ر ـَ / م ـَـَ / فوزن الكلمة: فعا[٢].

وللدكتور النعيميّ توجيهان آخران لتفسير التحوّلات الصوتية للفعل (يغزو)، وهما:

الأوّل: يقوم على أساس اتّحاد الصائتين القصيرين ليُشكّلا صائتاً طويلاً بعد سقوط الواو، أي:

/ غ ـَ / ز ـَ / وـَ / ـﻫ / و/ × ـﻫ / / غ ـَ / ز ـَـَ /

يقول برجستراسر: «فالاتحاد نوعان: والنوع الثاني هو اتّحاد الحركة السابقة للواو أو الياء، بالحركة التالية لها، مع حذف الواو أو الياء نفسها، مثال ذلك: (غزا)، أصلها (غَزَوَ)، و(رَمَى) أصلها (رَمَيَ)»[٣].

الثاني: يقوم على أساس سقوط الصائت القصير (الضمّة) بعد الواو للتخفيف، ثُمَّ اتّحاد في المزدوج الهابط بين الصائت القصير (الضمّة) ونصف الصامت (الواو الاحتكاكيّة)، ليُشَكّلا صائتاً طويلاً، أي: / ي ـَ غ/ ز ـُ / وـُ / ـﻫ / ـُ/ × ـﻫ / ي ـَ غ/ ز ـُ و/ـﻫ / ـُ و/ اتّحاد ـﻫ / ـُـُ / ـﻫ / ي ـَ غ/ ز ـُـُ /[٤].

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٧.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٨، والمنهج الصوتي للبنية العربية: ٨٧.

٣) التطوّر النحوي للغة العربية: ٤٧-٤٨.

٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٨.

يقول برجستراسر: «فالاتّحاد نوعان: الأوّل: اتّحاد الواو أو الياء الساكنة، مع ضمّة أو كسرة سابقة لها؛ فمثال الواو مع الضمّة: (يُوجَد)، ومثال الياء مع الكسرة: (سِيْرة)... »[١]؛ لأنَّ الواو في يوجد على الأصل تقابل الفاء من (يُفْعَل) فهي احتكاكية تشكل قاعدة النهاية للمقطع الأوّل / ي ـُـ و/ وهو مقطع طويل مغلق، وبعد اتّحاد الصائت القصير بنصف الصامت صار الصوت صائتاً طويلاً / ي ـُـ /، أي:

/ي ـُ و/ج ـِ /د ـُ /ـــ / ـُ و/ اتّحاد ـــ / ـُـ / ـــ / ي ـُـ / ج ـَ / د ـُ /.

أمَّا سيرة فوزنها على الأصل: فِعْلَة، فالياء تقابل العين، وهي احتكاكيّة نصف صامت، تُشكِّل قاعدة النهاية للمقطع الأوّل /س ـِي/ وهو مقطع طويل مغلق، وبعد اتّحاد الصائت القصير بنصف الصامت، صار الصوت صائتاً طويلاً، أي: / س ـِ ي/ر ـَ/ت ـُ ن/ـــ/ ـِ ي/ اتّحاد ـــ / ـِـ / ـــ / س ـِـ / ر ـَ / ت ـُ ن/[٢].

أقول: إنَّ هذين التوجّهين اللذين وافق الدكتور النعيمي فيهما المستشرق برجستراسر بعيدان عن الواقع وعن الحقيقة الصوتية؛ لأنَّه لا يمكن أن يُتصوَّر اتّحاد حركتين (فتحتين)؛ لأنَّ هذه الحركات ليست أجزاءً مادّية يربط بينهما المتكلّم ليؤلّف حركةً طويلةً، هذا فيما يخصُّ التوجيه الذي يقوم على أساس اتّحاد صائتين قصيرين.

أمَّا التوجيه الثاني الذي يقوم على أساس الاتّحاد في المزدوج بين صائت قصير (ضمّة) وبين نصف صامت (واو احتكاكيّة)، فهذا لا يمكن استناداً إلى رأيهم ـ أي: المحدثين ـ أنَّ الواو الاحتكاكية، وكذلك الياء الاحتكاكيّة قيمتها قيمة صوت صامت، فالواو الاحتكاكيّة إذن تُعامَل معاملة الصوامت، فهل يجوز أن يتّحد صوت من جنس الصوائت (الحركات) مع صوت من جنس الصوامت؟

---

١) التطوّر النحوي للغة العربية: ٤٨.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٩.

وأرى أنَّ الذي دعا المحدثين إلى هذين التوجيهين هو الرسم، أعني الكتابة المقطعيّة، فالذي عابوه على القدماء أنـَّهم أوهمهم الرسم فخلطوا بين الواو والياء المدّيّتين (الصوائت) والواو والياء الاحتكاكيّتين، وقعوا هم فيه، فقد أوهمتهم الكتابة المقطعية، نحو: / غ ـَ / ز ـَ / وـَ /، فوجدوا بعد سقوط الواو الاحتكاكيّة فتحتين، والفتحتان عند المحدثين تـُشكـِّلان صائتاً طويلاً.

وفي نحو: يغزُوُ: / ي ـَ غ/ ز ـُ / وـُ / وجدوا بعد سقوط الصائت القصير (الضمّة) من آخر الفعل، وتحوّل الواو الاحتكاكيّة إلى قاعدة ثانية للمقطع السابق / ي ـَ غ/ ز ـُ / وـُ / ← / ـُ/ × ← / ي ـَ غ/ ز ـُ و/، وجدوا في الرسم الضمّة والواو الاحتكاكيّة ممَّا دعاهم إلى هذا التوجيه، أي: اتّحد الصائت القصير مع نصف الصامت فَشكَّلا صائتاً طويلاً.

استعان الدكتور النعيمي بفكرة الانشطار في تفسير التحوّلات الصوتية في نحو: مكرمو أبيك، ومكرمي أبيك، عند تحوّلها في بعض اللهجات إلى مكرمُ وَبيك، ومكرم يَبيك، أي:

/ م ـُ ك/ ر ـِ / م ـُ / ء ـَ / ب ـِ / ك ـَ / ، / ء/ × ، / ـُ / ← / ـُ و/ م ـُ ك/ ر ـِ / م ـُ / وـَ / ب ـِ / ك ـَ /.

م ـُ ك/ ر ـِ / م ـِ/ ء ـَ / ب ـِ / ك ـَ / ، / ء/ × ، / ـِ / ← / ـِ ي/ ← / م ـُ ك/ ر ـِ / م ـِ / ي ـَ / ب ـِ / ك ـَ /.

تُحذَف الهمزة التي هي قاعدة المقطع الرابع، ويبقى الصائت القصير (الفتحة) وحده، وهو لا يُشكِّل مقطعاً، ولا يمكن إلحاقه بالمقطع السابق إذ لا يكون صائتان في مقطع واحد، ولذا ينشطر الصائت الطويل وهو قمّة المقطع الثالث مكوِّناً صائتاً قصيراً هو قمّة المقطع الجديد، ونصف صامت يُجعَل قاعدةً للمقطع الذي فَقَدَ قاعدته بذهاب الهمزة للتخفيف[1].

وبيَّنَ الدكتور النعيميّ أنَّ بعض العرب أفاد من هذا الانشطار في تكرير نصف الصامت ليكون قاعدةً للمقطع الذي فَقَدَ قاعدته بالتخفيف، ويحافظ على النبر بتحوّله من نبر الهمزة إلى نبر التشديد، أي: مكرمو أبيك: مكرمُوَّبيك: م ـُ ك/ ر ـِ / م ـُ/ ء ـَ / ب

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٤٩.

ـِـ / ك ـَ /، / ء/ ← / و/، / ـُـ/ انشطار← / ـُ و/ يُشكِّل هذا المزدوج الهابط مع الصامت الأوّل / م / مقطعاً طويلاً مغلقاً: م ـُ ك/ ر ـِ / م ـُو/ و- / ب ـِـ / ك ـَ /[١].

قال سيبويه: «واعلم أنَّ العرب منها مَنْ يقول في أوْ أنت: أوّنْتَ ، يبدل. ويقول: أنا أرمِيّ باك، وأبُوَّ يُّوب يريد أبا أيُّوب، وغلامَيَّ بيك»[٢].

وأوضح الدكتور النعيميّ أنَّ الفعل المعتل، نحو: يدعو، ويرمي ينتهي بصائت طويل، ولا يمكن أن يأتي بعده صائت، فعند نصبه ينشطر الصائت الطويل إلى صائت قصير يحلّ محلّ الصائت الطويل في قمّة المقطع، ونصف صامت يكون قاعدةً للمقطع الذي قمّته الصائت القصير (الفتحة المجتلبة)، أي: أي: /ي ـَـ د/ ع ـُـ/ + ـَـ / ، /ـُـ/ انشطار← / ـُ و/ ← / ي ـَـ د/ ع ـُ / وـَـ /.

ي ـَـ ر/ م ـِـ/ + ـَـ / ، /ـِـ/ انشطار← / ـِ ي/ ← / ي ـَـ ر/ م ـِـ / ي ـَـ /.

هذا على واقع الحال، أمَّا على الأصل فالفعل بزنة يَنْصُرُ، تُحذَف الضمّة، وتحلّ محلّها الفتحة علامةً على النصب، أي: /ي ـَـ د/ ع ـُـ/ وـُـ / + ـَـ / ، /ـُـ/ × ← / ي ـَـ د/ ع ـُـ/ وـَـ /.

/ي ـَـ ر/ م ـِـ/ ي ـُـ / + ـَـ / ، /ـُـ/ × ← / ي ـَـ ر/ م ـِـ / ي ـَـ /[٣].

أمَّا يغزون (لجمع المذكَّر السالم) في نحو: الرجال يغزون، فالأصل عند القدماء: يغزو بزنة يَنْصُرُ، حُذِفَت ضَمّة الواو للثقل، فصار يَغْزُو، زيدت عليه الواو والنون فصار يَغْزُوْوْنَ، التقى ساكنان معتلان فحُذِفَ لام الكلمة، فصار يَغْزُونَ، قال ابن جنّي «فالمتّفقان نحو قولك: هم يغزون ويدعون. وأصله يغزوون، فأُسكِنَت الواو الأُولى التي هي اللام، وحُذِفَت لسكونها وسكون واو الضمير والجمع بعدها»[٤].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٤٩-٥٠.

٢) الكتاب: ٥٥٦/٣.

٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٠.

٤) الخصائص: ١٣٨/٣.

وقال رضي الدين الاستراباذي (٦٨٨هـ): «أصل يَغْزُونَ يغزو، لحقه واو الجمع، فحذف الواو الأولى للساكنين»[١].

يرى الدكتور النعيمي أنَّ الواو المقابل لراء (ينصر) وهي لام الكلمة احتكاكية (نصف صامت)، أمَّا الواو في يغزو فهي صائت طويل، «لذا ينبغي أن يُشار في التفسير إلى ما تقدَّم من أنَّ الصورة وإن كانت واحدةً في الرسم إلاَّ أنَّ الصوت مُختلف، ويُورد أحد التوجيهات الثلاثة المذكورة آنفاً في بيان ذهاب لام الكلمة الاحتكاكي وحلول مصوِّت طويل محلّه، ثُمَّ يُقال: زيدت واو الجمع وهي مصوِّت طويل، ولا يلتقي مصوِّتان؛ لأنَّ المقطع له قمّة واحدة كما تقدَّم، فحُذِفَ أحدهما، ووزن الكلمة في كُلّ الأحوال: يفعون»[٢]. أي:

/ ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـُ / ـُ /× ← / ي ـَ غ/ ز ـُ و/← / ـُُ / ← / ي ـَ غ/ ز ـُُ / + ـُُ ن ـَ /، يُحذَف أحد الصائتين / ـُُ / × ← / ي ـَ غ/ ز ـُُ / ن ـَ /[٣].

أمَّا عند إسناد الفعل إلى جمع الإناث في نحو: النساء يَغزونَ، فيرى القدماء أنَّ الفعل مبنيٌّ على السكون لاتّصاله بنون النسوة، وأنَّ الواو هي لام الكلمة، فهو مثل يَكْتُبْنَ.

ولكنَّ الدكتور النعيمي يرى أنَّ هذه الواو صائت طويل ولام الكلمة المقابلة لباء يكتب نصف صامت، وأصل يَغْزُوُ بزنة يكتبُ دخلت النون فسكنت الواو فصار: يَغْزُوْنَ بواو احتكاكيّة نصف صامت، أي:

/ ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـُ/ + ن ـَ / ـُ / / × ← / ي ـَ غ/ ز ـُ و/ ن ـَ / ، / ـُ و/ اتّحاد ← / ـُُ / ← / ي ـَ غ/ ز ـُُ / ن ـَ /، أي: اتّحد المزدوج الهابط مشكّلاً صائتاً طويلاً هو قمّة المقطع الثاني.

أو: سقطت قاعدة المزدوج ومُدَّ الصوت بالصائت القصير فصار صائتاً طويلاً، أي:

---

١) شرح شافية ابن الحاجب: ١٢٧/٣.

٢) أبحاث في أصوات العربية: ٥١.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥١.

/ ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـُ/ + ن ـَ / ـُ / × ← / ي ـَ غ/ ز ـُ و/ ن ـَ / ، / و/ × ← / ي ـَ غ/ ز ـُُ / ن ـَ /[١].

أرى أن يكون التوجيه الثاني هو: سقط المزدوج (المقطع الثالث) ومُدَّ الصوت بالصائت القصير فصار صائتاً طويلاً هو قمّة المقطع السابق، أي:

/ ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـُ/ + ن ـَ / ، / و ـُ / × ← / ي ـَ غ/ ز ـُُ / ن ـَ /.

أمَّا يغزوان فيرى القدماء أنَّ الفعل يغزو زيدت عليه الألف والنون فتحرَّكت الواو بالفتح رعايةً للألف.

ويرى المحدثون أنَّ أصوات المدّ صوائت طويلة ولا يمكن أن يسبق الصائت بصائت، قال عبدالصبور شاهين: «ونرى نحن أنَّ عين الفعل في الأمثلة الثلاثة السابقة ـ يعني (يسعى، ويدعو، ويرمي) ـ لا تتحمَّل أيَّة حركة قبل أصوات العلّة في أواخرها، بل إنَّ أصوات العلّة هي حركات عين الفعل»[٢]. وقال: «والثاني: ما ذهبوا إليه ـ يقصد القدماء ـ في معاملة الألف والواو المدّية، من أنَّها غير الحركات القصيرة، على الرغم من أنَّ رجلاً كابن جنّي قد قرَّرَ (أنَّ الحركات أبعاض حروف المدّ)، ولكنَّ هذه الملاحظة لم تؤتِ أثرها في مسلك القدماء حيال هذه الأصوات الطويلة وأجزائها، فالقاف من (قال) والميم من (يرمي) كلا الحرفين متحمّل لحركة تسبق الألف، وهو خلط لا تقبله الدراسة الحديثة؛ لأنَّ القاف متحرّكة بالفتحة الطويلة بعدها، وكذلك الميم»[٣].

لهذا يرى الدكتور النعيمي أنَّ الألف زيدت على أصل يغزو التي هي بزنة يَكْتُبُ، والواو احتكاكية غير متبوعة بصائت، أي:

/ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـُ/ ، / ـُ / × ← / ي ـَ غ/ ز ـُ و/+ ـَـَ ن ـِ/، / ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـَـَ/ ن ـِ /، أي:

إنَّ الواو الاحتكاكية أصبحت قاعدةً للمقطع الثالث بعد إضافة الصائت الطويل (الألف)[٤].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٥١.

٢) المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨.

٣) المصدر نفسه: ٣٥.

٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥١.

والتوجيه الثاني للدكتور النعيمي هو أنَّ زيادة الألف على واقع الحال أدَّى إلى توالي صائتين طويلين، وهذا لا يكون فانشطر الصائت الأوّل إلى صائت قصير هو قمّة المقطع الثاني، ونصف صامت (احتكاكي) هو قاعدة المقطع الثالث، أي:

/ي ـَ غ/ ز ـُـُ/ + ـَـَ ن ـِ/ ، /ـُـُ/ انشطار← / ـُ و/ ي ـَ غ/ ز ـُ / و ـَـَ/ ن ـِ /[1].

وفي نحو يخْشَوْن يرى القدماء أنَّ ألف يخشى حُذِفَت بعد مجيء واو الجمع وبقيت الفتحة دليلاً عليها.

ويرى الدكتور النعيميّ أنَّ واو يخْشَوْن جزء من مزدوج، وهي احتكاكية ليست صائتاً، وواو الجمع صائت طويل؛ لذا كان لا بُدَّ مَنْ تقديم تفسير غير الذي قاله القدماء، فيُقال: الأصل خَشِيَ يخشَى بزنة عَلِمَ يَعْلَمُ: حُذِفَ المزدوج الصاعد ومُدَّ الصوت بالصائت القصير الذي قبله فصار صائتاً طويلاً، أي:

/ي ـَ خ/ ش ـَ/ ي ـُ/ ، /ي ـُ/ ×، / ـَ / ← / ـَ / ← /ي ـَ خ/ ش ـَـَ/.

وبيَّنَ أنَّ العربية أقَرَّت المزدوج الصاعد في آخر اللفظ إذا كان قبله كسرة أو ضمّة وقمّته فتحة، نحو: لن يرميَ، ولن يدعوَ، فإن كان قبل المزدوج الصاعد فتحة حُذِفَ المزدوج وجُعِلَ الصائت القصير طويلاً بمدِّ الصوت به، نحو:

لن يَرضَيَ ← لن يَرضى، أي:

لن يَرضَيَ: لن /ي ـَ ر/ ض ـَ/ ي ـَ/ ، /ي ـُ/ × ← / ـَ / ـَـَ / ← لن/ي ـَ ر/ ض ـَـَ/[2].

فإذا لحقت الفعل يخشى واو الجمع عدنا به إلى الأصل، كما يرى الدكتور النعيميّ، أي: يَخْشَى: يَخْشَيُ، يُحذَف مقطع المزدوج الصاعد؛ لأنَّ قبله فتحة ويتحوَّل الصائت الطويل (الواو المدِّية) إلى احتكاكيّة لتكون قاعدةً للمقطع الثاني إذ لا يتوالى صائتان، أي:

/ي ـَ خ/ ش ـَ/ ي ـُ/ + ـُـُ ن ـَ / ، /ي ـُ/ ×، / ـُـُ / انشطار← / ـُ و/ ← /ي ـَ خ/ ش ـَ/ ـُ و/ ن ـَ / ، /ـُ/ × يُحذَف لئلا يتوالى صائتان / ← / ي ـَ خ/ ش ـَ و/ ن ـَ/ [3].

---

١) المصدر نفسه: ٥٢.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٢.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣.

والتوجيه الثاني للدكتور النعيميّ هو: أنَّ الواو المدّيّة زيدت على الفعل على واقع الحال، وحوّلت الواو المدّيّة (الصائت الطويل) إلى واو احتكاكية؛ لأنَّه لا يتوالى صائتان، وجعلت الواو الاحتكاكية (نصف الصامت) قاعدةً للمقطع المديد، وهو مقطع ترفضه العربية في غير الوقف، وفي غير إدغام قاعدته الثانية في أوّل المقطع الثاني، كما في نحو (ضالاً)، فتحوِّله إلى مقطع طويل مغلق، أي:

/ي ـَ خ/ ش ـَـَ/ + ـُـُ ن ـَ / ، / ـُـُ/ و/ ← / ي ـَ خ/ ش ـَـَ و/ ن ـَ / ← / ي ـَ خ/ ش ـَ و/ ن ـَ/ [1].

أمَّا مع ألف الاثنين فتوجيه الدكتور النعيميّ بالنظر إلى الأصل هو: حذف الصائت القصير من المقطع الأخير بعد مجيء الصائت الطويل، إذ لا يتوالى صائتان، أي:

/ي ـَ خ/ ش ـَ/ ي ـُ / + ـَـَ ن ـِ / ، / ـُ/ × ← / ي ـَ خ/ ش ـَ / ي ـَـَ ن ـِ/.

وتوجيهه على واقع الحال هو: أنَّ العربية أعادت الياء مع الألف تجنّباً لكثرَة الحذف؛ لأنَّ مجيء الصائت الطويل (ألف الاثنين) بعد صائت طويل (ألف يخشى) يؤدِّي إلى سقوط أحدهما، إذ لا يتوالى صائتان، فنكون قد حذفنا الياء من أصل الفعل (يخشَيُ)، ثُمَّ حذفنا ما جئنا به تعويضاً عن المحذوف، فآثرت العربية لاضطرارها إلى حذف العوض أن تعود إلى المعوّض منه وهو الياء، عن طريق شطر الصائت الطويل (الألف) إلى صائت قصير (فتحة) ونصف صامت (الياء الاحتكاكية)، ويكون الصائت القصير قمّة المقطع الثاني ونصف الصامت قاعدة المقطع الثالث، أي:

/ي ـَ خ/ ش ـَـَ/ + ـَـَ نِ / ، / ـَـَ/ ← / ـَ ي/ ← / ي ـَ خ/ ش ـَ / ي ـَـَ ن ـِ /.

وبيَّنَ الدكتور النعيميّ سبب انشطار الصائت الطويل (الألف) إلى صائت قصير (فتحة) ونصف صامت من أصل ما في الفعل وهو الياء أنَّ الألف لا يكون منه نصف صائت[2].

وفي نحو (يرمي) يرى الدكتور النعيميّ أنَّ القدماء لم يقدِّموا التفسير الصوتي الذي كنّا نرجو أن نجده عندهم، وبيَّنَ أنَّ الفعل لم يُكتَفَ فيه بحذف الحركة بل حوِّلَت الياء الاحتكاكية إلى صائت طويل (ياء مدّية)، وهذه غير هذه؛ لأنَّ الأُولى الاحتكاكية قاعدة المقطع المكوَّن من مزدوج، أي:

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٣.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٤.

/ي ـَ ر/ م ـِ/ ي ـُ/ هذا على الأصل، وعلى واقع الحال، هي صائت طويل هو قمّة المقطع المفتوح في آخر الكلمة، أي

/ ي ـَ ر/ م ـِـ /.

والتفسير الذي اختاره الدكتور النعيميّ هو: أنَّ مقطع المزدوج الصاعد حُذِفَ للتخفيف وعُوِّضَ بمدٍّ الصوت بصائت المقطع السابق فصار مقطعاً طويلاً بعد أن كان قصيراً، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِ/ ي ـُ / ، / ي ـُ/ × ،/ ـَ /←/ ـِـ /←/ ي ـَ ر/ م ـِـ /.

وفي حال اتّصال واو الجماعة (وهو صائت طويل)، يُحذَف الصائت الطويل من آخر الكلمة إذ لا يتوالى صائتان، وأصبح الصائت الطويل الجديد قمّة المقطع قاعدته قاعدة الصائت الطويل المحذوف، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِـ/ + ـُـ ن ـَ / ، / ـِـ/ × ←/ ي ـَ ر/ م ـُـ / ن ـَ /.

هذا بالنظر إلى واقع الحال، أمَّا بالنظر إلى الأصل فيرى الدكتور النعيميّ أنَّ مقطع المزدوج الصاعد قد حُذِفَ بعد مجيء الصائت الطويل (واو الجماعة)، وحُذِفَت قمّة المقطع الثاني لدخول الصائت الطويل، إذ لا يتوالى صائتان، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِ/ ي ـُ/ + ـُـ ن ـَ / ، /ي ـُ / × ، / ـِ / × ←/ ي ـَ ر/ م ـُـ / ن ـَ /[1].

وإذا اتّصل ألف الاثنين بالفعل (يرمي) توالى صائتان وهذا لا يمكن فانشطر الصائت الطويل في آخر الفعل إلى صائت قصير يحلّ محلّ الصائت الطويل، ونصف صامت يكون قاعدةً للمقطع الجديد، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِـ/ + ـَـَ ن ـِ / ، / ـِـ/←/ ـِ ي/ ←/ ي ـَ ر/ م ـِ / ي ـَـَ / ن ـِ /. هذا على واقع الحال، أمَّا على الأصل، فالفعل يَرْمِيُ بزنة يَضْرِبُ، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِ/ ي ـُ/ حُذِفَت قمّة المزدوج الصاعد وجعل الصائت الطويل مكانها إذ لا يتوالى صائتان، أي:

/ي ـَ ر/ م ـِ/ ي ـَـَ / ن ـِ /، أي: أنَّ الفعل يُكتَفى فيه بحذف الصائت القصير من آخره إذا زيدت عليه ألف الاثنين[2].

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٤-٥٥.

٢) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٥.

إذا كانت عين الفعل واواً أو ياءً وقبلهما ساكن صحيح فالقاعدة عند القدماء أن تنقل الحركةُ من المعتل إلى الساكن الصحيح قبله، قال نور الدين الأُشْمُونيّ: «إذا كان عين الفعل واواً أو ياءً وقبلهما ساكن صحيح وجب نقل حركة العين إليه؛ لاستثقالها على حرف العلّة، نحو: يَقْوُم ويَبْيِن، بضمّ الواو وكسر الياء، فنقلت حركة الواو والياء إلى الساكن قبلهما، وهو قاف يقوم وباء يبين، فسكنت الواو والياء. ثُمَّ اعلم أنَّه إذا نقلت حركة العين إلى الساكن قبلها؛ فتارةً تكون العين مجانسةً للحركة المنقولة، وتارةً تكون غير مجانسة. فإن كان مجانسةً لها لم تغيّر بأكثر من تسكينها بعد النقل، وذلك مثل ما تقدَّم.

وإن كانت غير مجانسة لها أُبدِلَت حرفاً يجانس الحركة، كما في نحو: أقام وأبان، أصلهما أقوم وأبين، فلمَّا نُقِلَت الفتحة إلى الساكن بقيتِ العين غير مجانسة لها، فقُلِبَت ألفاً لتحرّكها في الأصل وانفتاح ما قبلها، ونحو يقيم أصله: يقْوِم، فلمَّا نُقِلَت الكسرة إلى الساكن بقيت العين غير مجانسة لها فقُلِبَت ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها»[1].

يرى الدكتور النعيميّ أنَّ الأصل في نحو هذه الأفعال نصف صامت قيمته قيمة صامت وهو جزء من مزدوج، والحال وجود صائت طويل، ومَثَّلَ لرأيه هذا بالأفعال (أخاف يخيف، ويقول، ويبيع)، وبيَّنَ أنَّ التفسير الصوتيّ لمثل هذا النوع من الإعلال أن يُقال: إنَّ قاعدة المزدوج الصاعد قد حُذِفَت تخفيفاً وعُوِّضَ عنها بمدٍّ الصوت بالصائت القصير وأُعيدَ تشكيل مقاطع الكلمة، أي:

/ء ـَ خ/ و ـَ/ ف ـَ / ، / و/ × ←/ ـَ / ←/ ـَـَ/ ←/ ء ـَ / خ ـَـَ / ف ـَ /.

/ي ـُ خ/ و ـِ/ف ـُ /، / و/ × ،/ ـِ / ←/ ـِـِ/ ←/ ي ـُ / خ ـِـِ / ف ـُ /.

/ي ـَ ق/ و ـُ/ ل ـُ / ، / و/ × ،/ ـُ / ←/ ـُـُ/ ←/ ي ـَ / ق ـُـُ / ل ـُ /.

/ي ـَ ب/ ي ـِ/ ع ـُ / ، / ي / × ،/ ـِ / ←/ ـِـِ/ ←/ ي ـَ / ب ـِـِ / ع ـُ /.

---

١) شرح الأشمُوني على ألفية ابن مالك: ١٣١/٤-١٣٢.

فوزن أخاف: أفال، ووزن يُخيف: يفيل، ووزن يقول: يفول، ووزن يبيع: يَفيل[١].

وفي نحو ميزان والأصل مِوْزان، بواو نصف صامت، يرى الدكتور أنَّ قاعدة المزدوج الهابط حُذِفَت ومُدَّ الصوت بالصائت القصير تعويضاً عن ذلك، أي:

/م ـِ و/ ز ـَـَ/ ن ـُ ن/ ، / و/ × ←/ ـِ/ ←/ ـِـِ / ←/م ـِـِ / ز ـَـَ/ ن ـُ ن/[٢].

أقول: إذا كانت عين الفعل واواً أو ياءً وقبلها ساكن صحيح، فإنَّ قاعدة المزدوج تسقط وتبقى قمّة المقطع، وهي لا تُشكِّل مقطعاً؛ لذا تُشكِّل مع القاعدة الثانية للمقطع الأوّل مقطعاً قصيراً، أي:

/ي ـَ ق/ و ـُ/ ل ـُ / ، / و/ × ←/ ي ـَ / ق ـُ / ل ـُ /، / ـُ / ←/ ـُـُ /←/ي ـَ/ ق ـُـُ/ ل ـُ /، يتحوَّل المقطع الثاني القصير إلى مقطع طويل مفتوح، وذلك بمدّ الصوت بالصائت القصير ليصير صائتاً طويلاً:

/ي ـَ ب/ ي ـِ/ ع ـُ / ، / ي / × ← / ي ـَ / ب ـِ/ ع ـُ / ، / ـِ/ ← / ـِـِ / ← / ي ـَـَ /ب ـِـِ / ع ـُـُ /، يتحوَّل المقطع الثاني القصير إلى مقطع طويل مفتوح، وذلك بمدّ الصوت بالصائت القصير ليصير صائتاً طويلاً.

إنَّ مدَّ الصوت بالصائت القصير وتحوّل المقطع من مقطع قصير إلى مقطع طويل مفتوح هو لتمييز اللفظ عند الوقف عن اللفظ في حال الجزم؛ لأنَّه لو لم يُمَدَّ الصوتُ بالصائت القصير في حال الرفع لشابه اللفظ في حال الجزم اللفظ في حال الرفع عند الوقف، أي:

يَقُول: /ي ـَ ق/ و ـُـُ/ ل ـُ / ، / و/ × ←/ ي ـَ / ق ـُ ل / وقفاً قبل إشباع الحركة (الصائت القصير)، وفي حال الجزم يكون اللفظ وصلاً ووقفاً:

لم يقُلْ: لم/ ي ـَ / ق ـُ ل / تبيِّن الكتابة المقطعية تشابه مقاطع الكلمة في حال الجزم مع مقاطعها في حال الرفع لو لم يمدّ الصوت بالصائت القصير.

وكذلك في باب (مُفْعِل) من نحو: أقام وأسال، يُقال: مُقيم، ومُجيد، ومُسيل، ومُعيل، والأصل مُقْوِم، ومُجْوِد، ومُسْيِل، ومُعْيِلُ، تُحذَف قاعدة المزدوج الصاعد ويمدُّ الصوت بالصائت القصير، أي:

/م ـُ ق/ و ـِ/ م ـُ ن/ ، / و/ × ، / ـِ / ←/ ـِـِ / ←/ م ـُ/ ق ـِـِ/ م ـُ ن/.

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٦-٥٧.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٧.

/م ـُ ج/ و ـِ / د ـُ ن/ ، / و/ × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ م ـُ / ج ـِ / د ـُ ن/.

/م ـُ س/ ي ـِ/ ل ـُ ن/ ، / ي / × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ م ـُ/ س ـِ ـِ/ ل ـُ ن/.

/م ـُ ع/ ي ـِ/ ل ـُ ن/ ، / ي / × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ م ـُ / ع ـِ ـِ/ ل ـُ ن/[1].

وفي باب (الإفعال) من أوجد، وأوصل، وأينع، وأيقن، يرى الدكتور النعيميّ أنَّ قاعدة المزدوج الهابط قد حُذِفَت ومُدَّ الصوت بالصائت القصير، أي:

/ء ـِ و/ ج ـَ/ د ـُ ن/ ، / و/ × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ ء ـِ ـِ/ ج ـَ / د ـُ ن/.

/ء ـِ و/ ص ـَ/ ل ـُ ن/ ، / و/ × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ ء ـِ ـِ/ ص ـَ / ل ـُ ن/.

/ء ـِ ي/ ن ـَ/ ع ـُ ن/ ، / ي / × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ ء ـِ ـِ/ ن ـَ / ع ـُ ن/.

/ء ـِ ي/ ق ـَ/ ن ـُ ن/ ، / ي / × ، / ـِ / ←/ ـِ ـِ / ←/ ء ـِ ـِ/ ق ـَ / ن ـُ ن/[2].

❖ ❖ ❖

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٥٧-٥٨.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٨.

المبحث الثالث

القضايا التطريزية

المطلب الأوّل: النبر

النبر لغةً: «النَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز. قَالَ: وكلُّ شَيْءٍ رَفَعَ شَيْئًا، فَقَدْ نَبَرَه. والنبْرُ: مَصْدَرُ نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه... وَرَجُلٌ نَبَّارٌ: فصيحُ الكلامِ... ابْنُ الأَنباري: النبْر عِنْدَ الْعَرَبِ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ. يُقَالُ: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إِذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فِيهَا عُلُوٌّ»[١].

واصطلاحاً: «هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقتٍ واحد»[٢].

وعَرَّفه الدكتور سلمان العاني بقوله: «مقدار القوة Power على مقاطع كُلّ لفظ»[٣].

وأوضح الدكتور العاني أنَّ للنبر ثلاثة مستويات، هي:

المستوى الأوّل: النبر الأوّلي، ويُرمَز له بـ(/).

المستوى الثاني: النبر الثانويّ، ويُرمَز له بـ(\).

المستوى الثالث: النبر الضعيف، وليس له رمز.

وبيَّنَ أنَّ توزيع النبر وموقعه يتأثّر بعدد مقاطع الكلام وأنواعها، فالكلمات ذات المقطع الواحد، نحو: (مَنْ، عَن، باب) تستقبل نبراً أوّليًّا، وهي مفردة[٤].

ووضع الدكتور سلمان العاني قواعد تضبط نبر الكلمة العربية، وهي:

١. عندما تتألّف الكلمة من سلسلة من المقاطع القصيرة، يُنبَر المقطع الأوّل نبراً أوّليًّا، وتُنبَر المقاطع الباقية نبراً ضعيفاً، نحو: كَتَبَ: سَ ح - س ح - س ح.

دَرَسَ: سَ ح - س ح - س ح.

٢. عندما تحتوي الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً، يستقبل هذا المقطع النبر الأوّليّ، وتستقبل بقية المقاطع نبراً ضعيفاً، نحو:

مُعَلِّمُهُ: س ح / س حَ ح / س ح/ س ح/ س ح.

٣. عندما تحتوي الكلمة مقطعين طويلين أو أكثر، يستقبل المقطع الطويل الأقرب إلى

---

١) لسان العرب مادّة (نبر).

٢) الأصوات اللُّغويّة: ١٣٨.

٣) التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٤.

٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٤.

آخر الكلمة (غير المقطع الأخير) نبراً أوّليًّا، ويستقبل المقطع الأقرب إلى بداية الكلمة ـ في الغالب ـ نبراً ثانوياً، نحو:

رَئِيسُهُنّ: س ح / س حَ ح / س ح/ س حَ س/ س ح.
مُسْتَوْدَعاتُهم: س ح س/ س حَ س / س ح/ س حَ ح/ س ح/ س ح س[١].

وأوضح الدكتور عبدالقادر عبدالجليل أنَّ القدماء عرفوا النبر وعبّروا عنه بمسمّيات مختلفة، منها: الهمز، والعلوّ، ومطل الحركات، والإشباع، والمدّ، والتوتّر، والتضعيف[٢].

وبيَّنَ أنَّ النبر «يُفضي إلى أغراض المتكلّمين النطقية، قوّةً وضعفاً، وشدّةً وليونةً، ويقتضي طاقةً وجُهداً عضليًّا»[٣].

❖ ❖ ❖

المطلب الثاني: التنغيم

التنغيم لغةً: «النَّغْمةُ: جَرْسُ الْكَلِمَةِ وحُسْن الصَّوْتِ في الْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ حسَنُ النَّغْمَةِ، وَالْجَمْعُ نَغْمٌ... وَكَذَلِكَ نَغَمٌ... والنَّغْمَةُ: الْكَلامُ الْحَسَنُ»[٤].

واصطلاحاً: «ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة»[٥].

وحلَّلَ الدكتور سلمان حسن العاني التنغيم تحليلاً تناول فيه مختلف أنواع الكلام المستعمل في اللُّغة، مثل: الجملة الخبرية، والطلب، والنداء، والاستفهام[٦]، وأوضح أنَّ

---

١) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٤-١٣٥.

٢) ينظر: علم الصرف الصوتي: ١١٣.

٣) المصدر نفسه: ١١٣.

٤) لسان العرب مادّة (نغم).

٥) المدخل إلى علم اللُّغة ومناهج البحث اللُّغويّ: ١٠٦.

٦) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٣٩.

هذا التحليل ليس «عملاً شاملاً لظاهرة التنغيم ولكنَّه عرض متواضع للجوانب الرئيسية المستعملة في اللُّغة»[١].

ويعمل في النظام النغمي الذي عرضه الدكتور العاني أربعة مستويات لدرجة الصوت، وتعرف هذه المستويات بالأرقام، على وفق الآتي:

الرقم (١) درجة منخفضة.

الرقم (٢) درجة متوسّطة.

الرقم (٣) درجة عالية.

الرقم (٤) درجة عالية جدّاً.

وأوضح الدكتور سلمان العاني أنَّ هذه المستويات نسبية[٢].

وأوجز نتائج دراسته بما يأتي[٣]:

١. الجملة الخبرية: النمط ٢ـ٢ـ١.

٢. الأمر: النمط ٢ـ٣ـ١.

٣. الاستفهام: النمط ٣ـ٢ـ١.

٤. النداء: النمط ٢ـ٣ـ١.

٥. التعجُّب: النمط ٢ـ٣ـ١.

ووضع الدكتور العاني رسوماً بيانية لتوضيح التنغيم، وتبيّن هذه الرسومات درجة الصوت في مختلف أنواع الكلام، ففي المثال رقم (١)، يوضّح الرسم

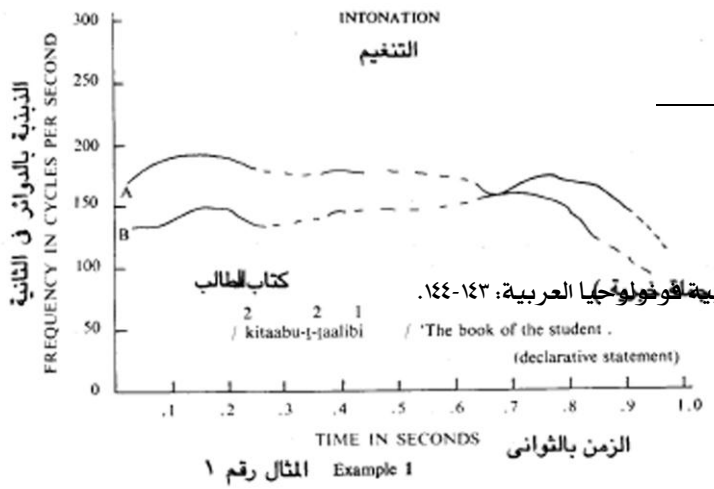

المثال رقم ١ Example 1

١) المصدر نفسه: ١٣٩.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤١.

٣) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية: فونولوجيا العربية: ١٤٣-١٤٤.

البياني مستويات درجة الصوت للجملة الخبرية The book of the student، أي: كتاب الطالب، إذ نلحظ أنَّ ذبذبات مستوى الصوت لهذه الجملة تبدأ بالمستوى الثاني، وهو الأعلى، ويُمثّل القمّة إذ يكون عدد تكرار الذبذبات أقلّ من (٢٠٠) ذبذبةً بقليل في الثانية، ثُمَّ تنخفض إلى (١٦٠) وأقلّ من (١٥٠) ذبذبةً في الثانية، وكذلك هو حال الجملة الخبرية: كتاب الطالب[١].

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٥.

وفي المثال رقم (٣)، يوضّح الرسم البياني مستوى الصوت لجملة الأمر (اجلس معه) sit with him، إذ نلحظ أنَّ عدد الذبذبات يصل إلى (٢٣٠) أو أكثر في الثانية، وهو يُمثّل الدرجة الثالثة في مستويات الصوت، ولكنَّه ينتهي بمستوًى منخفض يصل عدد الذبذبات فيه إلى (١٧٠) ذبذبة[١]. وفي المثال رقم (٤)، يوضّح الرسم البياني درجات مستويات الصوت للجملة الاستفهامية (ماذا تعمل)، إذ يَتبيَّن أنَّ عدد ذبذبات القمّة تبلغ تقريباً (٢٢٠) ذبذبة في الثانية، ثُمَّ تنخفض إلى (١٨٠) و(١٦٠) وأقلّ من (١٥٠) ذبذبة في الثانية[٢].

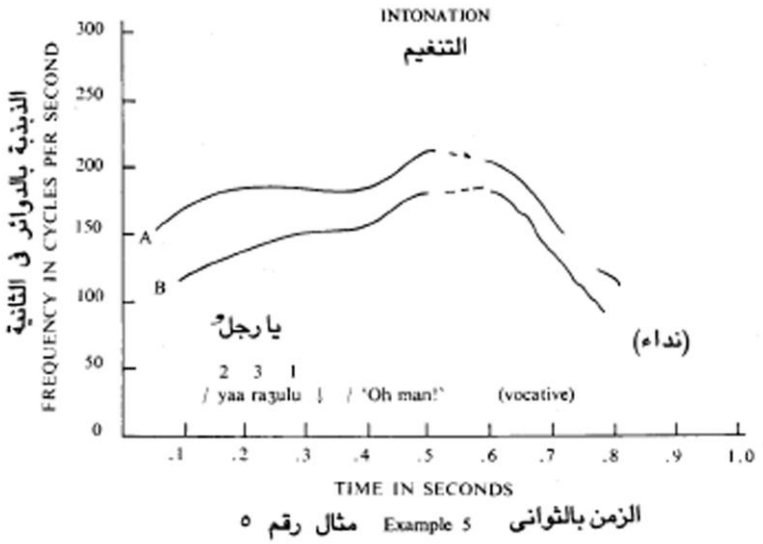

مثال رقم ٥ Example 5

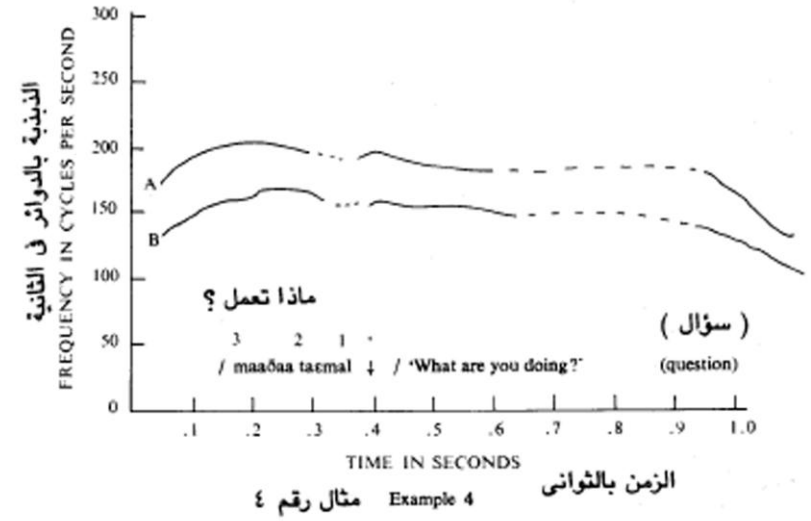

مثال رقم ٤ Example 4

---

١) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٤٦.

٢) ينظر: التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١٤٦.

وفي المثال رقم (٥)، يوضـــــّح الرسم البياني درجات مستويات الصوت لجلمة النداء (يا رجل)، إذ تبدأ الجملة بعدد ذبذبات يقارب (١٥٠) ذبذبة في الثانية، أي: يكون مستوى الصوت في الدرجة الثانية، ثُمَّ يرتفع عدد ذبذبات القمّة ويصل إلى ما يفوق (٢٣٠) ذبذبة في الثانية، أي: يكون مستوى الصوت في الدرجة الثالثة، ثُمَّ ينخفض إلى (١٥٠) ذبذبة في الثانية[١].

وفي المثال رقم (٦)، يوضّح الرسم البياني درجات مستويات الصوت لجملة التعجّب (ما أجملها!)، إذ يبدأ بعدد ذبذبات ما يقارب (١٥٠) ذبذبة في (٠,١) من الثانية، أي: الدرجة الثانية من الصوت، ثُمَّ يرتفع ليصل في القمّة إلى ما يقارب (٢٠٠) ذبذبة وأكثر منها بقليل، أي: في الدرجة الثالثة من مستويات الصوت، ثُمَّ تنخفض إلى أقلّ من (١٥٠) درجة، إذ يُمثّل الدرجة الأُولى من مستويات الصوت[٢].

❖ ❖ ❖

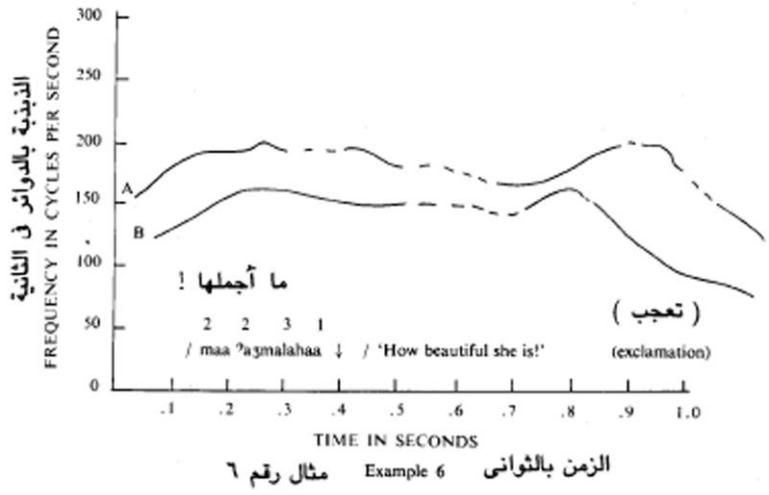

مثال رقم ٦ Example 6

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧.

المطلب الثالث: المَفْصِل Juncture

عَرَّفَ ماريو باي المَفْصِل بقوله: «أمَّا المَفْصِل Juncture ويُسمَّى أيضاً الانتقال Transition فهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدثٍ كلاميّ بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر»[١].

أهمِّية المَفْصِل[٢]:

١. يساعدنا على أن نميِّز بين الكلمات.

٢. يؤدِّي دوراً ملحوظاً في التفريق بين نطق الأجانب ونطق أبناء اللُّغة.

٣. يرتبط التقسيم المقطعي Sullabic division ارتباطاً وثيقاً بالمَفْصِل، إذ توجد عادة وقفة غير محسوسة غالباً بين المقطعين.

ويُقسَّم المَفْصِل على نوعين[٣]:

الأوّل: إذا كان الانتقال حادًّا سُمِّيَ المَفْصِل مفتوحاً open Juncture، ويُرمَز له في الكتاب بعلامة (+).

الثاني: إذا كان الانتقال خفيًّا سُمِّيَ المَفْصِل ضيّقاً ويُرمَز له في الكتابة بعلامة (ـ).

وقد تناول الدكتور حسام النعيميّ مسألة المَفْصِل وبيَّنَ أنَّ الصوت الواحد قد يكون صويتة، وقد يكون تصويتة، نحو: (سَعَد)، و(صَعَد) فالسين والصاد هما صويتتان لتباين الدلالة بتباين الصوتين، ولكنَّ أحدهما (صويتة) والآخر تصويتة في (السراط) و(الصراط) لوحدة الدلالة في اللفظية وكذلك (المسيطرون) و(المصيطرون).

وقد لا يكون الصوت إلاَّ (تصويتة)، مثل اللام المفخّمة في لفظ الجلالة في (واللّه) وفي (الصلاة) في قراءة من فخَّم؛ لأنَّ اللام في ألفاظ العربية مرقَّقةٌ.

وقد لا يكون الصوت إلاَّ (صويتة) وهو الأصل في الأصوات اللُّغويّة، فـ(صار) غير (سار)؛ لاختلافهما بالصاد والسين، و(كتم) غير (كدم)؛ لاختلافهما بالدال والتاء، هذا

---

١) أسس علم اللُّغة: ٩٥.

٢) ينظر: أسس علم اللُّغة: ٩٥.

٣) ينظر: أسس علم اللُّغة: ٩٥، ودراسة الصوت اللُّغويّ: ٢٣١.

مع اتّفاق المخرج، فإذا اختلف المخرج كانت الصويتة من باب أَولى فـ(غصب) غير (نصب)؛ لاختلافهما بالغين والنون[١].

وارتضى الدكتور النعيميّ مصطلح (المَفْصِل) في مقابل المصطلح الأجنبي (Juncture) أخذاً بما وَرَدَ في (دراسة الصوت اللُّغويّ)[٢] من ترجمة، وأضاف إليه لفظ (صويتة) (phoneme) فكان عنوان بحثه هو: (صُوَيْتَة المَفْصِل)، وكان الدكتور مُحمّد عليّ الخولي قد ترجم هذا المصطلح الأجنبي بـ(فاصل، وقفة) وبيَّنَ أنَّ الفاصل «فونيم فوق مقطعي ـ يريد غير مقطعي ـ يأتي بين كلمة وأخرى أو بين قول وسكون، ويُعبِّر عنه بالوقوف، وقد يكون داخلياً ـ أي: داخل الكلمة ـ أو خارجيًّا مفتوحاً أو مغلقاً ـ أي: داخل الجملة ـ صاعداً rising أو هابطاً falling أو مؤقّتاً sustained، ورمزُ الفاصل الصاعد هو /↑/، ورمزُ الفاصل الهابط هو /↓/، ورمز الفاصل المؤقّت هو /→/ ورمزُ الفاصل الموجَب هو /+/. ويمكن تعديل الرموز لتناسب اللُّغة العربية لتُصبح /↑/ و/↓/ و/←/ للصاعد والهابط والمؤقّت على التوالي»[٣].

وبيَّنَ الدكتور النعيميّ أنَّه يمكن أن نجعل مصطلح (صويتة الفاصل) أو (صويتة السكت) أو (السكتة) مقابل المصطلح (Juncture)[٤].

ممَّا تقدَّم من كلام ماريو باي والدكتور النعيميّ تبيِّن لنا أنَّ خير ما يُمثّل (المَفْصِل) في العربية هو (السكت)، فقد وَرَدَت قراءات قرآنية بالسكت في نهاية الكلمة، ووَرَدَت بالسكت في نهاية المقطع داخل الكلمة الواحدة، فقد قرأ حفص عن عاصم الكوفي بالسكت في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، وقرأ بالسكت أيضاً في موضعين، هما:

الأوّل في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٧].

الثاني: في قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطفّفين: ١٤].

---

١) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٦٤-٦٥.

٢) ينظر: دراسة الصوت اللُّغويّ: ٢٣١، وأبحاث في أصوات العربية: ٧٢.

٣) معجم علم اللُّغة النظري: ١٤٢، وينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٧٢.

٤) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٧٢.

والسكت لغةً: «السَّكْتُ والسُّكُوتُ: خلافُ النُّطْقِ؛ وَقَدْ سَكَتَ يَسْكُتُ سَكْتاً سُكوتاً إذا صَمَت؛ والاسْمُ مِنْ سَكَت: السَّكْتَةُ والسُّكْتَةُ... وَقِيلَ: سَكَتَ تَعَمَّدَ السُّكُوتَ... والسَّكْتَة في الصَّلاةِ: أَن يَسْكُتَ بَعْدَ الافْتِتاح، وَهِيَ تُسْتَحبُّ، وَكَذَلِكَ السَّكْتَة بَعْدَ الفَراغ مِنَ الْفَاتِحَة... والسَّكْتُ مِنْ أُصول الأَلحان، شِبْهُ تَنَفُّسٍ بَيْنَ نَغْمَتين مِن غَيْرِ تَنَفُّسٍ، يُراد بِذَلِكَ فَصْلُ مَا بينهما»[١].

وقال الجرجانيّ (٨٢٦هـ): «السكوت: هو ترك التكلم مع القدرة عليه»[٢].

اصطلاحاً: «قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً من غير تنفُّسٍ مع قصد القراءة»[٣].

إنَّ السكت على لفظة (مرقدنا) ميَّزَ قول الكافرين عن قول المسلمين، «قال قتادة: أوّل الآية للكافرين، وآخرها للمسلمين، قال الكافرون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وقال المسلمون ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾»[٤].

فالسكت هنا له دلالة، ويكون قوله تعالى: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ كلاماً تامًّا[٥].

أمَّا السكت في سورة القيامة، فله وظيفتان، وظيفة صوتية، فقد تبيِّن بالسكت أنَّ الكلمتين منفصلتان، ووظيفة لها علاقة بالمعنى؛ لأنَّ قراءة الإدغام ستؤدّي إلى اللبس، هل المقصود هو (المرَّاق) من (المروق)، وهذا ليس مقصوداً في هذه الآية لوجود رسم النون في (من راق)[٦]؟، أم المقصود هو الراقي من الرقيّة؟، وعليه وضَّحت قراءة السكت أنَّ المقصود هو الراقي من الرقيّة، وقِيلَ: من الرقيّ بالروح إلى السماء، قال ابن خالويه: «أجمع القُرَّاء على قراءتها بالوصل، والإدغام إلاَّ ما رواه (حفص) عن (عاصم) بقطعها، وسكتة عليها، ثُمَّ يبتدئ: (راق)، ومعنى راق: فاعل من الرقية، وقِيلَ: من الرقيّ بالروح إلى السماء»[٧].

---

١) لسان العرب: (سكت).

٢) التعريفات: ٨٧.

٣) أحكام قراءة القرآن الكريم: ٢٣١.

٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٨٢/٨.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨١/٨.

٦) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٧١.

٧) الحجّة في القراءات السبع: ٢٣٥.

وقال أبو عليّ الطبرسيّ (٥٤٨هـ): «قال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً وقِيلَ: إنَّ معناه: قالت الملائكة: مَنْ يرقى بروحه أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟»[١].

وأمَّا السكت في سورة المطفّفين فله وظيفة صوتيةٌ، فقد بيَّنَت قراءة السكت أنَّ الكلمتين منفصلتان، قال ابن خالويه: «قوله تعالى ﴿بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ اتّفق الْقُرَّاء على إدغام اللام في الراء لقربها منهَا في المخرج إلاَّ ما رَوَاهُ (حَفْص) عَن (عَاصِم) من وُقُوفه على اللام وَقفه خَفِيفَة ثمَّ يبتدئ ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ ليعلم بانفصال اللام من الرَّاء وأنَّ كُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا كلمة بذاتها فرقاً بَين مَا ينْفَصل من ذلِك فَيُوقف عَلَيْهِ، وَبَين مَا يتَّصل فَلا يُوقَف عليه كَقَوْلِك: الرَّحْمَن الرَّحِيم»[٢].

وبيَّنَ الدكتور النعيميّ أنَّ القراءة سُنَّةٌ متّبعة، وأنَّ مذهب سيبويه أَولى من تعليل ابن خالويه، فقد نصّ سيبويه على أنَّ الإظهار لغة[٣]، إذ قال: «وإن لم تُدغِم فقلت: هل رأيت، فهي لغةٌ لأهل الحجاز؛ وهي عربية جائزة»[٤].

أقول: لا ضير أن يُعلِّل ابن خالويه لقراءة حفص عن عاصم الكوفي، وإن وافقت قراءته لغة أهل الحجاز، فقد أوضح ابن خالويه أنَّه ذاكرٌ «ما احتجَّ به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم، وتارك ذكر اجْتِمَاعهم وائتلافهم مُعْتَمد فِيهِ على ذكر القراءَة المشهورَة ومنكب عَن الرِّوايات الشاذّة المنكورة»[٥].

وقد تابع بعض العلماء ابن خالويه في تعليله هذا، قال أبو حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ): «ووقف حفص على (مَنْ)، وابتدأ (راق)، وأدغم الجمهور. قال أبو عليّ: لا أدري ما وجه قراءته. وكذلك قرأ: (بل ران). انتهى. وكأنَّ حفصاً قصد أن لا يتوهم أنَّها كلمة واحدة، فسكت سكتاً لطيفاً ليُشعَر أنَّهما كلمتان. وقال سيبويه: إنَّ النون تدغم في الراء، وذلك نحو: من راشد والإدغام بغنّة وبغير غنّة، ولم يذكر البيان. ولعلَّ ذلك من نقل غيره من الكوفيين، وعاصم شيخ حفص يُذكَر أنَّه كان عالماً بالنحو. وأمَّا (بل ران) فقد ذكر

---

١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٠٣/١٠.

٢) الحجة في القراءات السبع: ٢٤٠-٢٤١.

٣) ينظر: أبحاث في أصوات العربية: ٧٠.

٤) الكتاب: ٤٥٧/٤.

٥) الحجة في القراءات السبع: ١٩.

سيبويه أنَّ اللام البيان فيها، والإدغام مع الراء حسنان، فلمَّا أفرط في شأن البيان في (بل ران)، صار كالوقف القليل»[١].

وقرأ حفص أيضاً بالسكت في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝ قَيِّمَا﴾ [الكهف: ١ـ٢]، تُبيِّن قراءة السكت في هذا الموضع أنَّ (قيّماً) ليس نعتاً لـ(عوجاً)، وإنَّما هو حال من الكتاب[٢]، «أو منصوب بفعل مضمر تقديره: أنزله أو جعله قيماً... وفي بعض مصاحف الصحابة: ولم يجعل له عوجاً لكن جعله قيّماً، ويُحمَل ذلك على تفسير المعنى لا أنَّها قراءة»[٣].

ولحفصٍ عن عاصم في هاء ﴿مَالِيَهۡۜ﴾ [الحاقّة: ٢٨] وجهان عند الوصل، هما:

الأوّل: إدغامها في هاء ﴿هَلَكَ﴾؛ لانهما مثلان سكن أوّلهما فأُدغِمَ في ثانيهما.

الثاني: إظهارها، ولا يتحقّق إلاَّ بسكتة لطيفة عليها.

وبيَّنَ مكّي بن أبي طالب أنَّ «حجّة من أثبتها ـ يعني الهاء ـ أنَّه وصل الكلام، ونيّته الوقف عليها، لكنَّه لم يسترح بالوقف عليها، بل وصل ونيّته الوقف»[٤].

ونُقِلَ عن حمزة الكوفي السكتُ حال وصل كلمةٍ آخرها ساكنٌ بكلمةٍ أوّلُها همز، وكذلك نُقِلَ عنه السكتُ على لفظ (شيء) سواء كان مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً، ويسكت أيضاً على لام التعريف.

قال الشاطبيُّ[٥]:

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الْوَقْفِ خُلْفٌ وَعِنْدَهُ رَوَى خَلَفٌ فِي الْوَصْلِ سَكْتًا مُقَلَلا
وَيَسْكُتُ فِي شَيْءٍ وَشَيْئًا وَبَعْضُهُمْ لَدَى اللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةٍ تَلا
وَشَيْءٍ وَشَيْئًا لَمْ يَزِدْ ....

يسكت حمزة عند الساكن في حال وصل الكلمة التي آخرها ذلك الساكن بالكلمة التي أوّلها الهمز سكتاً قليلاً على هذا الساكن بأن يسكت عليه قبل النطق بالهمزة سكتة قصيرة من دون تنفُّس، سواء كان هذا الساكن منفصلاً عن الكلمة التي فيها

---

١) البحر المحيط: ٣٨١/٨.

٢) ينظر: مجمع البيان: ٣٠٨/٦، والبحر المحيط: ٩٤/٦.

٣) البحر المحيط: ٩٤/٦.

٤) الكشف: ٣٥٤/١.

٥) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: ١٠٥.

الهمز رسماً، نحو: مَنْ آمن، مَنْ أوتي، قالتْ أُمّةٌ، عذابٌ أليمٌ، أم متّصلاً بها رسماً، نحو: الأُولى، الآخرة، الإنسان، وكذلك رُويَ عن حمزة السكت على لفظ (شيء)، سواء كان مرفوعاً أم مجروراً، ولفظ شيئاً المنصوب[١].

مَنْ آمن = /م ـَ ن/ ء ـَـَ/ م ـَ ن/

مَنْ أُوتي = /م ـَ ن/ ء ـُـُ/ ت ـِـِ /

قالت أُمّةٌ = /ق ـَـَ/ ل ـَ ت/ ء ـُ م/ م ـَ ة/

شَيءٌ = /ش ـَ ي/ ء ـُ ن/

شَيءٍ = /ش ـَ ي/ ء ـِ ن/

شَيئًا = /ش ـَ ي/ ء ـَ ن/

نلحظ أنَّ السكت في الأمثلة الثلاثة الأُولى يكون على مكان انتهاء اللفظ، وفي الأمثلة الثلاثة الثانية يكون السكت على المقطع السابق للهمز في الكلمة نفسها.

والعلّة في السكت على الساكن قبل الهمزة هي «أنَّ الهمزة حرف ثقيل، بعيد المخرج، وحكمة في هذه الأشياء الابتداء به؛ لأنَّ لام المعرفة زائدة، فيُوقَف على لام المعرفة ليستفرغ القوّة، في النطق بالهمزة مبتدئاً، وليُشعِرَ أنَّ الهمزة، حقّها الابتداء بها وما قبلها زائد، داخل عليها، فكان لام المعرفة كلمة، وما فيه الهمزة كلمة، وقد أتى الوقف على لام المعرفة في أشعار العرب مع غير الهمزة، وقرأ حمزة بوقفة خفيفة على الياء من (شيء)... وعلّة الوقف على الياء، وتركه كالعلّة في الوقف على لام التعريف»[٢].

وعلَّلَ ابن الجزريّ (٨٣٣هـ) السكتَ على الساكن بقوله: «فالساكن الذي يُسكَت عليه لبيان الهمز خوفاً من خفائه، إمَّا أن يكون منفصلاً فيكون آخر كلمة والهمز أوّل كلمة أُخرى، أو يكون متّصلاً فيكون هو والهمز في كلمة واحدة، وكُلّ منهما إمَّا أن يكون حرف مدٍّ، أو غير حرف مدٍّ»[٣].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٥-١٠٦.

٢) الكشف: ١/٢٨٧-٢٨٨.

٣) النشر في القراءات العشر: ١/٣٢٥.

فالعلّة في السكت على رأي مكّي بن أبي طالب هي ثقل الهمزة وبعد مخرجها، وأنَّ هذا الثقل في الهمزة يتطلّب قوّةً في نطقها في الابتداء، وأمَّا على رأي ابن الجزريّ فعلّة السكت هي الخوف من خفاء الساكن قبل الهمزة.

المبحث الرابع

المماثلة

تُعدُّ ظاهرة المماثلة من ظواهر التأثُّر بين الأصوات اللُّغويّة في الكلام المتّصل، وتتحقَّق المماثلة عند مجاورة الأصوات بعضها لبعض، والمماثلة ظاهرة شائعة في كُلّ اللغات[١]، وقد عَرَّفها بعضهم: «التعديلات التكيفيّة للصوت بسبب مجاورته ـ ولا نقول ملاصقته ـ لأصوات أُخَر»، وهي كما عَرَّفها بعضٌ آخر: «تحوُّل الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمَّا جزئيًّا أو كلّيًّا»[٢].

أنواع المماثلة:

صَنَّفَ المحدثون المماثلة على وفق ما يأتي:

١. اتجاه التأثير: إذا أثَّرَ الصوت الأوّل في الثاني كانت المماثلة تقدُّميّة، مثل قلب تاء الافتعال دالاً بعد الزاي في نحو: ازدجر، التي أصلها ازتجر، جهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة فتحوَّلت إلى الدال، وإذا أثَّرَ الصوت الثاني في الأوّل كانت المماثلة رجعيّة، مثل قلب فاء الافتعال ـ إذا كانت واواً ـ تاءً، مثل: اتّعدَ من وعَدَ.

٢. درجة التأثير: إذا تأثّر الصوتُ بالصوت الآخر تأثّراً يصل إلى صيرورته مثل الآخر كانت المماثلة كلّيّةً، نحو قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، أمَّا إذا تأثّر الصوت بالصوت الآخر تأثّراً لا يصل إلى صيرورته مثل الآخر كانت المماثلة جزئيّةً، نحو قوله تعالى: ﴿مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

٣. الاتّصال والانفصال: إذا كان الصوت متّصلاً بالصوت الآخر كانت المماثلة تجاوريّةً، مثل: اتّعد من وعَدَ، وإذا كان منفصلاً كانت المماثلة تباعديّةً، مثل تفخيم السين في سراط، ومسيطر تحت تأثير الطاء[٣].

---

١) ينظر: الأصوات اللُّغويّة: ٤٥.

٢) دراسة الصوت اللُّغويّ: ١٧٨.

٣) ينظر: علم الأصوات اللُّغويّة: ١٤٦-١٤٨، ودراسة الصوت اللُّغويّ: ٣٧٩، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ٢١٦-٢١٧.

ويُعَدُّ الإدغام من أشهر صور المماثلة في اللُّغة العربية.

الإدغام: هو من أبرز الظواهر الصوتيّة في اللُّغة العربية، وهو صورة من صور التأثُّر بين الأصوات، ويتحقَّق الإدغام نتيجة تأثّر الأصوات الصامتة بعضها ببعض عند تجاورها في كلمة أو كلمتين.

ففي اللُّغة العربية إذا التقى صوتان من مخرج واحد، أو مخرجين متقاربين ـ في كلمة أو كلمتين ـ تأثّر أحدهما بالآخر.

وللإدغام أهمّيّة كبيرة في الأداء الصوتيّ توجب على القارئ معرفة صوره، ولاسيَّما في قراءة القرآن الكريم.

الإدغام لغةً «إدخال حرف في حرف، يُقال: أدغمتُ الحرف وادَّغَمُّه، على افتعلتُه، والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدوابّ. وأدغم الفرسَ اللِّجامَ: أدخلَه في فيه، وأدغم اللجامَ في فمه كذلك»[١].

وأمَّا الإدغام اصطلاحاً، فقد عَرَّفه أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) بقوله: «وأمَّا المُدغَم من الحروف فحقُّه إذا التقى بمثله أو مقاربه، وهو ساكن أن يُدخَل فيهما إدخالاً شديداً، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعةً واحدةً، لا فصل بينهما بوقف ولا بغيره»[٢].

وقد وَرَدَ الإدغام لغةً واصطلاحاً في تعريفات الجرجانيّ (٨١٦هـ)، إذ قال: «الإدغام في اللُّغة: إدخال الشيء في الشيء، يُقال: أدغمت الثياب في الوعاء، إذا أدخلتها، وفي الصناعة: إسكان الحرف الأوّل وإدراجه في الثاني، ويُسمَّى الأوّل: مُدغَمًا، والثاني: مُدغَمًا فيه. وقِيلَ: هو إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين، نحو: مَدَّ، وعَدَّ»[٣].

قال الخليل (١٧٥هـ): «اعلم أنَّ الراء في (اقشعرَّ واسبكرَّ) هما راءانِ أُدغِمَتْ واحدة في الأُخرى. والتَّشديدُ علامةُ الإدغام»[٤].

ويرى سيبويه (١٨٠هـ) أنَّ الإدغام دخول الحرف الأوّل في الآخِر، والآخِر يبقى على حاله لا يتغيَّر، إذ قال: «والإدغام إنَّما يدخل فيه الأوّل في الآخر والآخر على حاله، ويُقلَب الأوّل

---

١) لسان العرب، مادّة (دغم).

٢) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠١.

٣) كتاب التعريفات: ١٦.

٤) العين: ٥٧/١.

فيدخل في الآخر حتَّى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو: قد تركتك، ويكون الآخر على حاله»[١].

وبيَّنَ الفَرَّاء (٢٠٧هـ) أنَّ الإدغام أَولى في الكلمات التي يجوز فيها الإظهار والإدغام، وعلَّلَ ذلك بقوله: «ما ثقل عَلَى اللسان إظهارُه فأدغِمْ»[٢].

وذكر المبرّد (٢٨٥هـ) في باب إدغام المثلَين «أنَّ الحرفين إذا كان لفظهما واحداً فسكن الأوّل منهما فهو مدغم في الثاني، وتأويل قولنا (مدغم) أنَّه لا حركة تفصل بينهما فإنَّما تعتمد لَهما باللِّسَانِ اعتمادةً واحدة؛ لأنَّ المخرج واحد ولا فصل، وذلك قولك قطَّع وكسَّر»[٣].

وبيَّنَ السيرافيّ (٣٦٨هـ) الهدف من الإدغام في قوله: «أمَّا الهدف المقصود من وراء هذه الظاهرة فهو التخفيف النطقيّ واقتصاد الجهد العضلي المبذول من اللسان جرَّاء نطقه بحركات متماثلة متتالية؛ لذا يلجأ اللسان إلى دمج هذه الحركات المتماثلة وتكوين حركة واحدة»[٤].

وعلَّلَ ابن جنّي (٣٩٢هـ) الإدغام قائلاً: «ألا ترى أنَّك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأوّل في الثاني حتَّى نَبَا اللسان عنهما نبوةً واحدةً، وزالتِ الوقفةُ التي كانت تكون في الأوّل ولم تدغمه في الآخر»[٥].

وتابع الزمخشريّ (٥٣٨هـ) غيرَه في أنَّ علّة الإدغام هي التخفيف، إذ قال: «ثقُلَ التقاء المتجانسين على ألسنتهم فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفّة»[٦].

أنواع الإدغام:

يُقسَم الإدغام بالنظر إلى حركة الصوت الأوّل إلى:

١. الإدغام الصغير: وهو أن يكون الصوت الأوّل ساكناً[١].

---

١) الكتاب: ٤/ ١٠٤-١٠٥.

٢) معاني القرآن: ٢/٣٥٤.

٣) المقتضب: ١/ ١٩٧.

٤) إدغام القُرَّاء: ١٢.

٥) الخصائص: ٢/ ١٤٢.

٦) المفصّل في صنعة الإعراب: ٥٢٠.

٢. الإدغام الكبير: وهو أن يكون الصوت الأوّل متحرِّكاً، وفيه يُسَكَّن الصوت الأوّل، ثُمَّ يُدغَم في الثاني[٢].

ويُقسَم الإدغام بالنظر إلى العلاقة بين الصوتين إلى[٣]:

١. إدغام المتماثلَين: وهو أن يُدغَم الصوت بمثله، نحو إدغام الباء في الباء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]، وإدغام التاء في التاء، في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

٢. إدغام المتقاربَين: وهو أن يتقارب الصوتان في المخرج أو الصفة، أو في المخرج والصفة معاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٣. إدغام المتجانسَين: وهو أن يتّفق الصوتان مخرجاً ويختلفا صفةً، نحو قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٥٦].

ويُقسَم الإدغام إلى:

١. الإدغام الكامل[٤]، ويُسمَّى أيضاً الإدغام التامّ: هو ما لا يبقى من صفات الصوت الأوّل شيء، نحو قوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

٢. الإدغام الناقص[٥]: هو ما يبقى من صفات الصوت الأوّل شيء من غُنَّة أو إطباق، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿أَحَطتُ﴾ [النمل: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿بَسَطتَ﴾ [المائدة: ٢٨].

---

١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢١٦/١.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٥/١.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٨/١.

٤) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠١، والنشر في القراءات العشر: ٢٢/٢.

٥) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠١-١٠٢، والنشر في القراءات العشر: ٢٢/٢، والمدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٣٤.

ويرى مكّي بن أبي طالب أنَّ الإدغام الكامل هو إدغام مستكمل التشديد، وأنَّ الإدغام الناقص هو إدغام غير مستكمل التشديد[١].

وقد بيَّنَ الدكتور خليل العطيّة أنَّ «الإدغام ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناءً تامًّا، ولذلك سمَّاها المحدَثون Complete assimilation أي: المماثلة الكاملة»[٢].

وذكر أنَّ الإدغام عند القدماء:

١. إدغام المتماثلَين: ويرِدُ في كلمة واحدة، مثل: مَدَّ، وشَدَّ، وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

٢. إدغام المتقاربَين: مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ [يوسف: ١٩].

ويرى الدكتور العطية أنَّ إدغام المتماثل من التماثل المدبر أو الرجوعيّ[٣].

وقال: «ولا يتمُّ إدغام المتقاربَين إلاَّ بعد جعل الصوتين متماثلَين»[٤].

والإدغام عند الدكتور العطيّة صورة من صور التضعيف، فعندما نقول: مَدَّ، فالصوتان متماثلان لا تفصل بينهما حركة جرى نطق الدالين من نقطة مخرجيّة واحدة[٥].

ويرى الدكتور العطيّة أنَّ قول ابن يعيش: «يضعوا ألسنتهم على مَخْرج الحرف المكرَّر وضعةً واحدةً، ويرفعوها بالحرفَيْن رفعةً واحدةً»[٦] يعني استمرار المتكلّم بحبس الهواء مدَّةً أطول عند النطق بالصوت المُدغَم، نزوعاً لتوفير الجهد المبذول[٧].

---

١) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ٣٩١.

٢) في البحث الصوتي عند العرب: ٨٠-٨١.

٣) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٨١-٨٢.

٤) المصدر نفسه: ٨٢.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٢.

٦) شرح المفصّل: .

٧) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٨٣.

إنَّ قول الدكتور العطيّة: «الإدغام ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناءً تامًّا»، لا يتحقَّق في الإدغام بين أصوات العربيّة، ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، يُلفَظ بالتاء الساكنة، ثُمَّ يُلفَظ بالتاء المتحرِّكة، لكنَّ القارئ يضع لسانه على مخرج صوت التاء ولا يرفعه عنه إلاَّ بعد أن يتُمّ له نطق التاءين الساكن والمتحرِّك، وهذا هو غاية الإدغام، قال ابن الجزريّ: «فإذا وُجِدَ الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام، فإن كانا مثلَين أُسكِنَ الأوّل وأُدغِمَ، وإن كانا غير مثلَين قُلِبَ كالثاني وَأُسْكِنَ، ثُمَّ أُدْغِمَ وارتفع اللسان عنهما دفعةً واحدةً من غير وقف على الأوّل، ولا فصل بحركة، ولا روم وليس بإدخال حرف بحرف كما ذهب إليه بعضهم، بل الصحيح أنَّ الحرفين ملفوظ بهما كما وصفنا طلباً للتخفيف»[١].

وتناول الدكتور سلمان العانيّ ظاهرة الإدغام، إذ يقول: «وتُعتَبر السواكن المضعَّفة ضميمة صوتيّة متطابقة Identical Clusters وحيثما تتقرَّر حدود المقطع السابق coda ويكون العنصر الثاني دائماً أوّل عناصر المقطع التالي، مثلاً:

ـ أَبَّد = / ء - ب/ ب ـَ د/ = س ح س/ س ح س

ـ مَتَّن = / م - ت/ ت ـَ ن/ = س ح س/ س ح س

فكُلّ ضميمة من السواكن تقتضي انتقالاً وثيقاً، أي: إنَّ العنصر الأوّل من الضميمة الذي يُشكِّل دائماً نهاية مقطع لا ينفرج حتَّى ينطق العنصر الثاني منها، والذي يُشكِّل دائماً بداية المقطع»[٢].

ويبدو أنَّ الشيخ جلال الحنفيّ قد تابع الدكتور العاني، فهو يرى أنَّ الإدغام هو أن يتكرَّرَ الصوت الواحد في مقطعين صوتيَّين متجاورين، أوّلهما ساكن وآخرهما متحرِّك، واشترط في

---

١) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٧٩.

٢) التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية فونولوجيا العربية: ١١٩-١٢٠.

الإدغام أن لا يكون بين المقطعين الصوتيين المتجاورين سكتٌ ولا وقفٌ، وإنَّما يجتهد في أن يُنطَق بهما على هيأة فيها شيء من الموالاة والترابط الوثيق[١].

ولا يرى الشيخ جلال أنَّ اللسان في حالة الإدغام يرتفع عن الحرف المكرَّر ارتفاعةً واحدةً؛ لأنَّ الذين وصفوا الإدغام «قد لاحظوا أنَّ اللسان حين يقع على الحرف الساكن المُدغَم يظلّ منوطاً به حتَّى يُلفَظ ثانيةً، وعليه في هذه المرّة حركة من الحركات، يستوي في ذلك أن يكون الحرف مقروناً بغُنَّة وأن لا يكون مقروناً بها، فإنَّ الحرف المُدغَم في نظيره إنَّما يُنطَق مرّتين وعلى مرحلتين صوتيَّتين متتابعتين»[٢].

وهذا الذي يراه الشيخ الحنفي مبنيٌّ على أساس أنَّ النطق بالحرف الساكن يعتمد على تحرُّك فمويٍّ يختلف عنه في النطق بحرف متحرِّك، «إذ يكون النطق بالساكن متحقِّقًا بالقرع والاصطكاك، والنطق بالحرف المتحرِّك متحقِّقًا بالانتقال من موقع المخرج بعد الركون اللا صوتيّ عليه، وبذلك لا تكون الارتفاعة عنهما واحدة، ومَنْ قال ذلك فإنَّه واهم»[٣].

بيَّنَ الدكتور غانم قدّوري الحمد أنَّ مصطلح (الإدغام) يستعمل للتعبير عن صور التأثُّر بين الأصوات الصامتة في اللُّغة العربية، وقال: «وإن كان بعض العلماء لا يستخدمه إلاَّ في الحالات التي يفنى فيها الصوت المجاور له، ولا يبقى له أثر، ويستخدم مصطلحات أُخرى للتعبير عن صور التأثُّر الأُخرى التي لا تبلغ درجة الفناء التامّ، مثل مصطلح (الإخفاء) أو (التقريب)»[٤].

---

١) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتيّ: ٢١٩.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتيّ: ٢٢٠-٢٢١.

٣) المصدر نفسه: ٢٣٨-٢٣٩.

٤) الدراسات الصوتيّة عند علماء التجويد: ٣٩٣.

ترى الدكتورة مي الجبوري أنَّ الدكتور غانم قد تابع ابن جنّي في قضيّة إخفاء الصوت الأوّل في الثاني معبِّراً عنه بفناء الصوت[١]، يقول ابن جنّي: «ألاَّ ترى أنَّك في قطَّع ونحوه قد أخفيت الساكن الأوّل في الثاني...»[٢].

وبيَّنَت الدكتورة مي أنَّ الصوتين ملفوظان، كما قال ابن الجزريّ: « بل الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما كما وصفت طلباً للتخفيف»[٣]، ففي الإدغام التامّ، في قوله تعالى: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ [النساء: ٦٤]، تُقلَب الذال إلى ظاء وتُدغَم في الظاء الثانية، وهذا لا يعني أنَّ الظاء الأُولى قد فنيت في الثانية، وإنَّما معناه أنَّ الذال أصبحت ظاءً، ولم يبقَ من آثارها شيء، أمَّا في الإدغام الناقص في قوله تعالى: ﴿أَحَطتُ﴾ [النمل: ٢٢]، يلاحظ الناطق بقاء شيء من إطباق الطاء في التاء التي قُلِبَت إليها حتَّى تحصل المماثلة وتُدغَم في التاء، ولهذا فإنَّ الصوت الأوّل في حالتي الإدغام التامّ والناقص يبقى موجوداً أو منطوقاً ولا يفنى[٤].

وقد ناقشت الدكتورة مي فكرة القوّة والضعف عند الدكتور عبدالصبور شاهين، وقالت: «فالمثال ـ وتقصد به (من بعد ذلك) ـ يمكن أن يُستبدَل به آخر أوضح منه، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، فهذا تنطبق عليه الفكرة، أمَّا في المثال الذي أورده فإنَّنا نستطيع الإفادة من نظريّته في أنَّ هذا المثال لا يمكن الإدغام فيه بتطبيقها بكسرتها ولا يمكن إسقاطها ليحدث الإدغام؛ لأنَّها سُبِقَت بالعين الساكنة»[٥].

ودليل الدكتورة مي على قولها: «ولا يمكن إسقاطها ليحدث الإدغام؛ لأنَّها سُبِقَت بالعين الساكنة»، قول السيرافي: «ترك الساكن على حاله وإدغام ما بعده في مثله يوجب

---

١) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ٧٩.

٢) الخصائص: ١٤٢/٢.

٣) النشر في القراءات العشر: ٢١٩/٢.

٤) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ٧٩.

٥) المصدر نفسه: ١٠٢.

الجمع بين ساكنين وليس الأوّل منهما من حروف المدّ واللين، وليس ذلك من كلام العرب»[١].

من الواضح أنَّ هذا المثال الذي اختاره الدكتور عبدالصبور شاهين يدخل في أمثلة الإدغام الكبير الذي تميَّز به أبو عمرو بن العلاء أحدُ القُرَّاء السبعة وعالم العربيّة، وقد أشارت الدكتورة مي إلى ذلك ولكنَّها تقول: «وفيه يلتقي الساكنان عند الإدغام ولا يجوز ذلك»[٢]، وتعلِّل لقولها هذا بقول السيرافي الذي ذكرناه، فإذا كانت الدكتورة الجبوريّ تعلم أنَّ هذا الإدغام هو من باب الإدغام الكبير الذي اشتهر به أبو عمرو بن العلاء ـ والقراءة القرآنيّة يتلقّاها الخلف عن السلف بكُلّ أمانة، ولا يحقُّ لهم أن يقرؤوا كيف يشاؤون ـ فالدليل الذي ساقته الدكتورة مي لدحض الإدغام في هذا المثال لا يمكن الأخذ به؛ لأنَّ الإدغام الكبير الذي قرأ به أبو عمرو بن العلاء وتواتر عنه بكُلّ أمانة يدحض رأيَ السيرافي، قال الشاطبيُّ[٣]:

ودُونَكَ الإدغَامَ الكبيرَ وقُطْبُهُ أَبو عَمْرٍو البصريُّ فيه تَحَفَّلا

وفي كتاب الله العزيز أمثلة كثيرة على الإدغام الكبير، وقبل الصوت الأوّل صوت ساكن ليس من أحرف المدّ واللين، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق: ٨]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِۚ﴾ [الجمعة: ١١].

إدغام لام التعريف

تساءلت الدكتورة مي الجبوريّ عن صوت اللام أشمسيٌّ هو أم قمريٌّ؟ وقالت: «لا بُدَّ من تعليق على مسألة ختم بها الدكتور عبدالصبور شاهين كتابه (المنهج الصوتيّ للبنية

---

١) إدغام القُرَّاء: ٣٥، وينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٠٢.

٢) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ١٠٢.

٣) متن الشاطبية: ٣٦.

العربيّة)»[١]، وذكرت قول الدكتور في هذه المسألة، إذ قال: «فالقدماء يرون أنَّ نطق: اللوم واللعاب، والليمان، هو من قبيل اللام الشمسيّة، ونحن نرى أنَّ اللام الشمسيّة تختفي في الصوت التالي بعدها اختفاءً تامًّا، وهي في الأمثلة المذكورة موجودة بكُلّ خصائصها، ودون أدنى تأثّر، فهي قمرية واضحة، لا فرق بينها وبين اللام في مثل: الباب، الجور، الحيوان، اللعاب... إلخ»[٢].

وقد عَدَّ الدكتور عبدالصبور شاهين إدغامَ لام التعريف في بعض الحروف ظاهرة من ظواهر المماثلة، وهي أعمّها شيوعاً في الاستعمال، وقال: «وقد جرى الاستعمال باختفائها مع ثلاثة عشر صوتاً، هي أصوات مقدّم الفم: (ت، ث، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ن) وتظهر مع بقية أصوات اللُّغة الخمسة عشر، وهي: (ء، ب، ج، ح، خ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، هـ، و، ي)»[٣].

ويرى الدكتور عبدالصبور أنَّ علّة الخفاء والظهور هي:

١. أنَّ اللام اختفت مع أصوات مقدَّم الفم، بسبب التقارب الصوتيّ والمخرجيّ، وبسبب ضعف موقع اللام، وقوّة موقع الصوت بعدها، وقد جرى تأثّر اللام في صورة المماثلة الرجعيّة.

٢. أنَّ اللام ظهرت مع بقية الأصوات نظراً إلى التباعد المخرجيّ، الذي يسَّرَ نطق الصوتين بكُلّ خصائصهما[٤].

بيَّنَت الدكتورة مي: «أنَّ باستطاعتنا إظهار اللام مع الأحرف الشمسيّة كافّةً لو تكلَّفنا النطق بها كما فُعِلَ مع كلمة اللعاب، فتستطيع أن نقول: التين، والشمس... إلخ

---

١) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ١١٠.

٢) المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة: ٢١٢.

٣) المصدر نفسه: ٢١٢.

٤) ينظر: المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة: ٢١٣.

بنطق اللام بيسر، وهذا لا يثبت بالتأكيد أنَّها من الأحرف القمريّة، وقد قال الفَرَّاء: «حكى الكسائيّ أنَّه سمع العرب تبين اللام ـ يعني لام المعرفة ـ عند كُلّ الحروف إلاَّ عند اللام مثلها أو الراء أو النون»[١]، وهذا معناه أنَّه حتَّى الذين أظهروا لام التعريف عند معظم الحروف أدغموها في اللام بعدها، وهو ما يدلّ على صحّة وصفها بالشمسيّة»[٢].

وترى أنَّ المراد من التفريق بين الحروف الشمسية والحروف القمرية هو ضبط قراءة ولفظ اللام في حالتي سقوطها وتشديد الحرف الشمسيّ، وظهور اللام مفردةً دونما إدغام مع الحرف القمريّ، ولا شَكَّ ـ كما ترى الدكتورة ـ أنَّ اللام مدغمةً في اللام بعدها، فهي حالة تشديد فالحرف إذن شمسيٌّ[٣].

من الواضح أنَّ الدكتورة مي تحتكم في مسألة الحروف الشمسيّة والحروف القمريّة، إلى:

١. سقوط اللام.

٢. تشديد الحرف الشمسيّ.

٣. إدغام اللام.

نبدأ من مسألة إدغام اللام، فمن الواضح أنَّ لفظ لام التعريف مع مثيلتها لا يؤدِّي إلى سقوط لام التعريف، لكنها تُدغَم مع مثيلتها وتلفظان بكُلّ خصائصهما، وإن كان إدغام اللام وعدم ظهورها مفردةً دليلاً على شمسيّتها، فإنَّ هذا الدليل لا ينهض؛ لأنَّ حروف العربية جميعها ـ عدا الألف ـ تُدغَم، فإن كان الإدغام دليلاً على شمسيّة اللام فهذا يعني أنَّ الباءَ في (أَبَّد)، والميم في (مُحمّد) حرفان شمسيان.

وقد بيَّنَ الشيخ جلال الحنفيّ أنَّ الإدغام غير صالح للاحتكام في هذه التسمية، إذ يقول: «ومن ملاحظة ما ذكره القوم في الكلام على اللام أنَّ سبب احتسابها في الشمسيّات ما فيها من إدغام، في حين أنَّ سبب التسمية غير ذي علاقة بالإدغام، إنَّما تتعلَّق حكايته

---

١) ما ذكره الكوفيون من الإدغام: ٦٩.

٢) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث: ١١٠-١١١.

٣) المصدر نفسه: ١١٠-١١١.

بالإقلاب، وأمَّا الإدغام فعمليّة أُخرى تبعيّة، ولو جعلنا الإدغام سبباً لتسمية الحروف باسم الشمسيّة لكانت الحروف كُلّها شمسيّة؛ لأنَّها كُلّها يقع لها الإدغام، فنحن نقول: (مُحمّد) بإدغام الميم الأُولى في الثانية، فلا يكون من هذا أن تُعدُّ الميم في جمهرة الحروف الشمسيّة، ونقول: (وَفَّر) فنُدغم فاءً في فاءٍ فلا يكون الإدغام معبِّراً عن قمريّة الحرف شيئاً»[١].

ويرى الشيخ جلال أنَّ تسميتنا الحرف شمسيًّا أو قمريًّا إنَّما يكون بالاحتكام إلى سلامة لام التعريف في اللفظ أو انقلابها إلى حرف مماثل لما تدخل عليه[٢].

ولابُدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ حالة الإدغام (إدغام لام التعريف) هي من باب إدغام المتقاربَين، ولهذا لم يَعُدَّ سيبويه اللام في جمهرة الحروف التي تُدغّم فيها لام المعرفة، قال سيبويه: «ولام المعرفة تُدغَم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهنَّ إلاَّ الإدغام... وهذه الحروف أحد عشر حرفاً، منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان... والأحد عشر حرفاً: النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، الطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال.

واللَّذان خالطاها: الضاد والشين؛ لأنَّ الضاد استطالت لرخاوتها حتَّى اتَّصلت بمخرج اللام. والشين كذلك حتَّى اتصلت بمخرج الطاء»[٣].

وأمَّا ما قالته الدكتورة مي: إنَّ باستطاعتها إظهار اللام مع الحروف الشمسيّة كافَّةً لو تكلَّفت النطق بها، كما فُعِلَ مع كلمة اللعاب، فنستطيع أن تقول: التين والشمس بنطق اللام بيسر، فهذا غير جائز؛ لأنَّ الإدغام مع هذه الحروف واجب، قال المبرّد: «وهو يُدغَم إذا كان للمعرفة في ثلاثة عشر حرفاً، ولا يجوز في اللام معهنَّ إلاَّ الإدغام»[٤].

---

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتيّ: ٤١-٤٢.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢.

٣) الكتاب: ٤/ ٤٥٧.

٤) المقتضب: ٣١٣/١.

وأمَّا ما ذكرته في حكاية الكسائيّ أنَّه سمع العرب تبين اللام عند كُلّ الحروف إلاَّ عند اللام أو الراء أو النون، فهو مردود؛ لأنَّ هذا شاذٌّ لا يُعتدُّ به، قال أبو البركات الأنباريّ (٥٧٧هـ): «وإنَّما أُدغِمَت لام التعريف في هذه الحروف لوجهين:

أحدهما: أنَّ هذه الحروف مقاربة لها.

والثاني: أنَّ هذه اللام كَثُر ورودها في الكلام... ولَمَّا اجتمع فيها المقاربة لهذه الحروف، وكَثُر دورها في الكلام؛ لزم فيها الإدغام، وأمَّا من أظهر اللام على الأصل، فمن الشاذّ الذي لا يُعتدُ به»[١].

ممَّا تقدَّم يَتبيَّن لنا أنَّ تسمية اللام بالشمسيّة والقمريّة هو من باب قلب لام التعريف إلى جنس الحرف الثاني، وليس من باب الإدغام؛ لأنَّ الإدغام يتحقَّق مع جميع الحروف العربية عدا الألف، وكلمة الشمس تختفي فيها اللام في حين تظهر اللام في كلمة القمر، فتسمية الشمسيّة والقمرية تدلّل على أنَّ اللام حرف قمريّ؛ لأنَّه موجود بكُلّ خصائصه مع الحروف القمرية، لفظاً وخطًّا ووصلاً ووقفاً، وهذا واضح في الكتابة المقطعيّة للكلمات القمريّة، نحو:

القمر: /ء ـَ ل/ ق ـَ/ م ـَ ر/

الليل: /ء ـَ ل/ ل ـَ ي ل/

اللبن: /ء ـَ ل/ ل ـَ/ ب ـَ ن/

الليث: /ء ـَ ل/ ل ـَ ي ث/

أمَّا في الكلمات الشمسيّة فلا وجود للام إلاَّ خطًّا، نحو:

الشمس: / ء ـَ ش/ ش ـَ م س/

النور: / ء ـَ ن/ ن ـُ ر/

الطور: / ء ـَ ط/ ط ـُ ر/

❖ ❖ ❖

١) أسرار العربية: ٣٦١.

المبحث الخامس

أحكام الأصوات الأنفيّة

الأصوات الأنفية، هي: النون والميم، وهما صوتا الغنّة، قال سيبويه: «ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصوت؛ لأنَّ ذلك الصوت غنّة من الأنف، فإنَّما تُخرِجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف؛ لأنَّك لو أمسكت بأنفك لم يجرِ معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم»[١].

وعَدَّها بعض العلماء ثلاثة أصوات بزيادة التنوين، وهو في الحقيقة نون ساكنة تلحق آخر الأسماء.

وبيَّنَ أبو شامة المقدسي (٦٦٥هـ) أصوات الغنّة في قوله: «وهي التنوين والنون والميم فهذه ثلاثة، وفي الحقيقة حرفان النون والميم؛ لأنَّ التنوين نون حقيقة في المخرج والصفة وإنَّما الفرق بينهما عدم ثبات التنوين في الوقف وفي صورة الخط وأنه لا يكون إلاَّ زائداً على هجاء الكلمة؛ فلهذا يعتني القُرَّاء بالتنصيص عليه كقولهم: باب أحكام النون الساكنة والتنوين... وأمَّا سيبويه وأتباعه فلم يذكروا إلاَّ النون والميم»[٢].

أوّلاً: أحكام النون الساكنة والتنوين

لم تكن حالات تأثّر النون الساكنة بما بعدها من الأصوات غائبةً عن علماء العربية القدامى[٣].

وقد اهتمَّ علماء التجويد بحالات النون الساكنة والتنوين في درج الكلام، وجعلوا لهما أحكاماً خاصّةً[٤]، وقد أشار الدكتور غانم إلى أنَّ علماء التجويد اختلفوا في عدد أحكام النون الساكنة والتنوين، فمنهم مَنْ عَدَّها أربعة أحكامٍ، هي: الإظهار، والإدغام، والقلب، والإخفاء، ومنهم مَنْ عَدَّها أكثر من ذلك، ومنهم مَنْ عَدَّها أقلّ من أربعة أحكام حتَّى

---

١) الكتاب: ٤٣٥/٤.

٢) إبراز المعاني من حرز الأماني: ٨١٧.

٣) ينظر: الكتاب: ٤٥٤/٤ والمقتضب: ٢١٦/١.

٤) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٣، والرعاية: ٣٨٩، والنشر في القراءات العشر: ١٨/٢.

صارت ثلاثة، ولكنَّ الاتّجاه الغالب في عدد أحكام النون الساكنة والتنوين هو أربعة أحكام[١]، وهو المعوَّل عليه في مدارس التلاوة في وقتنا الحاضر.

فمن الذين عَدّوا هذه الأحكام أكثر من أربعة مكّي بن أبي طالب، إذ قال: «اعلم أنَّ للنون الساكنة والتنوين في كلام العرب وفي القرآن، أحكاماً كثيرةً مفيدةً، وهما يجريان على ستّة أقسام:

الأوّل: أنَّهما يظهران إذا لقيهما حرف من حروف الحلق....

الثاني: أنَّهما يُدغمَان إدغاماً مستكملَ التشديد في الراء، واللام، وتذهب الغنّة في الإدغام...

الثالث: أنَّهما يُدغمَان في النون والميم مع إظهار الغنّة...

الرابع: أنَّهما يُدغمَان في الياء والواو من كلمتين...

الخامس: أنَّهما ينقلبان ميماً إذا لَقِيتهُما باءٌ...

السادس: أنَّهما يُخفَيانِ عند باقي الحروف...»[٢].

من الواضح أنَّ مكّيًا جعل حكم الإدغام ثلاثة أحكام، فأصبحت أحكان النون الساكنة والتنوين عنده ستّة أحكام.

والذين جعلوها ثلاثة أحكام، أسقطوا الإقلاب، وأدخلوه في الإخفاء[٣].

١. الإظهار

الإظهار لغةً: «ظهرَ الشَّيْءُ ظهوراً: تبيِّن وبرز بعد الخفاء»[٤].

واصطلاحاً: «صوت يخرج من الخيشوم يصحب النون والتنوين وكذا الميم أيضاً»[٥].

---

١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٢٧.

٢) الرعاية: ٣٨٩-٣٩٧.

٣) ينظر: غنية الطالبين: ورقة ١٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٢٨.

٤) المعجم الوسيط: (ظهر).

٥) مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين: ٩٨.

تظهر النون الساكنة والتنوين إذا جاء بعدها أصوات (ء، هـ، ع، ح، غ، خ)، وهي الأصوات الحلقية عند القدماء، وتُجمَع في أوائل كلمات هذه العبارة: (أخي هاك علماً حازه غير خاسرِ).

وبيَّنَ الدكتور غانم أنَّ الإظهار عند علماء التجويد قسمان: إظهار بتعمُّل، وإظهار بغير تعمُّل، وهو تقسيم أبي عمرو الدانيّ، إذ قال: «وإنَّما بيَّنت النون والتنوين عند هذه الحروف لبعد المسافة التي بينهما وبينهنّ، إلاَّ أنَّ بيانهما عندهنّ على ضربين: بتعمُّلٍ وغير تعمُّلٍ، والتي يتعمّل بيانهما عندهنّ ثلاثة: الهمزة والغين والخاء؛ لأنَّه متى لم يتعمَّل ذلك عندهن ولم يتكلَّف انقلبت حركة الهمزة عليهما وسقطت من اللفظ، وخفيا عند الغين والخاء؛ لأنَّ ذلك قد يُستعمَل فيهنّ، كما رواه ورش عن نافع في الهمزة لجُسُوِّها، ورواه المسيبيُّ عنه في الغين والخاء؛ لقربهما من حَرفَي أقصى اللسان»[١].

واتّخذ الدكتور غانم من طبيعة إنتاج أصوات الحلق وصوت النون تفسيراً لحالة الإظهار، فأصوات الحلق مخارجها أعمق من مخرج النون، وعليه لا يمكن أن تُنطَق هذه الأصوات مع الغنّة؛ لأنَّها تتشكَّل قبل أن يصل النَّفَس منطقة اللهاة التي تفتح مجرى النفس إلى الخيشوم لإنتاج صوت الغنّة[٢].

وأمَّا الخاء والغين فترجَّح لديه أنَّهما يخرجان من نقطة تقع بعد النقطة التي يتّخذ فيها النَّفَس مجراه عبر الأنف، ويمكن أن تتأثَّر النون بمجاورتهما إذا لم يُتعمَّل بإخراجها من مخرجها، فتخفى عندهما كما تخفى عند القاف[٣].

وللشيخ جلال الحنفي رأيٌ في إخفاء الخاء والغين عند النون الساكنة، فهو يرى أنَّ مخرج هذين الصوتين مخرجٌ خطيٌّ، أي: أنَّ مخرجهما متّسعٌ بحيث يمكن النطق بهما مستعليينِ ومستفلين، كما يمكن أن يخرج الصوت من أداني أطراف المخرج أو أعاليه أو

---

١) التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٣.

٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٣٢.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٢.

أواسطه، ولذا يصلح هذان الصوتان لحكم الإخفاء عند اتّصالهما بالنون الساكنة[١]، «والحكم النهائي في هذا الأمر هو للقاعدة الأدائيّة التي تضع كُلّ شيءٍ في نصابه»[٢].

وذهب الدكتور مناف الموسويّ إلى أنَّ علماء التجويد يرون «أنَّ النون الساكنة أو التنوين يجب أن تُلفَظ هنا خطفاً بدون غنّة مع إظهار الحرف الذي بعدها»[٣].

أرى أنَّ فيما ذهب إليه الدكتور مناف الموسويّ ثلاثة أُمور يُستحسَن مناقشتها، هي:

الأوّل: لا أعتقد أنَّ ما ذهب إليه الدكتور الموسويّ هو رأي علماء التجويد، قال أبو عمرو الدانيّ: «وأمَّا المُسكَّن من الحروف فحقُّه أن يُخلى من الحركات الثلاث ومن بعضهنّ، من غير وقفٍ شديدٍ، ولا قطعٍ مسرفٍ عليه سوى احتباس اللسان في موضعه قليلاً في حال الوصل»[٤].

الثاني: إنَّ الإظهار هنا يُقصَد به إظهار النون الساكنة أو التنوين وليس الحرف الذي يليهما.

الثالث: إنَّ لفظة (خطفاً) في قول الدكتور مناف «أن تُلفَظ هنا خطفاً بدون غنّة»، قد يوحي أنَّ المقصود بالخطف هنا هو الاختلاس؛ لأنَّ معنى الإظهار ـ على ما أرى ـ هو أن يُلفَظ الصوتُ لفظاً طبيعياً من غير تكلُّف ولا زيادة ولا نقصان، وهذا ما أكَّدَه الشيخ جلال الحنفي في قوله: «الإظهار: وهو أن تُلفَظ النون الساكنة حيثما كانت لفظاً يظهر فيه مذاقها الطبيعيُّ دون أن يعلّق به شيء من غنّة أو إشمام حرفٍ آخر أو إقلابٍ أو قلقلةٍ»[٥].

---

١) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧.

٢) المصدر نفسه: ٢٧.

٣) علم الأصوات اللُّغويّة: ١٤٤.

٤) التحديد في الإتقان والتجويد: ٩٧، وينظر: جمال القُرّاء وكمال الإقراء: ٣٤٢/٢.

٥) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٤٣.

٢. الإدغام

تُدغَم النون الساكنة والتنوين في ستّة أصوات، هي: (ي، ر، م، ل، و، ن)، وتُجمَع في كلمة (يرملون).

وإدغام النون الساكنة والتنوين في هذه الأصوات نوعان، هما:

الأوّل: الإدغام الناقص (إدغام بغنّة)، مع أصوات (ي، ن، م، و)، وتُجمَع في كلمة (ينمو)[١].

قال سيبويه: «وتُدغَم النون مع الميم؛ لأنَّ صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتَّى إنَّك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، حتَّى تتبيَّن... وتُدغَم النون مع الواو بغنّة وبلا غنّة؛ لأنَّها من مخرج ما أُدغِمَت فيه النون... وتُدغَم النون مع الياء بغنّة وبلا غنّة؛ لأنَّ الياء أخت الواو»[٢].

ولم يذكر سيبويه إدغام النون مع النون؛ لأنَّها إذا التقت بمثلها لم يكن غيرَ الإدغام، قال أبو عمرو الداني: «والحالة الثانية: أن يكونا مدغمَين، وذلك في خمسة أحرف، يجمعها قولك: (لم يَروَ) اللام، والراء، والياء، والواو، والميم... والقُرَّاء يزيدون حرفاً سادساً وهو النون، نحو ﴿مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، و﴿يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]. ولا معنى لذكرها معهنّ؛ لأنَّها إذا التقت بمثلها لم يكن غير إدغامها كسائر المثلَين»[٣].

قرأ جمهور القُرَّاء بإدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء بغنّة، وقرأ خلف عن حمزة الكوفي بإدغامها في الواو والياء بغير غنّة[٤].

قال الشاطبيُّ[٥]:

وكُلّ بينمو أدغموا مَعْ غنّة وَفي الوَاو وَاليا دونَهَا خَلَفٌ تَلا

---

١) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٠/٢.

٢) الكتاب: ٤٥٢/٤.

٣) التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٤.

٤) ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ١٢٦-١٢٧، والحجّة في القراءات السبع: ٢٣.

٥) سراج القارئ المبتدي وتذكار المُقرئ المنتهي: ١١٦.

أخبر الشاطبيُّ أنَّ القُرَّاء السبعة أدغموا النون الساكنة والتنوين في حروف (ينمو)، وهي الياء، والنون، والميم، والواو، إدغاماً مصاحباً للغنّة، وقوله: (وَفِي الوَاو وَاليا دونَهَا خَلَفٌ تَلا)، أخبر أنَّ خلفاً قرأ بإدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء من دون غنّة[١].

وذهب بعض علماء التجويد إلى أنَّ ما بقيت فيه الغنّة إخفاءٌ وليس إدغاماً، قال ابن الجزريّ: «الإدغام بالغنّة في الواو والياء، وكذلك في اللام والراء عند مَنْ روى ذلك هو إدغام غير كامل من أجل الغنّة الباقية معه. وهو عند مَنْ أذهب الغنّة إدغام كامل. وقال بعض أئمتنا: إنَّما هو إخفاء، وإطلاق الإدغام عليه مجاز، وممَّن ذهب إلى ذلك أبو الحسن السخاويّ فقال: واعلم أنَّ حقيقة ذلك إخفاء لا إدغام، وإنَّما يقولون له إدغام مجازاً. قال: وهو في الحقيقة إخفاء على مذهب مَنْ يُبقي الغنّة ويمنع تمحيض الإدغام، إلاَّ أنَّه لا بُدَّ من تشديد يسير فيهما. قال: وهو قول الأكابر قالوا: الإخفاء ما بقيت معه الغنّة. قلت: والصحيح من أقوال الأئمّة أنَّه إدغام ناقص من أجل صوت الغنّة الموجودة معه فهو بمنزلة صوت الإطباق الموجود مع الإدغام في ﴿أَحَطتُ﴾ [النمل: ٢٢]، و﴿بَسَطتَ﴾ [المائدة: ٢٨]، والدليل على أنَّ ذلك إدغام وجود التشديد فيه إذ التشديد ممتنع مع الإخفاء»[٢].

الثاني: إدغام كامل (إدغام بغير غنّة)، مع صوتي اللام، والراء[٣]، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥].

وقَسَّمَ الدكتور غانم الحمد أحكام النون الساكنة والتنوين على ثلاثة أحكام، وهي: الإظهار، والإخفاء، والإدغام، وقد اعتمد الدكتور غانم في هذا التقسيم على كيفية نطق النون «فإذا حافظت النون على معتمدها في الفم مع بقاء الغنّة من الأنف كان إظهاراً، وإذا زال معتمدها في الفم مع بقاء الغنّة من الأنف كان إخفاءً، وإذا زال معتمدها مع زوال الغنّة كان إدغاماً»[٤].

وبعد عرض الدكتور الحمد مذاهب القُرَّاء في إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء رأى أن يلحق هذا الإدغام بباب الإخفاء وبيَّنَ السبب في قوله: «وأمَّا الواو والياء فإنَّ

---

١) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المُقرئ المنتهي: ١١٦.

٢) النشر في القراءات العشر: ٢٢/٢.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٩/٢.

٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٥٥.

جمهور القُرَّاء يذهبون إلى إدغام النون فيهما مع إبقاء الغنّة، ونحن لهذا السبب نرى أن يلحقا بباب الإخفاء»[١].

فهل دعوة الدكتور الحمد إلى إلحاق إدغام النون الساكنة والتنوين في الواو والياء بباب الإخفاء تتوافق مع الحقائق الصوتية؟

للجواب عن هذا التساؤل نبحث في الأُمور الآتية:

الأوّل: من الواضح من كلام العلماء المتقدِّم أنَّ الإخفاء لا تشديد فيه، وهذه الحالة من الإدغام فيها تشديد، ولكنَّه تشديد غير مُستكمَل، كما وصفه مكّي بن أبي طالب[٢].

الثاني: نلحظ أنَّ صوت الواو والياء ـ في هذا الإدغام ـ متغلِّبٌ على صوت النون (الغنّة)، على عكس حالة الإخفاء التي يتغلَّب فيها صوت النون (الغنّة) على الصوت المُخفى، حتَّى أنَّ بعض أصوات الإخفاء يكون أثرها ضئيلاً في السمع، وهذا واضح عند إخفاء النون مع التاء، والدال، قال الشيخ جلال الحنفي: «ويقسّم الإشمام ـ يعني الإخفاء ـ من حيث الشدّة والضَّعف الى ثلاثة أقسام:... ج. الإشمام الخفيّ، ويكون في النون الساكنة مع كُلّ من حرفي التاء والدال، مثل (أنتَ، وعِندَ)، وهنا تكون غنّة النون المحرّرة هي السائدة في الجوّ الصوتيّ للحالة الإشمامية، وذاك بسبب ضعف المذاق الإشمامي في ذينك الحرفين»[٣].

الثالث: يقول الدكتور غانم في كلامه المتقدِّم: « وإذا زال معتمدها ـ يعني النون ـ في الفم مع بقاء الغُنّة كان إخفاءً»[٤]، وهذا يعني ـ على رأي الدكتور ـ أنَّ إدغام النون مع الميم هو في الحقيقة إخفاء؛ لأنَّ معتمد النون قد زال وبقيت الغنّة، ولم يقل أحدٌ من العلماء أنَّ إدغام النون في الميم هو من باب الإخفاء، ممَّا اضطرّ الدكتور الحمد إلى أن يجعل لهذا الإدغام حالتين:

الأُولى: حالة إدغام «لأنَّ النون تحوّلت إلى مثل الصوت الذي بعدها، وهو الميم، وذلك في مثل (مِنْ ماء) حيث تصير في النطق (مِمْ ماء)»[٥].

---

١) المصدر نفسه: ٤٥٦.

٢) ينظر: الرعاية: ٣٩٢.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٤٥٨-٤٥٩.

٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٥٥.

٥) المصدر نفسه: ٤٥٦.

الثانية: حالة إخفاء؛ «لأنَّ الإخفاء هو أن يزول معتمد النون في الفم ويبقى صوت الغنّة، وهو ما يحصل في هذه الحالة، فإنَّ معتمد النون قد زال من طرف اللسان وانتقل إلى مخرج الصوت الآتي بعد النون، وهو الميم التي يعتمد لها في الشفتين، لكن حدث هنا أنَّ الميم صوت يشارك النون في الغنّة، فحين انتقل معتمد النون إلى مخرج الميم مع بقاء الغنّة بدت النون مثل الميم؛ لأنَّ معتمدها صار واحداً، مع جريان الغنّة معهما من الأنف، وتوفّرت حينئذٍ شروط الإدغام»[1].

وهذا يعني أنَّ الدكتور غانم قد استدرك وبيَّنَ أنَّ حالة الإخفاء التي انتقل فيها معتمد النون إلى معتمد الميم هي في الحقيقة حالة إدغام.

وعليه فإنَّ زوال معتمد النون من الفم مع بقاء الغنّة ليس دليلاً على إخفاء النون الساكنة أو التنوين عند الواو أو الياء.

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ إدغام النون في الواو أو الياء هو من باب إدغام المتقاربين، ومن المعلوم أنَّ إدغام المتقاربين لا يتحقَّق إلاَّ بعد قلب الصوت الأوّل (المُدغَم) إلى جنس الصوت الثاني (المدغَم فيه)؛ ليصير الصوتان متماثلين ثُمَّ يُدغَما، أي: أنَّ إدغام النون في الواو أو الياء لا يتحقَّق إلاَّ بعد قلب النون واواً أو ياءً ثُمَّ تُدغَم في الواو أو الياء، وهذا لا يتحقَّق عند إخفاء النون الساكنة عند أصوات الإخفاء، ولكن إذا كانت هذه هي الحقيقة، فما الذي دعا العلماء إلى القول: أنَّ النون تُدغَم في الواو والياء، على الرغم من أنَّ الحقيقة هي إدغام واوٍ في واوٍ، أو إدغام ياءٍ في ياءٍ.

عرض الشيخ جلال الحنفي هذه المسألة وبيَّنَ العلّة في قوله: «إنَّ بقاء النون مكتوبةً على ذات هيئتها رغم انقلابها الصوتي هو الذي جعل القوم ينظرون إلى النون نوناً مهما تغيّرت أوصافها، في حين أنَّ الصوت المسموع هو الجانب الذي تدور عليه حكاية هذا العلم، أَوَ لا يُلاحَظ أنَّ الصوتيات لا شأنَ لها بألف مقصورة وألف ممدودة؟ كما أنَّها لا شأنَ لها بشدّة

---

١) المصدر نفسه: ٤٥٦.

أو مدَّة أو ما يُسمَّى بضمَّتين وفتحتين وكسرتين، فإنَّ هذه ليست إلاَّ من مطالب الخطّ ورسم القلم»[١].

ولهذا يرى الشيخ جلال أنَّ الإدغام يقع بين حروف متماثلة «أي: أنَّ إدغام (مَنْ يعمل) ليس إدغام نون في ياء، وإنَّما هو إدغام ياء في ياء لانقلاب النون إلى ياء»[٢].

وقد أكَّدَ هذا المعنى الدكتور التهاميّ نُقرة، إذ قال: «الإدغام لا يكون إلاَّ بعد القلب فالنون تُقلَب ياءً في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾، ولذلك فلا معنى لقول مَنْ يقول: حرف القلب واحد وهو الباء مع النون»[٣].

ممَّا تقدَّم يَتبيَّن لنا أنَّ دعوة إلحاق إدغام النون الساكنة في الواو أو الياء بباب الإخفاء لا تتوافق مع ما قدَّمنا من حقائق صوتية تؤكِّد أنَّ هذه الحالة هي حالة إدغام.

٣. القلب (الإقلاب)

القلب لغةً: «تحوُّل الشيء عن وجهه»[٤].

واصطلاحاً: «جعل حرف مكان آخر مع بقاء الغنّة والإخفاء»[٥].

تقلب النون الساكنة إذا لقيتِ الباء، ميماً، وتُخفَى الميم التي تحوّلت النون إليها مع الغنّة.

وذكر القدماء حالة النون مع الباء، قال سيبويه: «وتُقلَب النون مع الباء ميماً»[٦].

وإذا قُلِبَت النون الساكنة عند الباء ميماً، صار حكمها حكم الميم إذا لقيت الباء، قال ابن الجزريّ: «وأمَّا الحكم الثالث وهو (القلب) فعند حرف واحد وهي الباء، فإنَّ النون الساكنة والتنوين يُقلبَان عندها ميماً خالصة من غير إدغام... ولابُدَّ من إظهار الغنّة مع ذلك

---

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٥٩.

٢) المصدر نفسه: ٢٤٥.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٤٥، من رسالة الدكتور التهامي إلى الشيخ جلال.

٤) لسان العرب: (قلب).

٥) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٣٢.

٦) الكتاب: ٤٥٣/٤، وينظر: المقتضب: ٢١٨/١.

فيصير في الحقيقة إخفاء الميم المقلوبة عند الباء، فلا فرق حينئذٍ في اللفظ بين ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ [النمل: ٨]، وبين: ﴿يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠١]»[١].

ويرى الدكتور غانم أنَّ حالة قلب النون ميماً هو حالة إخفاء؛ لأنَّ الإخفاء هو «ما يزول معه معتمد النون من الفم وينتقل إلى مخرج الصوت الآتي بعد النون بأن يتقدَّم أو يتأخَّر حَسْب طبيعة الصوت، مع المحافظة على الغنّة»[٢].

وبيَّنَ أنَّ ما يحصل للنون قبل الميم والباء يشبه من الناحية النطقية ما يحصل لأصوات الإخفاء الخمسة عشر، وما يحصل للنون قبل الواو والياء أيضاً، وأوضح الدكتور الحمد أنَّ الفرق بين النون في (مَنْ قال) وبين النون في (مِنْ بعد) ليس صوتياً بالدرجة الأساس؛ لأنَّ تعريف الإخفاء ينطبق على الحالتين، فهما متّفقان نطقياً وعضوياً، ولكنَّ الفرق بينهما هو أنَّ الصوت الناتج من عملية القلب ـ وهو إخفاء عند الدكتور ـ يُعَدُّ صوتاً مستقلاً، في حين يُعَدُّ الصوت الناتج من عملية الإخفاء تنوُّعاً موقعياً لصوت النون[٣].

٤. الإخفاء

الإخفاء لغةً: «خَفَا البرقُ: لمع بضعف خَفْواً وخُفُواً. وأَخفيتُ الشيء، وخَفيَ الشيء واختفى واستخفى وتخَفَّى: استتر»[٤].

واصطلاحاً: «النطق بالحرف بحالة متوسّطة بين الإظهار والإدغام، عارياً عن التشديد مع بقاء الغنّة في الحرف الأوّل»[٥].

تُخفَى النون الساكنة قبل الأصوات الخمسة عشر الباقية بعد أصوات الإظهار الستة، وأصوات الإدغام الستة، وصوت الإقلاب، وأصوات الإخفاء هي: (الصاد، والذال، والثاء والكاف، والجيم، والشين والقاف، والسين، والدال، والطاء، والزاي، والفاء، والتاء، والضاد، والظاء).

و جُمِعَت أصوات الإخفاء في أوائل كلمات البيت الآتي:

---

١) النشر في القراءات العشر: ٢١/٢.

٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٥٦.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥٧.

٤) أساس البلاغة (خفي).

٥) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٣٢.

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيّبا زد في تقى ضع ظالما

وبيَّنَ سيبويه حال النون مع أصوات الإخفاء، قائلاً: «وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خَفيّاً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنـَّها من حروف الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم؛ لأنـَّها أكثر الحروف، فلمَّا وصلوا إلى أن يكون لها مخرجٌ من غير الفم كان أخفَّ عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلاَّ مرّةً واحدة، وكان العلم بها أنـَّها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم؛ لأنـَّه ليس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفّة إذ لم يكن لبسٌ، وكان أصل الإدغام وكَثْرَة الحروف للفم. وذلك قولك: مَنْ كان، ومَنْ قال، ومَنْ جاء»[١].

وبيَّنَ أبو عمرو الداني علّة إخفاء النون الساكنة والتنوين بقوله: «وإنـَّما أُخفيا عندهن؛ لأنـَّهما لم يَبعُدا منهنّ كبُعدِهما من حروف الحلق، فيجب الإظهار للتراخي، ولم يقربا منهنّ كقربهما من حروف (لم يرو) فيجب الإدغام للمزاحمة، فأُخفيا فصارا عندهنّ لا مظهرَين ولا مدغمَين، وغنّتهما مع ذلك باقية، ومخرجهما من الخيشوم خاصّةً، ولا عمل للسان فيهما»[٢].

لم يوافق الشيخ جلال الحنفي علماء التجويد في استعمال مصطلح (الإخفاء) في هذا الحكم، واختار مصطلح (الإشمام)؛ لأنـَّه الأقرب إلى وصف عمل أعضاء النطق في هذه الحالة، فقد لحظ الشيخ أنَّ النون الساكنة تأخذ من رائحة أصوات الإخفاء.

وأوضح عملية نطق النون الساكنة في هذه الحالة، والسبب في اختياره مصطلح (الإشمام)، إذ قال: «وإنـَّما أطلقنا تسمية (الإشمام على هذه الحالة؛ لأنـَّا رأينا أنَّ النون الساكنة تأخذ من رائحة هذه الحروف شميماً ملحوظاً في الأسماع، وأنـَّها لتتأثّر بتلك الحروف تأثّراً ظاهراً وتُشرَب مذاقها، وهذا ناشئ من كونها تقترب من مخرجها ولا تبيت فيه، وبعبارة أُخرى: إنَّ النون الساكنة تتأثّر بالحرف الإشمامي الآتي بعدها، وهي ما تبرح في حالتها السكونية من قبل أن تحتكّ بالحرف الذي تريد الالتقاء به في المقطع الثاني، وهذا ظاهر في المذاق الإشمامي العالق بالنون الساكنة بمجرّد سكونها، فإذا انتهى منه تمَّ النطق بالحرف الإشمامي الذي رشّحته رائحته في النون إلى الأسماع قبل النطق به»[٣].

---

١) الكتاب: ٤/٤٥٤.

٢) التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٧.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٦١.

إنَّ اختيار الشيخ جلال الحنفي مصطلح (الإشمام) يؤكِّد أنَّ الشيخ يمتلك حسًّا صوتيًّا مرهفاً؛ لأنَّ تطبيق هذا الحكم التجويدي يُبيِّن بوضوح صوت النون (الغنّة)، وقد اختلط بالصوت التالي له، فإذا طبّقنا هذا الحكم مع صوت الذال، نلحظ أنَّ الصوت المسموع هو عبارة عن صوت النون وقد خالطَ صوت الذال، وأصبح طرف اللسان عند أطراف الثنايا العليا، فيرى المتعلِّم عمل جهاز النطق ويسمع صوت النون، وقد خالط صوت الذال، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكذلك إذا طبّقنا هذا الحكم مع صوت الفاء، نلحظ أنَّ الصوت المسموع هو عبارة عن صوت النون وقد خالط صوت الفاء، نحو: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ونستطيع أن نكتب المثالين كتابةً مقطعيّة نوضّح فيها هذا الحكم، أي:

مَنْ ذا الذي: مَنْ ذا = / م ـَ نْ ذ ـَ / نرسم الذال فوق النون للتعبير عن حالة الإشمام.

عليكم أنفسكم: أنفسكم = / ء ـَ نْ ف ـُ / ف ـُ / س ـَ / ك ـُ م/: نرسم الفاء فوق النون للتعبير عن حالة الإشمام، وهكذا مع بقية أصوات هذا الحكم يمكن رسم الصوت الإشمامي فوق النون للتعبير عن هذه الحالة.

وسنتناول تعريف الإشمام وأنواعه في مبحث الرَّوم والإشمام إن شاء الله.

موقف المحدَثين من مصطلح (الإشمام)

أوضح الدكتور إدوار يوحنا أنَّ استعمال مصطلح (الإشمام) عند وصف ما يحدث بين النون والأصوات الخمسة عشر استعمال دقيق، إذ قال: «إنَّ استعمالك لاصطلاح الإشمام عند وصفك لما يحدث بين النون والذال في ـ مَنْ ذا ـ استعمال دقيق، فالنون تبقى نوناً غير أنَّه تنزلق في مخرجها أماماً لتقرب من مخرج الذال وهو ما يُكسبها بعض صفة الذال، فالشيء نفسه يحدث عندما تقع القاف بعد النون الساكنة، فهي تكسب مخرج القاف، ففي قولنا ـ مَنْ قال ـ نرى أسلَة اللسان لا تتحرَّك لتلمس اللَّثَة، وهو ما يقع في الحالات الاعتيادية من أداء النون، عوضاً عن ذلك وتحت تأثير القاف، نرى أنَّ مؤخّرة اللسان هي التي تتحرَّك باتّجاه الطبق واللهاة محقّقة صوتاً له وقعُ النون المشوبة برائحة القاف... إلخ»[١].

---

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٨٥ (من رسالة الدكتور إدوار يوحنا إلى الشيخ جلال الحنفي).

وبيَّنَ الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ «التسمية المقترحة معقولة، وهي تعطي المصطلح نوعاً من الوضوح لا يتحقَّق بمصطلح الإخفاء»[١].

وكتب الدكتور إبراهيم السامرائي إلى الشيخ جلال الحنفي قائلاً: «وأنا أُؤيِّد ملاحظتكم في الإشمام ـ وفّقكم الله ـ ذلك لأنَّ مصطلح الإخفاء غامض لا يُترجِم الحقيقة الصوتية»[٢].

ثانياً: أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة ثلاثة أحكام، هي[٣]:

الإدغام، والإخفاء، والإظهار.

أوّلاً: الإدغام: تُدغَم الميم الساكنة بغنّة إذا لقيت ميماً، سواء كانت الميم الساكنة مقلوبة عن النون الساكنة، أو التنوين، نحو قوله تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ [السجدة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، أو أصلية، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٩].

ثانياً: الإخفاء: تُخفَى الميم الساكنة بغنّة إذا لقيت باءً، سواء كانت الميم مقلوبة من النون الساكنة أو التنوين، نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ [النمل: ٨]، وقوله تعالى: ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَا﴾ [الطور: ١٩]، أو كانت أصلية، نحو قوله تعالى: ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ﴾ [الفيل: ٤].

واختلف أهل الأداء في هذا الحكم «فقال بعضهم هي مخفاةٌ لانطباق الشفتين عليهما، كانطباقهما على إحداهما... وقال آخرون: هي مبينةٌ للغنّة التي فيها... وبالأوّل أقول»[٤].

واختار مكّي بن أبي طالب إظهار الميم الساكنة عند الباء، إذ قال: «وإذا سكنتِ الميم وجب أن يتحفَّظَ بإظهارها ساكنة، عند لقائها باءً أو فاءً أو واواً»[١].

---

١) المصدر نفسه: ١٨٥ (من رسالة الدكتور أحمد مختار عمر إلى الشيخ جلال الحنفي).

٢) المصدر نفسه: ١٨٥ (من رسالة الدكتور إبراهيم السامرائي إلى الشيخ جلال الحنفي).

٣) ينظر: جهد المقل: ٢٠٦.

٤) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٦٨.

وذهب الدكتور غانم إلى أنَّ إظهار الميم الساكنة عند الباء هو الصحيح؛ لأنَّ انطباق الشفتين على الصوتين انطباقاً واحداً لا يكفي لتسمية ذلك بالإخفاء[٢]، وعليه يرى الدكتور الحمد أنَّ أحكام الميم الساكنة تنحصر في حكمَي الإظهار والإدغام[٣].

وأشار الشيخ جلال الحنفي إلى أنَّ العراقيين القدماء كانوا يظهرون الميم الساكنة إذا التقت بالباء[٤]، ولكنَّه أطلق على هذا الحكم مصطلح (التماسّ)؛ لأنَّه يرى أنَّ الميم الساكنة في هذه الحالة تكاد تلتصق بالباء وتُماسُّها، وأوضح أنَّ الميم الساكنة لا تختفي عند الباء؛ لأنَّهما أشبه بخطّين متوازيَين يتماسّان ولا يتقاطعان، وكذلك لا تختفي الميم عند الباء ـ على رأي الشيخ ـ لأنَّ الميم صوت انسيابي السكون، والباء صوت غير انسيابي السكون؛ لأنَّه صوت قلقلة[٥].

ثالثاً: الإظهار: تظهر الميم الساكنة مع بقية الأصوات وتكون أشدّ إظهاراً مع صوتي الفاء والواو[٦].

---

١) الرعاية: ٣٦٠.

٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٦٤.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦٦.

٤) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٢٨.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٦-١٢٧.

٦) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٦٧.

الفصل الثالث

الظواهر الصوتية الخاصّة بالأصوات الصائتة عند الباحثين العراقيين

المبحث الأوّل

المدّ

المدُّ لغةً «الجَذب والمَطلُ. مَدَّه يَمُدُّه مَدًّا ومدَّ بِهِ فامتَدّ ومَدَّدَه فَتَمَدَّد، وتَمَدَّدناه بَينَنَا: مَدَدناه. وَفُلانٌ يُمادُّ فُلانًا، أَي: يُماطِلُه ويُجاذِبه»[١].

واصطلاحًا: «إطالة الصوت بالحرف الممدود»[٢].

والمدّ يكون في أصوات المدّ واللين، وهي الألف والواو المسبوقة بضمّ، والياء المسبوقة بكسر، وقد يبالغ في مدّ هذه الأصوات الثلاثة، وتكون هذه المبالغة لسبب لفظيٍّ أو معنويٍّ، فاللفظي، إمَّا همزة، وإمَّا ساكن، ويكون المدّ أيضًا في صوتي اللين، قال مكّي بن أبي طالب: «وإنَّما يكون المدُّ في هذه الحروف عند ملاصقتهنّ الهمزة أو ساكن مشدَّد أو غير مشدَّد... ويكون المدّ أيضًا في حرفي اللين إذا أتت قبلها فتحة، نحو: (شيء) و(سوء)»[٣].

إنَّ قول مكّي القيسي: وإنَّما يكون المدُّ في هذه الحروف عند ملاصقتهنّ الهمزة أو ساكن مشدَّد أو غير مشدَّد. يمكن اختصاره بالقول: عند ملاصقتهنّ الهمزة أو ساكن؛ لأنَّ أصل المشدّد هو حرف ساكن وحرف متحرِّك.

قال أبو عمرو الداني: «وأمَّا الممدود فعلى ضربين: طبيعي ومتكلّفٍ، فالطبيعي حقُّه أن يؤتى بالألف والياء والواو التي هي حروف المدّ واللين ممكناتٍ على مقدارِ ما فيهنّ من المدّ الذي هو صيغتهن، من غير زيادة ولا إشباع. وذلك إذا لم تلقَ واحدة منهن همزةً ولا حرفًا ساكنًا، والمتكلّف حقُّه أن يزاد في تمكين الألف والياء والواو على ما فيهنّ من المدّ الذي لا يُوصَل إلى النطق بهن إلاَّ به، من غير إفراط في التمكين ولا إسراف في التمطيط. وذلك إذا لقين الهمزات والحروف السواكن لا غير»[٤].

وأمَّا المعنوي فقد قال عنه ابن الجزري: «وأمَّا السبب المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قويّ مقصور عند العرب، وإن كان أضعف من السبب اللفظي عند القُرَّاء، ومنه مدّ التعظيم في نحو: (لا إله إلاَّ الله)، و(لا إله إلاَّ هو)، و(لا إله إلاَّ أنت)، وهو قد وَرَدَ عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى»[٥].

---

١) ينظر: لسان العرب: مادّة (مدد).

٢) بغية المستفيد في علم التجويد: ٣٠.

٣) الكشف: ١/١٣٠.

٤) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٠.

٥) النشر في القراءات العشر: ١/٢٦٨-٢٦٩.

وقد وَرَدَت ألفاظ كثيرة في القراءات القرآنية توضّح هذا الجانب منها ما رُويَ عن خلف عن سليمان: ﴿لَا رَيْبَۛ﴾ [البقرة: ٢]، و﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: ٢٢]، و﴿لَا شَيَةَ﴾ [البقرة: ٧١]، و﴿لَا خَيْرَ﴾ [النساء: ١١٤]، بالمدّ إذا لم يكن بعد (لا) ساكن[١].

وهذه المبالغة في المدّ هي للمبالغة في النفي، والواضح أنَّ المدّ بالصوت يعطي فائدةً إبلاغية للمتلقّي مفادها المبالغة في نفي حدوث ما بعد أداة النفي (لا) نفيًا قاطعًا، فقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١ـ٢]، مدُّ الصوت فيه يعطي انطباعًا لدى السامع بنفي الشكّ البتّة عن القرآن الكريم بما لا يدع مجالاً للمتشكّكين.

عَرَّف الشيخ جلال الحنفي المدَّ قائلاً: «المدُّ: هو جريان النَّفَس في حرف مدّيٍّ مسبوق بحرف هجائيّ متحرّك بحركة ملائمة للشكل المدّيّ ومسايرة له على أن يكون حرف المدّ هذا ساكنًا سكونًا انسيابيًّا، وإلاَّ امتنع وقوع المدّ فيه»[٢].

ويعني بالسكون الانسيابيّ: أصوات المدّ الثلاثة: (الصوائت الطويلة)، إذ قال: ولا يقع المدّ فيهنّ ما لم يكن الحرف الهجائي الممدود متحرّكًا بحركة ملائمة لحرف المدّ»[٣].

وأوضح الشيخ الحنفي أنَّ أنواع المدّ، هي:

١) ***المدُّ الطبيعي***: وينشأ هذا المدّ في المقطع الصوتيّ الزوجيّ المؤلَّف من صائت طويل يسبقه صامت، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، فكلمة (هوى) يتألّف المقطع الاخير منها من الصامت (الواو) والصائت الطويل (الألف)، أي:

/هـ ـَ/ و ـَ/.

وقد جمع المدّ الطبيعي في المقاطع الزوجية في كلمة (نوحيها).

ن ـُـ/ ح ـِـ/ هـ ـَـ/

ويرى الشيخ جلال الحنفي أنَّ المدّ الطبيعي أدقُّ مدٍّ بين المدود، «إذ لا يجوز أن يزيد مداه الزمنيّ على حركتين، أي: رفع إصبع وخفضها»[٤].

---

١) ينظر: المبهج: ١١/٢.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٧٣.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٧٣.

٤) المصدر نفسه: ٧٦.

ومن المدود التي تلحق بالمدّ الطبيعي:

أ. ***مدُّ الصلة***: «وهو مدّ يقع لضمير الغائب المفرد المذكَّر، وقد يقع لغير ذلك مثل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ﴾ [المزَّمِّل: ١٩]، ومن ذلك كذلك: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، فإنَّ الهاء في هذه من أوعية مدّ الصلة وإن لم تكن في الضمائر»[١].

وذكر الشيخ جلال الحنفي أنَّ شرط هذا المدّ أن يكون ما قبل الهاء متحرِّكًا غير ساكن، وتكون هذه الضمائر مقرونةً بواو أو ياء مقدّرتين[٢].

والواو والياء المقدّرتان، هم الحرفان اللذان لا وجود لهما في الرسم، ففي قوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]، تُمدُّ الهاء في (به) مدًّا طبيعيًّا؛ لأنَّ وراء الهاء ياءً غير مرئيّة أي: ياءً مقدّرة، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [القمان: ٢٠]، تمدُّ الهاء في (نِعَمَه) «مدًّا طبيعيًّا بسبب ما يعلق بها من واو مقدَّرة»[٣].

ممَّا تقدَّم من النماذج القرآنية، يَتبيَّن لنا أنَّ شرط مدّ الصلة هو أن يكون الضمير (الهاء) واقعًا بين متحرِّكين، وليس كما ذكر الشيخ جلال أنَّ شرطه أن يكون ما قبل الهاء متحرِّكًا غير ساكن، ففي قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٩]، سبق الضمير بمتحرِّك، ولكنَّه أُتبِعَ بساكن، فلم يتحقَّق فيه مدُّ الصلة، قال الشاطبيُّ:

وَلَمْ يَصِلُوا هَا مُضْمَرٍ قَبْلَ سَاكِنٍ ... وَمَا قَبْلَهُ التَّحْرِيكُ لِلْكُلِّ وُصِّلا

وَمَا قَبْلَهُ التَّسْكِينُ لِابْنِ كَثِيرِهِمْ ... وَفِيهِ مُهَانًا مَعْهُ حَفْصٌ أَخُو وِلا

لهاء الضمير أربعة أحوال:

الأُولى: أن تقع بعد متحرِّك وقبل ساكن، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ [التغابن: ١].

الثانية: أن تقع بين ساكنين، نحو قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥].

الثالثة: أن تقع بين متحرِّكين، نحو قوله تعالى: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

الرابعة: أن تقع بعد ساكن وقبل متحرِّك، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهِۛ هُدٗى﴾ [البقرة: ٢].

---

١) المصدر نفسه: ٧٨.

٢) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٧٨.

٣) المصدر نفسه: ٧٩.

أخبر الشاطبيُّ أنَّ القُرَّاء جميعًا لم يصلوا هاء الضمير إذا وقعت قبل ساكن سواء كان قبلها متحرِّك أو ساكن، ثُمَّ أخبر أنَّ هذه الهاء توصل لكُلّ القُرَّاء إذا وقعت بين متحرِّكين، ثُمَّ أخبر أنَّ القُرَّاء اختلفوا فيها إذا وقعت بعد ساكن وقبل متحرِّك، فقد انفرد ابن كثير بالصلة في جميع المواضع، ووافقه حفص عن عاصم الكوفي في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] فيقرؤه بالصلة، وباقي القُرَّاء يقرؤون بترك الصلة في جميع المواضع[١].

و«أُلحِقَ مدُّ الصلة بالمدّ الطبيعيّ؛ لأنَّه مبنيٌّ على ما بُنِيَ عليه المدُّ الطبيعي من وجود حرف مدّ غير مصحوب بسبب خارجيّ سوى ما حُدِّدَ لذلك من السكون الانسيابيّ، ومواءمة الحركات لحروف المدّ»[٢].

وأوضح الشيخ الحنفيّ أنَّ الهاءات الكائنة في بناء الكلمة لا مدَّ فيها، كالهاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، «فإنَّها لا تمُدُّ مدَّ صلة؛ لأنَّها من أصل حروف الفعل (ينتهي)»[٣].

في قوله تعالى: ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر: ٧]، تحقَّق شرط مدّ الصلة، فقد وقع الضمير (الهاء) بين متحرِّكين، لكنَّ المدّ تخلّف، وقُرِئَ ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ بغير مدٍّ، ويرى الشيخ جلال الحنفي أنَّ تخلّف المدّ هنا كان بسبب نغميّ إلقائي ليتبيَّن «أنَّ هاء الصلة ليست ضميرًا موقوفًا عليه، أي: (يرضى هُوَ)»[٤].

ذكر الشاطبيُّ أنَّ حفصًا وافق ابن كثير في مدّ الصلة في قوله تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، وهذا يعني أنَّ مدّ الصلة تحقَّقَ مع تخلّف شرط المدّ، فقد وقع الضمير بين الياء (الصائت الطويل) وهو عند القدماء حرف ساكن، وبين الميم المتحرِّك.

---

١) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ٦٧-٦٨.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٠.

٣) المصدر نفسه: ٨٠.

٤) المصدر نفسه: ٨٢.

وبيَّنَ الشيخ جلال الحنفي أنَّ مدّ الصلة في (فيه) يُعبِّر عن انغماس هذا الآثم في النار، والتعبير الصوتيّ يُجَسّد المعنى العقابي الذي يستحقّه[١].

ب. ***مدُّ التمكين:*** «وهو ما يقع عند تعاقب واوين أو ياءين على هيئة المدّ ووفق شروطه»[٢].

مثال ذلك في الياء قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ [ق: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾ [يس: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطفِّفين: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وفي الواو: قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وجاء في كثير من المصادر[٣] أنَّ شرط مدّ التمكين أن يكون الواو أو الياء مشدَّدةً، وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ التشديد ليس شرطًا لتحقُّق هذا المدّ[٤].

وذكر ألفاظًا غير قرآنية يتحقَّق فيها مدّ التمكين.

وهذه الألفاظ هي:

تَعْيِين، وتزْيِين، وتبْيِين، ومَعْنِيِّين، وأنانِيِّين.

ومنْسِيين، ويَرْعوُون، ويَرْتَوُون، ومَدْعُوُّون، ومُكتوُون[٥].

ت. ***مدّ البدل***: «وهو الذي يكون قبل حرف المدّ همز، ولا يكون بعده همز ولا سكون»[٦].

---

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٢.

٢) المصدر نفسه: ٨٢.

٣) ينظر: التجويد وآداب التلاوة: ٤٤، وهداية المستفيد في أحكام التجويد: ٢٣-٢٤، وقواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٢.

٤) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٢.

٥) المصدر نفسه: ٨٢-٨٣.

سكون»[١].

نحو: ﴿آمَنَ﴾ [البقرة: ١٣]، و﴿أُوتِيَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، و﴿إِيمَانًا﴾ [البقرة: ١٧٣]، وسُمِّيَ (مدّ البدل)؛ لأنَّ حرف المدّ فيه بدل من الهمزة الثانية الساكنة[٢]. فأصل آمن: أَأْمَن، أُبدِلَت الهمزة الثانية حرف مدّ ألفًا؛ لأنَّها من جنس حركة الهمزة الأُولى، وأصل أوتيَ، أُؤْتي، أُبدِلَت الهمزة الثانية حرف مدّ من جنس الضمّة، وأصل إيمان: إِئمان، أُبدِلَت الهمزة الثانية ياءً؛ لأنَّها من جنس حركة الهمزة الأُولى (الكسرة).

وتسمية (مدّ البدل) باعتبار الغالب، فقد يأتي بعد الهمزة حرف مدّ ليس بدلاً من الهمزة [٣]، نحو: ﴿قُرْآنَ﴾ [الإسراء: ٧٨]، و﴿إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، و﴿مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد بيَّنَ الشيخ جلال الحنفي أنَّ مدّ البدل هو «مدٌّ طبيعي لا غير، مثل آدم، وإيلافهم، وأُوذينا، واقرأُوا، وتسميته بمدّ البدل لا حصيلة فيها عندنا ولا طائل»[٤].

٢) ***المدُّ المتّصل:*** «وهو أن يأتي بعد حرف المدّ همزة متّصل به في كلمة واحدة»[٥].

وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ المدّ المتّصل هو مدّ طبيعي جاءت بعده همزة قطع في الكلمة نفسها، وفي هذا المدّ يصلح أن يتألّف من الصامت والصائت الطويل (المدّ))، والهمزة مقطع ثلاثي، نحو: (ماء): / م ـَـَ ء/[٦].

ولكنَّ الهمز قد يأتي في وسط الكلمة، نحو: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]، و﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٦]، وقد يأتي في آخرها، نحو: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، و﴿يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٩٠]، و﴿قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فإذا جاءت الهمزة في آخر الكلمة تألّف من الصامت والصائت الطويل والهمزة مقطع ثلاثي وقفًا، ولا يتحقَّق هذا المقطع وصلاً، فكلمة ﴿مَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ

---

١) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨٠.

٢) ينظر: بغية المستفيد في علم التجويد: ١٨١.

٣) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨١.

٤) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٤.

٥) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨١.

٦) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٣.

ٱلسَّمَآءِ مَآءَ﴾ [البقرة: ٢٢]، يتحقَّق فيها المقطع الثلاثي وقفًا، أي: / م ـَـَ ء/، ولكنَّه لا يتحقَّق فيها وصلاً، أي: / م ـَـَ ء/ء ـَ ن/.

وإذا جاءت الهمزة في وسط الكلمة نحو: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١]، فلا يتحقَّق فيها المقطع الثلاثي وصلاً ووقفًا، أي: /ل ـِ ل/ م ـَ/ل ـَـَ/ ء ـِ/ ك ـَ/ة ـِ/، وصلاً، و: /ل ـِ ل/م ـَ/ل ـَـَ/ ء ـِ/ ك ـَ ة/ وقفًا.

ولهذا أرى أنَّ ما ذهب إليه الشيخ جلال الحنفي في وصف المدّ المتّصل لا يشمل جميع حالات هذا المدّ.

٣) ***المدّ المنفصل***: «وهو ذات المدّ المتّصل غير أنَّ الهمزة التي تلي حرف المدّ تكون في كلمة أُخرى تَرِدُ تِلوَ لكلمة المختومة بحرف مدّ»[١].

وفي هذا المدّ لا يصلح أن يتألف من الصامت والصائت الطويل والهمزة مقطع ثلاثي، ففي قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، لا يُقال: (أتاءْ)؛ لأنَّ الهمزة بعد الصائت الطويل لا تكون مؤهَّلةً للنطق بها مع الصائت في مقطع ثلاثي واحد[٢].

وبيَّنَ الشيخ جلال الحنفي أنَّ المدّ المنفصل جوازيّ غير وجوبيّ، وأنَّ الجواز مرتبط بفهم معاني النصوص المقروءة[٣].

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ المدّ أو عدمه في المدّ المنفصل يحكمه الطريق، فإذا كانت القراءة القرآنية برواية حفص عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية وجب مدّ المنفصل؛ لأنَّ الشاطبيّ لم يروِ غير المدّ في رواية حفص عن عاصم، والتزام الطريق واجب على القارئ.

قال الشاطبيُّ[٤]:

إِذَا أَلِفٌ أَوْ يَاؤُهَا بَعْدَ كَسْرَةٍ ... أَوِ الْوَاوُ عَنْ ضَمٍّ لَقِي الْهَمْزَ طُوِّلا
فَإِنْ يَنْفَصِلْ فَالْقَصْرَ بَادِرْهُ طَالِبًا ... بِخُلْفِهِمَا يُرْوِيكَ دَرًّا وَمُخْضَلا
كَجِيءَ وَعَنْ سُوءٍ وَشَاءَ اتِّصَالُهُ ... وَمَفْصُولُهُ فِي أُمِّهَا أَمْرُهُ إِلَى

---

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٥.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥.

٤) الوافي في شرح الشاطبية: ٧٤.

وبيَّنَ الشيخ عبد الفتّاح القاضي أنَّ حاصل كلام الشاطبي في المدّ المنفصل هو «أنَّ للسوسي وابن كثير فيه القصر حركتين قولاً واحدًا، وأنَّ لقالون والدوري فيه القصر والتوسّط، وأنَّ لباقي القُرَّاء غير ورش وحمزة التوسّط أربع حركات، وأنَّ لورش وحمزة المدَّ ستّ حركات»[١].

قال القرطبي: «وإنَّما يختلف في الطول والقصر ـ يعني المدّ ـ باختلاف اللغات، ويزيد وينقص بحسب طرق القراءات»[٢].

وإذا تحقَّقَ شرط مدّ الصلة وجاء بعد ضمير الصلة (الهاء) همزة قطع في بداية الكلمة الثانية، يكون حكمه حكم المدّ المنفصل؛ «لأنَّه آتٍ على تقدير واو أو ياءٍ محذوفتين في الكتابة ظاهرتين في اللفظ»[٣]، نحو قوله تعالى: ﴿لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقّة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣].

٤) ***المدّ العارض***: ويُسمَّى (المدّ العارض للسكون العارض)[٤]: «وهو مدٌّ يقع بسبب سكون عارض غير بنائي، ولا يكون إلاَّ عند الوقف على المقطع الذي لا بُدَّ أن يكون ثلاثيًّا»[٥].

وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ هذا المدّ يكون في ما جذره مدّ طبيعي يأتي بعده حرف متحرِّك جرى له السكون من أجل الوقف، وهو مدٌّ جوازيٌّ، ويرى الشيخ الحنفي أنَّ قصر المدّ أو تمامه في المدّ العارض تحكمه طبيعة الألفاظ القرآنية المتلوَّة، وما يتحصّل منها من المعاني التي تتلاءم مع إطالة المدّ أو قصره إلى الحدّ الطبيعي[٦].

---

١) الوافي في شرح الشاطبية: ٧٤.

٢) المُوضح في التجويد: ١٣٥.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٧.

٤) ينظر: أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٩٣.

٥) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٨.

٦) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٩.

والمدّ العارض يقع مع أصوات المدّ جميعها، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١] ، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال الشاطبيُّ[١]:

وَعَنْ كُلِّهِمْ بِالْمَدِّ مَا قَبْلَ سَاكِنٍ وعِنْدَ سُكُونِ الْوَقْفِ وَجْهَانِ أُصِّلا

ذكر الشاطبيّ هنا السكون الذي يقع بعد حرف المد، وهو قسمان: سكون لازم لا ينفكّ عنه وصلاً ووقفًا، وسكون يعرض للحرف المتحرّك عند الوقف عليه، وبَيَّن في الشطر الثاني من البيت حكم القسم الثاني الذي يقع بعد سكون عارض عند الوقف، وخلاصة هذا الحكم أنَّ حرف المد يجوز فيه ثلاثة أوجه: القصر، والتوسّط، والمدّ[٢].

٥) ***المدُّ اللازم***: «وهو المدُّ الذي يكون السكون الكائن بعد حرف المدّ لازمًا غير عارض»[٣].

ويقع المدّ اللازم في المقاطع الثلاثية المؤلَّفة من ثلاثة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، وقع المدّ اللازم في المقطع الثلاثي (ضال)؛ لأنَّ سكون اللام فيه سكون بناء، أي: / ض ـَـ ل/.

وقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمن: ٥٦]، المدّ اللازم في المقطع الثلاثي (جَآنٌّ) وصلاً ووقفًا، أي: / ج ـَـ ن/.

---

١) الوافي في شرح الشاطبية: ٧٨.

٢) ينظر:الوافي في شرح الشاطبية: ٧٩-٨٠.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٨٩-٩٠.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، المدّ اللازم في كُلٍّ من المقطعين الثلاثيّين (وادّ) و(حادّ)، أي: /و ـَـَ د/، و/ح ـَـ د/[١].

أقسام المدّ اللازم

المدّ اللازم قسمان[٢]:

القسم الأوّل: المدّ اللازم الكلمي، وهو نوعان:

النوع الأوّل: الكلمي المثقّل: «وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن، سكونه لازم في كلمة مع إدغام ذلك الحرف الساكن في غيره فيصير حرفًا مشدَّدًا»[٣].

نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقّة: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافّات: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

النوع الثاني: الكلمي المخفَّف: «وهو الذي يكون فيه بعد حرف المدّ حرف ساكن سكونًا لازمًا في كلمة من غير إدغام هذا الحرف في غيره»[٤]، ووقع هذا المدّ في موضعين، وهما: قوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]، أي: (آلآنَ): /ء ـَـَ ل/ء ـَـَ/ ن ـَـ/.

القسم الثاني: المدّ اللازم الحرفي، وهو نوعان:

النوع الأوّل: الحرفي المثقّل: وهو «أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدّ والثالث ساكن مدغم في غيره»[٥]، نحو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١].

---

١) ينظر:قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٩٠-٩١.

٢) ينظر:بغية المستفيد في علم التجويد: ٣١.

٣) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨٦، وينظر: البرهان في تجويد القرآن: ٥٤.

٤) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨٧، وينظر: البرهان في تجويد القرآن: ٥٤.

٥) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨٧، وينظر: البرهان في تجويد القرآن: ٥٥.

النوع الثاني: الحرفي المخفَّف: «وهو أن يوجد حرف في فواتح بعض السور هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مدّ والثالث ساكن دون أن يدغم في غيره»[١]، نحو الميم من: ﴿الٓمٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، و﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، أي: /ص ـــ د/، و/ق ـــ ف/.

وعَدَّ الشيخ جلال الحنفي المدّ اللازم الحرفي مدًّا ملحقًا بالمدّ اللازم؛ «لأنَّه لا وجود للسكون اللازم في بنية الكلمة من حيث كونها كلمة واحدة، وإنَّما حدث المدُّ اللازم فيها بسبب اتّصال كلمتين بعضها ببعض، وليس هذا من عادة المدود اللازمة في الألفاظ»[٢].

٦) ***مدُّ اللِّين***: «ويقع في المقطع الثلاثي عند الوقوف عليه إذا كان مسبوقًا بياء أو واو مفتوح ما قبلها»[٣]. نحو: صَيف، ولَيل، وبَيت، وشَيء، ويَوم، ونَوم، وخَوف.

ومن نماذج مدّ اللين في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١ـ٤].

ويتحقَّق مدّ اللين في حالة الوقوف على مثل هذه الألفاظ، ولا يجوز مدّ اللين في غير حالة الوقوف، فمَنْ قرأ بمدّ اللين عند الوصل فقد أخطأ ولَحَنَ، وكثيرًا ما يقع مدّ اللين لدى بعض المقرئين في الدرج، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النمل: ٦١]، إذ يمدّون كلمة (بين)، وكذلك كلمة (البحرين) مدّ لين، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]، فيمدّون (بيني) وكذلك (بينك) و(المشرقين) مدّ لين[٤].

وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ مدّ اللين يختلف عن سائر المدود؛ لأنَّه «ليس من فئة المدّ الطبيعي الذي يشترط في حروف مدّه أن يكون ما قبلها محرَّكًا بحركة ملائمة لنوعيّة

---

١) أحكام قراءة القرآن الكريم: ١٨٨، وينظر: البرهان في تجويد القرآن: ٥٥.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٩١.

٣) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٩٢.

٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩٣-٩٤.

حروف المدّ... وبذلك خرج مدّ اللين على قاعدة المدّ الطبيعي والمدود الأُخرى، التي قامت على جذره وعلى ذات قاعدته»[١].

٧) ***مدّ العِوَض***: «وهو أن يُقلَبَ التنوين إلى ألف»[٢]، نحو: (سميعًا)، و(بصيرًا).

❖ ❖ ❖

١) المصدر نفسه: ٩٤.

٢) المصدر نفسه: ٩٤.

المبحث الثاني

سقوط أحرف المدّ وصلاً

توطئة:

الحرف: «الطرف والجانب، وبه سُمِّيَ الحرف من حروف الهجاء»[١].

والحرف: «من كُلّ شَيْء طرفه وجانبه، وَيُقَال: فلان على حرف من أمره: نَاحيَة مِنْهُ إِذا رأى شَيْئًا لا يُعجبهُ عدل عَنهُ، وفي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[٢]، أَي: يعبده في السَّرَّاء لا في الضراء، وَمن الدَّوَابّ الضامرة الصلبة، وكُلّ وَاحِد من حُرُوف المباني الثَّمَانِية وَالْعِشْرين الَّتِي تتركَّب منهَا الكَلِمَات، وتُسمّى حُرُوف الهجاء، وكُلّ وَاحِد من حُرُوف المعاني، وَهي الَّتي تدلّ على معَانٍ في غَيرهَا وتربط بَين أجزاء الكَلام، وتتركَّب من حرف أَو أَكثر من حُرُوف المباني، وَهي أحد أَقسَام الكَلمة الثَّلاثة من اسم وَفعل وحرف، يُقَال: هَذَا الْحَرْف لَيْسَ في لِسَان الْعَرَب، واللُّغة واللَّهجة، وَمِنه الحَديث: (نزل الْقُرْآن على سَبْعَة أحرف)»[٣].

وأحرف المدّ: هي الألف والياء والواو التي تُسبَق بحركةٍ من جنسها، والألف لا تكون إلاَّ ساكنة ولا يكون قبلها إلاَّ مفتوحًا، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها.

فالواو لا تكون حرفَ مدٍّ ولين إلاَّ بشرطين:

١. أن تكون ساكنة.

٢. أن تكون حركة ما قبلها من جنسها، أي: ضمّة، فإذا كانت متحرِّكة أو كانت ساكنةً، وحركة ما قبلها ليست من جنسها، بأن كانت فتحةً فلا تكون حرف مدٍّ ولين.

وكذلك الياء لا تكون حرف مدٍّ ولين إلاَّ بشرطين:

٣. أن تكون ساكنة.

٤. أن تكون حركة ما قبلها من جنسها، أي: كسرة، فإذا كانت متحرِّكة أو كانت

---

١) لسان العرب: مادّة (حرف).

٢) سورة الحجّ: ١١.

٣) المعجم الوسيط مادّة (حرف).

ساكنةً، وحركة ما قبلها ليست من جنسها، بأن كانت فتحةً فلا تكون حرف مدٍّ ولين.

فموضوعنا إذن: هو الألف، والواو المسبوقة بالضمّة، والياء المسبوقة بالكسرة.

من المعروف أنَّ الكلمة تنتهي في أبسط صورها إلى الصوت اللُّغويّ ووصف الصوت بأنَّه لُغويّ؛ حتَّى لا يختلط بالأصوات غير اللُّغويّة.

فالكلمة إذن تتكوَّن من أصوات لُغويّة بالمعنى المصطلح عليه، وهذا الاصطلاح هو الذي يفرِّق بين لغة وأُخرى، فكُلّ قومٍ اصطلحوا على مجموعة من الأصوات يُعبِّرون بتأليفها عن أغراضهم.

وتختلف الصوامت عن الحركات في أمرٍ جوهري، هو طريقة انتاجها، فالحركات «أصوات انطلاقية تحدث عن ذبذبة الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها، وليس للفم من دور في إنتاجها سوى اتّخاذه شكلاً مُعيَّنًا[١] باعتباره غرفة رنين تُعطي الصوت المارَّ بها طابعًا خاصًّا»[٢].

والحركات في لغتنا العربية هي:

١. الفتحة: وتكون مفخّمة مع الأصوات المستعلية، وهي: (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والقاف، والغين، والخاء)، ومع الراء، ولام لفظ الجلالة إن سُبِقَت بفتحٍ أو ضمٍّ، وتكون مرقَّقةً مع بقية الصوامت.

٢. الكسرة.

٣. الضمّة.

والحركات الثلاث هي التي تتولَّد عنها أحرف المدّ الثلاثة، الألف، والياء، والواو، وذلك بإشباع هذه الحركات، ولهذا فإنَّ المحدَثين يطلقون على أحرف المدّ مصطلح (الحركات الطويلة).

---

١) في حالة الواو يرجع اللسان قليلاً إلى الخلف وتستدير الشفتان.

٢) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٣٩.

وحقيقة أحرف المدّ بالنسبة للحركات قد أدركها القدماء، فقد بيَّنَ ابن جنّي ذلك كُلّه في قوله: «اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمّة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو، وقد كان متقدِّمو النحويّين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمّة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هُنَّ حروف نوامٌّ كوامل، قد تجدهنّ في بعض الأحوال أطول وأتمَّ منهنَّ في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهنَّ امتدادًا واستطالةً ما، فإذا أوقعت بعدهنَّ الهمزة أو الحرف المدغم، ازدَدْنَ طولاً وامتدادًا، وذلك نحو: يشاء، ويداء، ويسوء، ويهوء، ويجيء، ويفيء»[١].

ويرفض المحدثون فكرة الحركة التي تسبق حرف المدّ؛ لأنَّهم يَعُدُّون ـ كما تقدَّم ـ حرف المدّ حركةً طويلةً، فإذا كانت الكلمة تنتهي بحرف صحيح فهو من بنية الكلمة، وأمَّا إذا انتهت بحرف المدّ فالكلمة تنتهي ـ بحسب رأيهم ـ بحركة طويلة.

ويرى الدكتور عبدالصبور شاهين أنَّ حذف حرف المدّ من آخر الكلمة المعتلّة في حالة الجزم، هو اختصار الحركة الطويلة إلى قصيرة، فهو يرى أنَّ أصوات العلّة هي حركات عين الفعل، بمعنى أنَّ هذه الكلمات ثنائية البنية، ومَثَّلَ لرأيه هذا بالكلمات: (يسعى، ويدعو، ويرمي).

وأعطى نماذج لهذه الفكرة، فقارن بين الفعل المضارع الصحيح الآخر (يكتب، وبين الأفعال المضارعة المنتهية بأحرف العلّة: (يسعى، يدعو، يرمي)، وكتب في ذلك:

يكتب yaktub-u لم يكتب yaktub المحذوف u

يسعى yasa-a لم يسعَ yasa المحذوف a

يدعو yadu-u لم يدعُ yadu المحذوف u

يرمي yarmi-i لم يرمِ yarmi المحذوف i

---

١) سرّ صناعة الإعراب: ٣٣/١.

يقول الدكتور عبدالصبور شاهين: «وبحذف حركة قصيرة من آخر الفعل الصحيح انتهى بصوت الباء، ولكنَّه في الأفعال الثلاثة الأُخرى انتهى بالنصف الثاني من الحركة الطويلة، وهو يُمثّل بمنهجنا حركة العين، ولا علاقة للمحذوف أو المتبقّي بلام الكلمة»[١].

عندما تنتهي كلمة بحرف مدّ وتأتي بعدها كلمة مبدوءة بحرف ساكنٍ، ففي هذه الحالة يسقط حرف المدّ (الصائت الطويل) من الكلمة المنتهية به إذا كان اللفظ متّصلاً بين الكلمتين، أمَّا إذا وقف المتكلّم على الكلمة المنتهية بحرف المدّ فلا يسقط هذا الحرف من اللفظ، نحو قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فإنَّ الوصل بين الكلمتين (يؤتي الحكمة) يؤدِّي إلى سقوط الياء (الصائت الطويل) من كلمة (يؤتي)، ويكون مقطع اتّصال الكلمتين (تِل) باتّصال التاء مع لام التعريف، أي: تِلْ /ت ـِ ل/، ومقاطع كلمة (يؤتي) وقفًا هي: /ي ـُ ء/ ت ـِـ/، نلحظ أنَّ المقطع الأخير ينتهي بصامت وصائت طويل.

والمقاطع وصلاً هي: /ي ـُ ء/ ت ـِ ل/ح ـِ ك/ م ـَ/ ة ـَ/، نلحظ أنَّ مقطع اتّصال الكلمتين /ت ـِ ل/، يتألف من صامتين بينهما صائت قصير، وهذه الحركة القصيرة (الصائت القصير)، هي اختصار للحركة الطويلة (الصائت الطويل) بسبب الوصل؛ لأنَّها لاقت ساكنًا.

وقد تناول الشيخ جلال الحنفي حالات تخلّف المدّ الطبيعي في الألف والواو والياء، ومنها تخلّف مدّ هذه الأصوات إذا تلتها همزة وصل، نحو قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً﴾ [الفرقان: ٤١]، فإنَّ المدّ الطبيعي في (هذا) تخلّف بسبب الساكن (لام التعريف)، فصار يُلفَظ (ذَلْ)،أي: /ذ ـَ ل/، ومقاطع كلمة (هذا) وقفًا هي: /هـ ـَـ/ذ ـَـ/، ولكن بسبب اتّصال الكلمة بالساكن (اللام) أصبح مقطع اتّصال الكلمتين /ذ ـَ ل/، يتألّف من صامتين بينهما صائت قصير (الفتحة)، هو اختصار الصائت الطويل (الألف).

ومن نماذج تخلّف الواو والياء، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، نلحظ أنَّ مقاطع كلمة (تجعلوا) وقفًا هي: /ت ـَ ج/ ع ـَ/ ل ـُـ/، وعند اتّصال هذه الكلمة بلفظ الجلالة يتخلّف مدّ الواو، أي: /و ـَ/ ل ـَـ/ت ـَ ج/ع ـَ/ل ـُ ل/ ل ـَـ هـ/،

---

١) المنهج الصوتي للبنية العربية: ١٨-١٩.

نلحظ أنَّ مقطع اتّصال الكلمتين هو: /ل ـُـ ل/، يتألَّف من صامتين بينهما صائت قصير، يُمثّل اختصار الصائت الطول (الواو) بسبب اتّصال الكلمتين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥]، نلحظ أنَّ مقاطع كلمة (والمقيمي)، هي: /و ـَـ ل/م ـُـ/ ق ـِـ/ م ـِـ/، وقفًا، أمَّا وصلاً فمقاطع الكلمة هي: /و ـَـ ل/م ـُـ/ ق ـِـ/ م ـِـ ص/ص ـَـ/ل ـَـَـ ة/، نلحظ تخلّف المدّ في كلمة (المقيمي) بسبب وجود الساكن في بداية الكلمة الثانية ومقطع اتّصال الكلمتين هو: /م ـِـ ص/، يتألّف من صامتين وصائت قصير، هو اختصار الصائت الطويل.

وفي الكتاب العزيز جاءت كلمات رُسِمَت تبعًا للّفظ في حال الوصل، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ﴾ [الروم: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ [النمل: ١٨]، فقد حُذِفَت الياءات في الخطّ القرآني؛ لأنَّها محذوفة في الأداء الصوتي[١].

وفي ألفات المدّ، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وفي الواوات نحو قوله تعالى: ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ﴾ [الإسراء: ١١].

ويرى الشيخ جلال الحنفي أنَّ تخلّف المدّ الطبيعي يُرَدّ إليه «تعليل كتابة ألفاظ في المصحف مجرّدة من حروف المدّ»[٢].

ذكرنا أنَّ الفتحة تكون مفخّمة مع لام لفظ الجلالة إذا سبقت بفتحٍ أو ضمٍّ، أي: أنَّ لام لفظ الجلالة تفخَّم إذا سُبِقَت بفتح أو ضمٍّ، وقد تناول الدكتور غانم قدّوري الحمد حالات ترقيق لام لفظ الجلالة وتفخيمها، وبيَّنَ أنَّ الأصل في اللام في العربية أن تكون مرقَّقة، وتفخَّم لام لفظ الجلالة إذا سُبِقَت بضمٍّ أو فتحٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الأحزاب: ١٥].

وذهب الدكتور غانم قدّوري إلى أنَّ الألف وواو المدّ مثل الفتحة والضمّة في إيجاب التفخيم[٣]، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾

---

١) ينظر:قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٠٠.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ١٠٠.

٣) ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة: ١٣٩.

[العنكبوت: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ [الرعد: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

أرى أنَّ الألف والواو المدِّيتين ليس لهما وجود في اللفظ وصلاً، وإنَّما وجودهما في الرسم فقط؛ لأنَّ أحرف المدّ ـ كما بيَّنَّا ـ تسقط في الدرج إذا لاقت صوتًا ساكنًا في بداية الكلمة التالية لها، في مثل: (رزقها الله) فكلمة (رزقها) وقفًا: /ر ـِ ز/ق ـَ/ هـ ـَـَ/، ووصلاً: /ر ـِ ز/ق ـَ/هـ ـَ ل/ل ـَـ/هـ ـُ/.

وكذلك (إلى الله) فكلمة (إلى) وقفًا: /ء ـِ/ل ـَـَ/، ووصلاً: /ء ـِ/ل ـَ ل/ل ـَـ /هـ ـِ/.

وكذلك (يمحو الله) فكلمة (يمحو) وقفًا: /ي ـَ م/ح ـُـُ/، ووصلاً: /ي ـَ م/ح ـُ ل/ل ـَ /هـ ـُ/.

وكذلك (واتّقوا الله) فكلمة (واتّقوا) وقفًا: /و ـَ ت/ت ـَ/ق ـُـُ/، ووصلاً: /و ـَ ت/ت ـَ/ق ـُ ل/ل ـَ /هـ ـَ/.

ولهذا ليس هناك مسوِّغٌ لذكر الألف والواو في موضوع تفخيم لام لفظ الجلالة، وإن ذكرتا فلا بُدَّ من توضيح ما قلنا.

والقاعدة الصحيحة هي: إذا جاءت قبلها ضمّة أو فتحة تُفخَّم، وإذا جاءت قبلها كسرة تُرقَّق.

وذكر الدكتور غانم أنَّ لام لفظ الجلالة تُرقَّق إذا كان قبل لفظ الجلالة كسرة أو ياء مدّ[1]، نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحجّ: ٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ﴾ [التحريم: ٨].

وأرى أنَّ ذكر الياء المدِّيّة هنا ليس له حاجةٌ؛ لأنَّ الياء تسقط وصلاً، ويكتفي الناطق بلفظ الكسرة، ففي آية سورة الحجِّ (في الله) يكون مقطع كلمة (في) وقفًا: /ف ـِـِ/، ووصلاً: /ف ـِ ل/ل ـَ/هـ ـِ .

وكذلك في آية سورة التحريم: (لا يخزي الله) تكون مقاطع كلمة (لا يخزي) وقفًا: /ل ـَـَ/ي ـُ خ/ ز ـِـِ/، ووصلاً: /ل ـَـَ/ي ـُ خ/ ز ـِ ل/ل ـَ /هـ ـُ/.

---

١) ينظر:علم التجويد دراسة ميسّرة: ١٣٩.

ذكر الخليل أنَّ مجيء صامت ساكن بعد صائت طويل يؤدِّي إلى سقوط هذا الصائت، إذ قال: «ومن تبيان ذلِك أنَّ الألف اللينة وَاليَاء بعد الكسرة وَالوَاو بعد الضمة إِذا لقيهنّ حرف سَاكن بعدهنّ سقطن، كَقَولِك: عبد اللّه ذُو العِمَامَة، كَأَنَّك قلت: ذُل. وَتقول: رَأَيت ذَا العِمَامَة، كَأَنَّك قلت: ذَل. وَتقول: مررتُ بِذِي العِمَامَة، كَأَنَّك قلت: ذِل. ونحو ذلك كذلك في الكَلام»[١].

يَتبيَّن من كلام الخليل أنَّ سقوط الصائت الطويل يتحقَّق إذا جاء بعد هذا الصائت صامت ساكن في كلمة تالية للكلمة التي تنتهي بالصائت الطويل.

ويرى الدكتور المطّلبي أنَّ ما ذهب إليه الخليل في النصّ السابق واضح الخطأ؛ لأنَّ الصائت الطويل لا يسقط هنا، بل يقلّ كمّية فيصير إلى صائت قصير، وهذا الخطأ يرجع إلى تصوّره أنَّ الصائت الطويل هو صوت مدّ مسبوق بحركة من جنسه، فكأنَّ الخليل قد تصوّر هذا السقوط فعلاً، وأنَّ ما بقي هي الحركة المجانسة لصوت المدّ[٢].

نلحظ من كلام الخليل أنَّ سقوط أحرف المدّ يؤدِّي إلى تغيير مقاطع اتّصال الكلمات، وهناك حالات أُخرى تؤدِّي إلى تغيير مقاطع اتّصال الكلمات، منها: تحريك الساكن، ونقل حركة الهمز.

١) تهذيب اللُّغة: ٥٢/١، وينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٧٦.

٢) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٧٦.

المبحث الثالث

تحريك الساكن

قَسَّمَ علماء التجويد السكون على نوعين: سكون حيّ، وسكون ميِّت، ويعنون بالسكون الميّت سكون أصوات المدّ، الألف والواو والياء، ويعنون بالسكون الحيّ سكون بقية الأصوات الصحاح (الصوامت)[١].

وقد أشار الدكتور غانم قدّوري الحمد إلى أنَّ أوّل مَنْ ذكر هذا التقسيم من علماء التجويد هو ابن الطحّان، وقد بيَّنَ ابن الطحّان المراد من هذين النوعين في قوله: «وأمَّا حدُّ السكون، فالسكون نوعان: حيٌّ وميّت.

فالحيُّ: هو الذي يتهيّأ له العضو ويأخذه فيُسمَع قرعُه به، مثل (حُكْم) و(غَيْر)، فأنت تجد (الكاف)، و(الياء) ظاهرتي الجسم والقرع، لإعمال العضو فيهما، كما يعمل في المُحرَّك، مثل (حَكَمَ)، و(مَيَلَ)، والمتحرَّك حيٌّ، فكذلك السكون الذي يوجد فيه أخذُ العُضو إيَّاه حيٌّ أيضًا.

والسكون الميّت لا يكون إلاَّ في حروف المدّ واللين الثلاثة، في الألف الثابتة السكون، وفي الواو بعد الضمّ، وفي الياء بعد الكسر»[٢].

وأطلق الشيخ جلال الحنفي على نوعي السكون مصطلحَي (السكون الانسيابيّ، والسكون غير الانسيابيّ، ويعني بالسكون الانسيابيّ المدود القائمة على جذر المدّ الطبيعي، وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ هذا السكون ليس له وجود في رسم القلم، نحو: رَسُول، وخَجُول، وسلِيم، وجليل، وقال، وقام، ويعني بالسكون غير الانسيابيّ سكون الأصوات الصحاح[٣].

أهمِّية السكون

للسكون أهمِّية في[٤]:

١. تطييب الجرس الصوتيّ في الأسماع.

---

١) ينظر: مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٧٨.

٢) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٧٨، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٧٧.

٣) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧٤ و٣٣٨.

٤) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧٣.

٢. وضع حَدٍّ لنهايات الألفاظ والجمل وحالات الوقف.

٣. الوصول إلى الأنغام والألحان وقرض الشعر، قال حازم القرطاجنِّي: «وجعلوا الاعتماد على السواكن وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحرِّكاته على النحو المناسب وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع المقدَّرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوّة والجزالة عند توقُّع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه، فإذا تُلوفِيَ ذلك في مظانّ تلافيه طاب الكلام واعتدل»[١].

٤. تقويم الألسنة وإساغة الكلام في الأسماع.

أنواع السكون ومواقعه

أوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ السكون لا يقع إلاَّ في المقاطع الزوجية؛ لأنَّ الحرف الساكن يتِّكئ على حرف متحرِّك يسبقه، وقد أوصل الشيخ الحنفي أنواع السكون إلى ثمانين نوعًا.

وتتلخَّص مسألة السكون عند الشيخ جلال الحنفي بما يأتي:

١. قد يقع الحرف ساكناً منذ وضعه «أي: منذ ظهر على هيئته في مفردات اللُّغة»[٢]، وهذا لا يجوز تحريكه.

٢. هناك سكون يخالطه شيءٌ من الإشمام وغيره، وهناك سكون صريح لا يخالطه شيءٌ كإدغام الميم الساكنة في مثيلتها، وسمّاه الشيخ الحنفي بـ(سكون الغُنّة)، وكذلك هناك سكون صريح ولكن لا تخالطه غُنّة، وهو سكون النون المظهرة[٣].

---

١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٥١، وينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٣٨.

٢) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٧٣.

٣) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٢٨٣.

٣. سكون الأصوات الذي يُعَدُّ سكونها من السكونات الانسيابية، ويقصد به الشيخ الحنفي إعطاء بعض الأصوات حقّها من الصفة، نحو صوت: الحاء، والعين، والخاء[١].

٤. سكون الأصوات التي تصاحبها صفات صوتية، إذ يجب تحاشي الانجراف في تيارها عند اللفظ، كصفة تكرير الراء، وتفشّي الفاء، واهتزاز الزاي[٢].

٥. يرى الشيخ أنَّ سكون الأصوات سكون جبلّي؛ لأنَّنا «ننطق الحرف مُجرَّدًا من الحركة، ثُمَّ نُبرز الحركة التي نريدها عليه، إذ لا تكون الحركة قبل الحرف ولا معه»[٣].

٦. حين يجهل المتكلّم كيف تكون نهايات الكلمات من رفع ونصب وجرٍّ، فإنَّه يسكّنها، كمَنْ يقول: مُحمّدْ يَذهَبْ إلى السوقْ كُلْ يومْ، فيُسكّن الدال من (مُحمّد) والباء من (يذهب)، وسمّاه الشيخ جلال بـ(سكون اللحن)[٤].

٧. هناك أصوات يكون في سكونها شيءٌ من الاستدامة، ويتحقّق هذا السكون في أصوات: الشين، والفاء، والثاء، والظاء، والذال، وسمّاه الشيخ بـ(سكون التفشّي)[٥].

٨. قد يُسكِّن المتكلّم لإيجاد وحدة وتجانس صوتيّ بين الألفاظ المختلفة الحركات، نحو: ليس في الإمكانْ، أَبْدَعُ ممَّا كانْ، وسمّاه الشيخ الحنفي بـ(سكون المجانسة)[٦].

٩. سَمَّى الشيخ تسهيل الهمز بـ(سكون التسهيل)[٧].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٠-٢٩١.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٢.

٣) المصدر نفسه: ٢٩٥.

٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٦.

٥) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٠٣.

٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣١٢.

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٦.

١٠. سكون المقصورات والمنقوصات وضمير التثنية، نحو: الفتى، والقاضي، وقَدِما[١].

١١. سكون قطع الإضافة، نحو قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦][٢].

١٢. سكون السكت: وهو السكون على لام التعريف قبل الهمزة، نحو: الأرض، والأمر، وهو مشهور في قراءة حمزة الكوفي[٣].

١٣. السكون بسبب كَثرَة الحركات: وهو تسكين العين من كلمة (عشر) لطول الاسم و كَثرَة الحركات، من: أحَدَ عْشَرَ إلى تِسْعَةَ عْشَرَ[٤].

١٤. قد يقلقل المتكلّم بعض الأصوات الساكنة، نحو: الميم في نَعَمْ، وأَقمْ، والسلامْ، عند إسكانها، وكذلك اللام في نحو: عَمَلْ[٥].

١٥. قد يُسكِّنُ المؤذّنُ بعض جمل الأذان، نحو: (اللّهُ أكبرْ اللّهُ أكبرْ)، وإن لم يكن توقّف بين الجملتين، وسَمَّى الشيخ جلال الحنفي هذا السكون بـ(سكون الآذان)[٦].

إذا التقت كلمتان تبدأ الثانية بساكن وتنتهي الأُولى بساكن، فالأصل أن يُحرَّك الساكن الذي انتهت به الكلمة الأُولى بالكسرة، وهو الذي يُسمَّى الكسر العارض للسكون، ولكن قد يُحرَّك هذا الساكن بالضمّ أو الفتح.

فالتحريك بالكسر نحو: كتبت البنتُ الدرسَ، ونحو: (زلزلتِ الأرض)، في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، ونحو (أمِ السماء) في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧].

---

١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٨.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣١.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٩.

٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٢.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣٥.

٦) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٣٣٧.

ومن التقاء الساكنين التقاء نون التنوين بالساكن من أوّل الكلمة التالية، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ـ٢]، فمقطع اتّصال الكلمتين هو (نِلْ) بكسر النون من كلمة (أحدٌ) ووصلها باللام من لفظ الجلالة، وهو مقطع يتألّف من صامتين بينهما صائت قصير، أي: /ن ــِ ل/.

ويُحرَّك ميم الجمع بالضمِّ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، فمقطع اتّصال الكلمتين (بهمُ الأسباب) هو (مُلْ)، وهو كسابقه مقطع يتألّف من صامتين بينهما صائت قصير، أي: /م ــُ ل/.

ويُفتَح الساكن من الكلمة الأُولى، نحو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ـ٢].

فُتِحَت ميم الآية الأُولى عند الوصل مع لفظ الجلالة من الآية الثانية، فيكون المقطع: (مَلْ)، ويتألّف من صامتين بينهما صائت قصير، أي: /م ــَ ل/.

قال الفَرَّاء: «وإنَّما قرأت القُرَّاء (آلم اللَّهُ) في آل عِمْران، ففتحوا الميم؛ لأنَّ الميم كانت مجزومة لنيّة الوقفة عليها، وإذا كان الحرف يُنوَى به الوقوف نُوِيَ بما بعده الاستئناف، فكانت القراءة (ال مَ الله) فتركت العرب همزة الألف من (الله) فصارت فتحتها في الميم لسكونها، ولو كانت الميم جزمًا مستحِقًّا للجزم لكسرت، كما في ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٧]»[١].

وذكر الدكتور مُحمّد حسين آل ياسين أنَّ الكوفيين اعتمدوا على هذه القراءة في جواز نقل حركة همزة الوصل، ونقل الكسائي قراءة بعض العرب: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى﴾ [ق: ٢٤ـ٢٥]، بنقل حركة همزة (الذي)، وقراءة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ﴾ [الفاتحة: ١ـ٢]، بنقل حركة همزة (الحمد)، وقرأ أبو جعفر المدنيّ وهو من القُرَّاء العشرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤]، بنقل حركة همزة ﴿ٱسْجُدُواْ﴾[٢].

وتُكسَرُ النون الساكنة في حرف الجرِّ (عن)، وتُفتَح في حرف الجرِّ (مِن) إذا جاءت بعد هذين الحرفين كلمة تبدأ بساكن، وقد بيَّنَ ابن خالويه علّة ذلك في قوله: «فإن قِيلَ: لِمَ فُتِحَت النون في قولك: (منَ الشيطان) وكسرت النون في قولك: (عنِ الشيطان)؟ فالجواب في

---

١) معاني القرآن: ٩/١.

٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ مسألة ١٠٨، والدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: ٣٦٩.

ذلك: أنَّ النون حُرِّكَت فيهما لالتقاء الساكنين، غير أنَّهم اختاروا الفتح في (من) لانكسار الميم، واختاروا الكسر في (عن) لانفتاح العين»[١].

فالمقطع في (مِنَ الشيطان)، هو (نَشْ)، أي: /ن ـــَ ش/، ومقطع اتّصال الكلمتين في (عنِ الشيطان) هو (نِشْ)، أي: /ن ـــِ ش/، وهما مقطعان متألِّفان من صامتين بينهما صائت قصير.

ومن التقاء الساكنين، التقاء حرف اللين الساكن ـ الواو والياء الساكنين المفتوح ما قبلهما ـ بالساكن من أوّل الكلمة التالية، فيُحرَّك الواو بحركة من جنسه، وهي الضمّ.

يُحرَّك الواو بالضمّ، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، ويكون مقطع اتّصال الكلمتين: (اشتروا الضلالة)، هو (وُضْ)، أي: /و ـــُ ض/.

ويُحرَّك الواو بالكسر، نحو قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٢]، ويكون مقطع اتّصال الكلمتين (لو استطعنا) هو (وِسْ)، أي: /و ـِ س/، وهما مقطعان يتألَّفان من صامتين بينهما صائت قصير.

ومن أمثلة تحريك الياء بالكسر: أيّتها البنتُ ارقَي المراتب.

فيكون مقطع اتّصال الكلمتين: (ارقَي المراتب)، هو (يِلْ)، أي: /ي ـــِ ل/، ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، ويكون المقطع في (طرفي النهار)، هو (يِنْ)،أي: /ي ـــِ ن/، وهما مقطعان يتألِّفان من صامتين بينهما صائت قصير.

❖ ❖ ❖

١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ١٧.

المبحث الرابع

نقل حركة الهمز

إذا انتهت كلمة بساكن وجاءت بعدها كلمة تبدأ بهمزٍ مُتحرِّك، تُنقَل حركة الهمز إلى الساكن قبلها، وذلك في حال الوصل بين الكلمتين.

وقد نَقَلَ لنا علماء القراءة نَقْلَ حركة الهمز، ومنهم الشاطبيُّ، ومن أشهر القراءات في هذا، قراءة وَرش عن نافع المدنيّ.

قال الشاطبيُّ[١]:

وَحَرِّكْ لِوَرْشٍ كُلَّ سَاكِنِ آخِرٍ صَحِيحٍ بِشَكْلِ الْهَمْزِ واحْذِفْهُ مُسْهِلا

بيَّنَ الشاطبي أنَّ ورشًا ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبله ـ ضمّة أو فتحة أو كسرة ـ بثلاثة شروط:

١. أن يكون الحرف المنقول إليه حركة الهمز ساكنًا.

٢. أن يكون الساكن آخر الكلمة والهمز أوّل الكلمة التي تليها.

٣. أن يكون هذا الحرف الساكن صحيحًا، ويدخل فيه حرفا اللين.

فإذا تحقَّقَت هذه الشروط فإنَّ ورشًا ينقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، ويحذف الهمز فيتحرَّك الحرف الساكن بحركة الهمز، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، فيكون المقطع في ﴿كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (نَ) بنقل فتحة الهمزة إلى النون، وهو مقطع قصير، أي: /ن ـَ/، وتسقط الهمزة.

إذا نُقِلَت حركة الهمزة من الكلمة اللاحقة إلى الواو والياء المدّيتين في نهاية الكلمة السابقة قُلِبَتا من صائتين إلى صامتين يتحرّكان بحركة الهمز المحذوف، قال سيبويه: «وتقول في أبي إسحاق وأبو إسحاق: أبيسحاق وأبو سحاق. وفي أبي أيُّوب: وذو أمرهم: ذومرهم وأبي يُّوب، وفي قاضي أبيك: قاضي بيك، وفي يغزو أمَّه: يغزومَّه»[٢].

وقال: «وكذلك سمعنا العرب الذي يخفِّفون يقولون: اتَّبعومره. وتقول: اتبَّعي مره، صارت كياء يرمي حيث انفصلت ولم تكن مدَّةً في كلمة واحدةٍ مع الهمزة»[٣].

---

١) الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: ١٠٣.

٢) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ٦٣.

٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤.

وترى الدكتورة مي الجبوري أنَّ ما يحدث في مسألة حذف الهمزة ونقل الحركة إلى الساكن قبلها ـ في نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] ـ ليس نقل حركة، وإنَّما هو سقوط الهمزة، وهي قاعدة المقطع الأُولى، وتبقى الفتحة التي بعدها في بداية المقطع، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ المقطع في العربية لا يبدأ بقمّة، فينتقل الساكن الذي قبل الهمزة ليحلّ محلّ الهمزة، ويصير قاعدةً أُولى لهذا المقطع، وانتقال الساكن إلى المقطع بعده لا يترك اختلالاً في المقطع الذي كان فيه.

أي: /ش ـَ ي/ء ـِ ن/ء ـَ ح/، /ء ×/ ← /ش ـَ ي/ء ـِ/ ن ـَ ح/ [١].

وفي حال سقوط الهمزة وقبلها لام التعريف، نحو كلمة (الآخرة)، تنتقل لام التعريف الساكنة ـ وهي قاعدة المقطع الثانية ـ من المقطع الأوّل لتصير قاعدة أُولى لمقطع الهمزة الساقطة، فلا تبقى الفتحة وحدها.

أي: /ء ـَ ل/ء ـَـَ/خ ـِ/، /ء ×/ ← /ء ـَ ل ـَـَ/خ ـِ/ [٢].

يَتبيَّن لنا ممَّا تقدَّم أنَّ الصوائت توصل بين الصوامت في الكلمة الواحدة، وكذلك بين الكلمات في درج الكلام، ولكن ما الذي يوصل بين الصامت المتبوع بصائت والصامت غير المتبوع بصائت، نحو: نَصْر، ونِسْر، ونَخْل، وزَرْع، وطَيْر، ويَوْم، وصِفْر، ونَثْر، وصُبْح، وعِجْل، ورِزْق، ووَضْع، ومَطْلِع، ومَغْرِب، وأَكْل، وكَلْم.

يبدو لي أنَّ الذي يساعد على الوصل في مثل هذه الكلمات هي صفة الصوت الصامت (الساكن)، ففي كلمة (صُبْح) تقوم صفة القلقلة في الباء بدورها في الوصل بين الباء الساكنة والحاء، وفي كلمة (نَصْر) تقوم صفة الصفير في الوصل بين الصاد الساكنة والراء، وفي كلمة (نَثْر) تقوم صفة التفشّي في الثاء بدورها في الوصل، وهكذا بقيّة الأصوات.

❖ ❖ ❖

١) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣.

٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤.

المبحث الخامس

الاختلاس

الاختلاس لغةً: قال الجوهريُّ (٣٩٣هـ): «خلستُ الشيءَ واختلستُهُ وتخلَّستُهُ، إذا اسْتَلَبْتَهُ. والتَخالُسُ: التَسالُبُ. والاسم الخُلْسَةُ بالضمّ. يُقال: الفرصةُ خُلْسَةٌ، والخُلْسَةُ أيضًا: الاسم من قولهم: ًاخْلَسَ النباتُ، إذا اختلط رَطْبه ويابسه. وًاخْلَسَ رأسُه، إذا خالط سواده البياض. والخَلِيسُ: الأشمط. والخَلِيسُ: النبات الهائج»[١].

واصطلاحًا: هو «عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعًا يحكم السامع به أنَّ الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن»[٢].

وسمَّى سيبويه الاختلاس بـ(غير الإشباع)، وهذا واضح في قوله: «هذا باب الإشباع في الجرِّ والرفع وغير الإشباع، والحركة كما هي»[٣].

وبيَّنَ سيبويه أنَّ الحركة باقية لم تسكّن، وذكر مصطلح الاختلاس ضمن شرحه لهذا الباب، فقال: «فأمَّا الذين يُشبِعون فيُمَطِّطون، وعلامتها واوٌ أو ياءٌ، وهذا تحكمه لك المشافهة. وذلك قولك: يضربها، ومِن مأمنك. وأمَّا الذين لا يُشبِعون فيختلسون اختلاسًا، وذلك قولك: يَضْربها، ومن مأَمَنك، يسرعون اللفظ. ومن ثَمَّ قال أبو عمرو: (إلى بارِئِكُم). ويدلُّك على أنَّها متحرِّكة قولهم: من مَأمَنك، فيبيِّنون النون، فلو كانت ساكنة لم تُحقَّقِ النون»[٤].

فالاختلاس هو الإسراع في نطق الحركة بعكس الإشباع الذي يعطي الحركة كامل النطق بها، وهذا ما عَبَّر عنه سيبويه بـ(يمطِّطون)، فالمطُّ هو النطق بتأنٍّ وتوئدة، والاختلاس هو الإسراع، كأنَّ الناطق يختطف الحركة اختطافًا.

---

١) الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية: مادّة (خلس).

٢) مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ: ٧٥.

٣) الكتاب: ٤/ ٢٠٢.

٤) المصدر نفسه: ٤/ ٢٠٢.

وذكر ابن جنّي الاختلاس، ووصفه بأنّه القدر اللطيف الرقيق، إذ قال: «فإن قلتَ: ومن أين يُعلَم أنَّ العرب قد راعت هذا الأمر واستشفّته، وعنيت بأحواله وتتبّعته حتَّى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبته إليها وزعمته مرادًا لها؟ وما أنكرت أن يكون القوم أجفى طباعًا وأيبس طينًا من أن يصلوا من النظر إلى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لا يصُحّ لذي الرقّة والدقّة منَّا أن يتصوّره إلاَّ بعد أن تُوضَّح له أنحاؤه بل أن تُشرَح له أعضاؤه؟ قِيلَ له: هيهات! ما أبعدك عن تصوُّر أحوالهم، وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم، حتَّى كأنَّك لم ترهم وقد ضيّقوا أنفسهم، وخفّفوا عن ألسنتهم، بأن اختلسوا الحركات اختلاسًا وأخفوها فلم يمكّنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها»[١].

بيَّنَ الدكتور غالب المطّلبي أنَّ طائفة من العرب تختلس الحركة في بعض كلامها، وهذا يؤدِّي إلى حذف الحركة فيما بعد حذفًا تامًّا، فنشأ من جرَّاء ذلك ما أطلقَ عليه القدماء ظاهرة (التخفيف)، وفسّروا ذلك بحذف الحركة نتيجةً لتوالي الحركات، ويتحقَّق هذا التخفيف في الاسم أو الفعل، وفي كلمة أو كلمتين متجاورتين[٢].

وأوضح أنَّ القدماء أجمعوا على أنَّ التخفيف من خصائص لهجة تميم، ولكنَّ هناك ما يشير إلى أنَّه كان عامًّا في لهجات نجد، قال سيبويه: «هذا باب ما يسكن استخفافًا وهو في الأصل متحرِّك، وذلك قولك في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفي الرجُل: رَجْلٌ، وفي كَرُمَ الرجُلُ: كَرْم، وفي عَلِمَ: عَلْمَ، وهي لغة بكر بن وائل، وأُناسٍ كثير من بني تميم»[٣].

وذكر سيبويه أنَّ هؤلاء يخفّفون أيضًا إذا تتابعت الضمّتان؛ لأنَّهم «كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنَّما الضمّتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمّتان؛ لأنَّ الضمّة من الواو. وذلك قولك: الرُّسْلُ، والطُّنْبُ، والعُنْقُ تريد: الرُّسُل، والطُّنُب، والعُنُق»[٤].

وأشار الدكتور المطلبي إلى أنَّ التخفيف يطَّرد في صيغة (فعل) من غير أن ينظروا إلى الحركات، وفسَّر ذلك أنَّ التخفيف يكون في هذه اللهجات إذا اجتمعت ثلاثة مقاطع

---

١) الخصائص: ٧٣/١.

٢) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٤.

٣) الكتاب: ٤/ ١١٣، وينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٤.

٤) الكتاب: ٤/ ١١٤.

قصيرة؛ لأنَّها لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة معًا، فتحوّلها إلى مقطعين، الأوّل مقطع طويل مغلق، والثاني مقطع قصير في أغلب الأحوال، على النحو الآتي[١].

أوّلًا: في الأسماء

١. فُعُل تصير إلى فُعْل، عُنُق في عُنْق، ورُسُل في رُسْل[٢].

٢. فَعُل تصير إلى فَعْل، نحو: عَضُد في عَضْد[٣].

٣. فِعَل تصير إلى فِعْل، نحو: قِمَع في قِمْع[٤].

٤. فِعِل تصير إلى فِعل، نحو: إِبِل في إِبْل[٥].

٥. فَعِل تصير إلى فَعْل، نحو: كَتِف في كَتْف[٦].

٦. لم يرد تحوُّل صيغة (فَعَل) إلى (فَعْل) إلاَّ في قراءة أبي السمّال[٧]. إذ قرأ (شَجْر) في (شَجَر)[٨]. ويرى الدكتور المطّلبي أنَّ اللهجات النجدية لا تميل إلى تخفيف حركات الفتح المتوالية؛ لأنَّ الفتح أخفُّ عليهم من الضمِّ والكسر[٩].

ثانيًا: في الأفعال

١. فَعَل تصير إلى فَعْل، نحو: عَلْم في عَلِمَ[١٠].

---

١) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٣، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٤) ينظر: إصلاح المنطق: ٧١، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٥) ينظر: الأصول في النحو: ١٥٨/٣، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٦) ينظر: شرح المفصّل، لابن يعيش: ٣٦٧/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

٧) قعنب بن أبي قعنب، له اختيار في القراءة، شاذّ عن العامّة، ينظر: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء: ٣٦/٢.

٨) ينظر: البحر المحيط: ٢٨٤/٣، وفي الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٩) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٣، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٥.

١٠) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٣، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٢. فَعُل تصير إلى فَعْل، نحو: كَرَمْ في كَرُم[١].

٣. فُعِل (البناء للمجهول) تصير إلى فُعْل، نحو: عُصْر في عُصِر[٢].

٤. فَعَل تصير إلى فَعْل، نحو: سَلْف في سَلَف[٣].

٥. ذهب الدكتور المطّلبي إلى أنَّ سكون الهاء من لفظة (هو) إذا جاءت بعدالواو أو الفاء أو اللام، يدخل في باب التخفيف أيضًا، وبذلك قرأ أبو عمرو بن العلاء والكسائيُّ[٤].

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ إسكان الهاء لم يقتصر على لفظة هو، فقد قُرِئَ بإسكان الهاء من لفظة (هي)، إذا جاءت بعد الواو أو الفاء أو اللام، وبها قرأ أبو عمرو والكسائيُّ وقالون، وكذلك إذا جاءت بعد ثُمَّ، وبها قرأ الكسائيُّ وقالون.

قال الشاطبيُّ[٥]:

وَهَـا هُـوَ بَعْدَ الْوَاوِ وَالْفَا وَلاَمِهَا وَهَا هِيَ أَسْكِنْ رَاضِيًا بَارِدًا حَلا

وَثُمَّ هُوَ رِفْقًا بَانَ وَالضَّمُّ غَيْرُهُمُ وَكَسْرٌ وَعَنْ كُلٍّ يُمِلَّ هُوَ انْجَلا

أخبر الناظمُ أنَّ أبا عمرو والكسائيّ وقالونًا قرأوا بإسكان الهاء من لفظي (هو) و(هي) إذا كان كُلّ منهما مقرونًا بالواو، نحو: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، و﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ [هود: ٤٢]، أو بالفاء، نحو: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ [النحل: ٦٣]، و﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤]، أو باللام، نحو: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، و﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] ، وأسكن الكسائيّ وقالون الهاء في: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١][٦].

---

١) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٣، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ١١٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٣) ينظر: لسان العرب: مادّة (سلف)، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٤) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٧٦.

٥) الوافي في شرح الشاطبية: ٢٠١.

٦) ينظر:الوافي في شرح الشاطبية: ٢٠١، وقراءة الكسائي: ٣٨ و٤١.

وأوضح ابن جنّي علّة إسكان الهاء من (هو، وهي): «أنَّ هذه الأحرف ـ يعني الواو والفاء واللام ـ لمَّا كنَّ على حرف واحد وضعفن عن انفصالها، وكان ما بعدها على حرفين؛ الأوّل منهما مضموم أو مكسور، أشبهت في اللفظ ما كان على فَعُل وفَعِل، فخُفِّفَ أوائل هذه كما يُخفَّف ثواني هذه، فصارت (وَهُو) كعَضُد، (وصارت وَهْو كعَضْد كما صارت (أهِي) كَعَلِم، وصار (أَهْي) بمنزلة عَلْم»[١].

«وتسكينُ هاء هو وهي بعد الواو والفاء واللام وثمَّ جائزٌ»[٢]، وهي لغة قيس وأسد[٣].

❖ ❖ ❖

١) المحتسب: ٣٣٢/٢.

٢) شرح التسهيل: ١٣٨/١.

٣) ينظر: شرح التسهيل: ١٣٨/١، وهمع الهوامع: ٢٠٤/١.

المبحث السادس

الروم والإشمام

١. الروم

الروم لغةً: «رَامَ الشيءَ يَرومُهُ رَوْمًا ومَرامًا: طَلَبَهُ»[١].

واصطلاحًا: هو «أن تُشير إلى الحركة بصوت ضعيف»[٢].

ذكر سيبويه الروم في قوله: «وأمَّا الذين راموا الحركة فإنَّهم دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يُخرجوها من حال ما لزمه إسكانٌ على كُلّ حال، وأن يعلموا أنَّ حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كُلّ حال. وذلك أراد الذين أشمُّوا؛ إلاَّ أنَّ هؤلاء أشدُّ توكيدًا»[٣].

وبيَّنَ أنَّ علامة الروم «خطٌّ بين يدي الحرف»[٤].

وأوضح كيفية الروم، قائلاً: «وأمَّا الذين راموا الحركة فهم الذين قالوا: هذا عُمَر ؛ وهذا أَحْمَد ؛ كأنَّه يريد رفع لسانه. حدَّثنا بذلك عن العرب الخليل وأبو الخطّاب»[٥].

وكلام سيبويه هذا يوضّح أنَّ الروم يكون في حالة الرفع، وأضاف سيبويه: إنَّ الروم يكون في حالتَي النصب والجرِّ أيضًا، إذ قال: «وأمَّا ما كان في موضع نصب أو جرٍّ فإنَّك تروم فيه الحركة»[٦].

فمذهب النحاة أنَّ الروم يكون في الحركات الثلاث، إلاَّ أنَّ القُرَّاء لا يرومون المنصوب ولا المفتوح؛ «لخفّتهما وسرعة ظهورهما إذا حاول الإنسان الإتيان ببعضهما، فيبدو الإشباع لذلك»[٧].

والروم يسمعه القريب المصغي إلى القراءة، فهو يسمع حركة الحرف المحرَّك بصوتٍ خفيٍّ في حال الوقف على هذا الحرف[١].

---

١) لسان العرب: مادّة (روم).

٢) أسرار العربية: ٣٥٠.

٣) الكتاب: ٤/ ١٦٨.

٤) المصدر نفسه: ٤/ ١٦٩.

٥) المصدر نفسه: ٤/ ١٦٩.

٦) المصدر نفسه: ١٧١/٤.

٧) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٧١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٥١٠.

قال الشاطبيُّ[٢]:

وَرَوْمُكَ إِسْمَاعُ المُحَرَّكِ وَاقِفًا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ كُلَّ دَانٍ تَنَوَّلا

٢. الإشمام

الإشمام لغةً: «الشَّمُّ: حِسُّ الأَنف، شَمِمتُه أَشَمُّه وشَمَمتُه أَشُمُّه شَمًّا وشَمِيمًا وتَشَمَّمتُه واشتَمَمتُه وشَمَّمتُه... يُقَالُ: شامَمتُ فُلانًا إِذا قارَبتَه وتَعَرَّفتَ مَا عِندَهُ بالاختبار وَالكَشفِ، وَهِيَ مُفاعَلة مِنَ الشَّمّ... وشامَمتُ الرَّجُلَ إِذَا قَارَبتَهُ وَدَنَوتَ مِنهُ. والشَّمَمُ: القُربُ»[٣].

واصطلاحًا: «وهو أن تضُمّ شفتيك من غير صوت»[٤].

وقال ابن الجزريّ: «وأمَّا الإشمام فهو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير تصويت»[٥].

أنواع الإشمام

الإشمام على أنواع ، هي:

١. ***<u>الإشمام عند الوقف</u>***

وهو أشهر أنواع الإشمام، قال سيبويه: «فأمَّا المرفوع والمضموم فإنَّه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف»[٦].

---

١) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٧١.

٢) الوافي في شرح الشاطبية: ١٧٤.

٣) لسان العرب: مادّة (شم).

٤) أسرار العربية: ٣٥٠.

٥) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٩٠، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٤٧.

٦) الكتاب: ٤/ ١٦٨.

وبيَّنَ سيبويه علّة الإشمام عند الوقف، إذ قال: «فأمَّا الذين أشموا فأرادوا أن يفرِّقوا بين ما يلزمه التحريك في الوصل وبين ما يلزمه الإسكان على كُلّ حال. وأمَّا الذين لم يشمُّوا فقد علموا أنَّهم لا يقفون أبدًا إلاَّ عند حرف ساكن، فلمَّا سكن في الوقف جعلوه بمنزلة ما يسكن على كُلّ حال؛ لأنَّه وافقه في هذا الموضع»[١].

والفرق بين الروم والإشمام «أنَّ الإشمام إنَّما يفهمهُ البَصير دون الضَّرير، لأنَّه عمل بالشفة بعد الفَرَاغ من الحَرف. فَأَما الروم فهو الاختلاس للحركة، وهو مِمَّا يُدْرِكهُ الْبَصِير والضرير»[٢].

قال الشاطبيُّ[٣]:

وَالإِشْمَامُ إِطْبَاقُ الشَّفَاهِ بُعَيْدَ مَا يُسَكَّنُ لاَ صَوْتٌ هُنَاكَ فَيَصْحَلا

أخبر الشاطبيُّ أنَّ الإشمام هو إطباق الشفتين بعد تسكين الحرف، وحقيقته أن نجعل الشفتين على صورتهما إذا نطقنا بالضمّة، ويُدرَك ذلك بالعين ولا يُسمَع، وهو معنى قوله لا صوت هناك، والإشمام إيماءٌ بالعضو إلى الحركة، ولهذا لا يدركه الضرير؛ لأنَّه لرؤية العين[٤].

وبيَّنَ الدكتور الحمد أنَّ متكلِّمي العربية الفصحى في عصرنا لا يحرصون على الروم أو الإشمام في الوقف، «حتَّى بدا ذلك أمرًا غريبًا على المسامع، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا كان ذلك لدى نفر قليل من علماء القراءة المتمسِّكين بالرواية»[٥].

٢. ***الإشمام في الفعل المبنيّ للمفعول***

ويخصُّ هذا النوع من الإشمام الأفعال: (قِيلَ) و(غِيضَ)، و(سيئَت)، و(حِيلَ) و(جِيءَ).

والمقصود به في هذه الأفعال «أن تنحو بكسر أوائلها نحو الضمّة»[١]، أي: إنَّ حركة الحرف الأوّل منها مُركَّبة من حركتين ضمّة وكسرة، «وجزء الضمّة مقدَّم وهو الأقلّ ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر»[٢].

---

١) الكتاب: ٤/ ١٦٨.

٢) علل النحو: ١٥٦، وينظر: الخصائص: ١/٧٤.

٣) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١٤٢.

٤) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١٤٢، والوافي في شرح الشاطبية: ١٧٥.

٥) الدراسات عند علماء التجويد: ٥١٢.

والإشارة إلى الضمّ في هذه الأفعال تُسمَع وتُرَى في الحرف الأوّل. والعلّة في إشمام هذه الأفعال أنَّ الأصل فيهنّ الضمّ، وهذه الأفعال اعتلت عين الفعل فيها وقُلِبَت حركتها على قبلها، فسكّنت العينات وقلبَت ما فيه واوٌ ياءات، «فمَنْ أشمَّ أوائلها الضمّ أراد أن يُبيِّن أنَّ أصل أوائلها الضمّ، كما أنَّ من أمال الألف في (رمى، وقضى) ونحوه، أراد أن يُبيِّن أنَّ الأصل الياء، ومن شأن العرب في كثير من كلامها المحافظة على بقاء ما يدلّ على الأُصول، وأيضًا فإنَّها أفعال بُنِيَت للمفعول، فمَنْ أشمّ أراد أن يبقي ما يدلّ على أنَّه مبنيٌّ للمفعول لا للفاعل.

وعلّة من كسر أوائلها أنَّه أتى بها على ما وجب لها من الاعتلال»[٣].

٣. *إشمام الصاد*

يُشمُّ الصادُ صوتَ الزاي في ألفاظ: (صراط)، و(الصراط) و(المصيطرون)، ونحو: (أصْدَق)، أي: إذا جاء بعد الصاد الساكنة دالٌ.

قال الشاطبيُّ[٤]:

..... وَالصَّادُ زَايًا اشِمَّهَا لَدَى خَلَفٍ وَاشْمِمْ لِخَلَّادِ الاَوَّلا

بيَّنَ الشاطبيّ أنَّ خلفًا يُشمُّ الصاد صوت الزاي في جميع القرآن، وأنَّ خلادًا قرأ الأوّل من الفاتحة، وهو قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، بإشمام الصاد الزاي[٥]، والإشمام هنا هو «خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان فيتولَّد منهما حرفٌ ليس بصادٍ ولا زاي»[٦]. ويكون صوت الصاد متغلِّبًا على صوت الزاي، «وقصارى القول أن تنطق بالصاد كما ينطق العوام ـ يعني المصريين ـ بالظاء»[٧].

---

١) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١٤٩.

٢) الوافي في شرح الشاطبية: ٢٠١.

٣) الكشف: ٢٨٥/١.

٤) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ٣٨.

٥) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ٣٨، والوافي في شرح الشاطبية: ٥٠-٥١.

٦) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ٣٨، وينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ٥١.

٧) الوافي في شرح الشاطبية: ٥١.

و قُرِئَ بإشمام الصاد صوت الزاي في لفظة ﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، ولفظة ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

وبها قرأ خلف[١]، واختُلِفَ عن خلاد في إشمام الصاد زايًا أو إخلاصها صادًا[٢].

قال الشاطبيُّ[٣]:

وَضَمَّ أُولُوا حَقٍّ وَلاَغِيَةٌ لَهُمْ مُصَيْطِرٍ اشْمِمْ ضَاعَ وَالْخُلْفُ قُلِّلا

وقال[٤]:

وَإِشْمَامُ صَادٍ سَاكِنٍ قَبْلَ دَالِهِ كَأَصْدَقُ زَايًا شَاعَ وَارْتَاحَ أَشْمُلا

أخبر الشاطبيّ أنَّ حمزة والكسائيّ قرآ بإشمام كُلّ صاد زايًا، إذا كانت ساكنة ووقعت قبل دال، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥][٥]، فإذا كانت الصاد متحرِّكة، نحو: (صَدَقَة)، أو كانت ساكنة ولم تقع قبل دال، نحو: (فاصفح)، فلا إشمام فيها لأحد من القُرَّاء[٦].

٤. ***إشمام النون الساكنة صوت أوائل كلمات البيت الآتي***[٧]:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقًى ضِعْ ظالما

---

١) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ٣١٦، وينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ٣٣١.

٢) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ٣١٩.

٣) المصدر نفسه: ٣٣٠.

٤) المصدر نفسه: ٢١٢.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٢.

٦) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ٢٤٧.

٧) البرهان في تجويد القرآن: ١٦.

ويسمِّي أهل التجويد هذه الحروف بـ(حروف الإخفاء)؛ لأنَّها تُمثّل عندهم حكم إخفاء النون الساكنة أو التنوين مع هذه الحروف.

وقد أطلق الشيخ جلال الحنفي ـ كما ذكرنا ـ مصطلح (الإشمام) على هذا الحكم؛ لأنَّ النون الساكنة تشُمُّ رائحة الصوت التالي لها من أصوات (ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ).

وقسَّمَ الشيخ الحنفيُّ هذا الإشمام على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: الإشمام الكلّي: ويتحقَّق عندما تلي النون الساكنة ثمانية أصوات، هي: (ث، ذ، ش، ط، ظ، ف، ق، ك)، نحو: ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي هذا القسم من الإشمام تظهر رائحة الصوت الإشمامي في النون بوضوح[١].

القسم الثاني: الإشمام الجزئي: ويتحقَّق عندما تلي النون الساكنة خمسة أصوات، هي: (ج، ز، س، ص، ض)، نحو: قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ [القصص: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

وفي هذا القسم من الإشمام تكون «الغُنّة الإشمامية مساوقة لغُنّة النون المحرّرة على غير الحالة الصوتية التي تُسمَع في غنّة الإشمام الكلّي»[٢].

القسم الثالث: الإشمام الخفيّ: ويتحقَّق مع كُلّ من صوتي (التاء، والدال)، نحو: أنت، وعِنْد)، «وهنا تكون غُنّة النون المحرَّرة هي السائدة في الجوّ الصوتي للحالة الإشمامية، وذاك بسبب ضعف المذاق الإشمامي في ذينك الحرفين»[٣].

---

١) ينظر: قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٤٥٨.

٢) المصدر نفسه: ٤٥٩.

٣) المصدر نفسه: ٤٥٩.

وأوضح الشيخ جلال الحنفي أنَّ ما عرفته كتب التجويد بأنَّه إخفاءٌ، سبَّبَ فشل المقرئين في نطق النون الساكنة في هذا الحكم نطقًا سليمًا وطبيعيًّا، «وذلك لأنَّهم أُوصُوا بإبعاد ألسنتهم عن النون في هذه الحالة فعطّلوا عملها إذ صارت سائبةً في جوّ الفم»[١].

❖ ❖ ❖

١) قواعد التجويد والإلقاء الصوتي: ٤٥٩.

المبحث السابع

الإمالة

الإمالة لغةً: «المَيْلُ: العُدول إلى الشَّيْءِ والإقبالُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ المَيلَان. ومَالَ الشيءُ يَميلُ مَيْلاً ومَمالاً ومَمِيلاً وتَمْيالاً»[١].

واصطلاحًا: «أن تُميلَ الفتحة نحو الكسرة، وتُميلَ الألفَ نحو الياء»[٢].

تُمال الألف نحو الياء، ولأجل الألف تُغيَّر الحركة قبلها، وذكر سيبويه أنَّ الألف «تُمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور. وذلك قولك: عابِدٌ، وعالِمٌ ومساجِد، ومفاتيح، وعذافِر، وهابِيل.

وإنَّما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقرِّبوها منها كما قرَّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا: صَدَرَ، فجعلوها بين الزاي والصاد»[٣].

فالألف عند سيبويه تُمال لأجل الكسرة التي بعدها، وبسبب هذه الإمالة تُمال الحركة التي قبلها؛ لأنَّ «الألف إذا دخلتها الإمالة دخل الإمالةُ ما قبلها»[٤].

ويرى ابن جنّي أنَّ الإمالة نوع من الانسجام الصوتيّ بين الحركات، يؤدِّي إلى تغيُّر في الألف؛ «لأنَّ الألف لا يكون ما قبلها أبدًا إلاَّ مفتوحًا»[٥].

وبيَّنَ أنَّ الألف تُمال لأجل إمالة الفتحة التي قبلها، إذ قال: «أمَّا الفتحة المشوبة بالكسرة فالفتحة التي قبل الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أنَّ الإمالة إنَّما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت»[٦].

ووازن الدكتور حسام النعيمي بين سيبويه وابن جنّي في مسألة الإمالة، ورأى أنَّ ما ذهب إليه سيبويه أصوب؛ لأنَّ الحركة قبل الألف تتغيَّر بتغيّره، وذهب إلى أنَّ الحركة قبل

---

١) لسان العرب: مادّة (ميل).

٢) الرعاية لتجويد القراءة: ٢٣٤.

٣) الكتاب: ١١٧/٤، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٢٠١.

٤) الكتاب: ١٢٦/٤، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٢٠١.

٥) المحتسب: ٢١٩/١.

٦) سرّ صناعة الإعراب: ٦٧/١.

الألف لا وجود لها لا في الإمالة ولا في غيرها؛ لأنَّنا نتكلَّف إذا زعمنا وجود الفتحة الممالة نحو الكسرة قبل الألف الممالة نحو الياء[١]. ولأنَّ أحرف المدّ حركات مُشبعة «فلا معنى للقول بأنَّ قبلها حركات من جنسها سواء كان الحرف ممالاً أم غير ممال»[٢].

موانع الإمالة

ذكر سيبويه أنَّ الحروف المستعلية، وهي (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والخاء، والقاف) تمنع الإمالة إذا كان حرف منها قبل الألف، نحو قاعِدٌ، وغائِبٌ، وخامِدٌ، وصاعِدٌ، وطائِفٌ، وضامِنٌ، وظالِمٌ[٣].

وتمنع هذه الحروف الإمالة؛ «لأنَّها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلمَّا كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها، فلمَّا كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف، كان العمل من وجه واحد أحقّ عليهم، كما أنَّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان في موضع واحد أخفَّ عليهم فيُدغمونه»[٤].

وكذلك إذا كان حرف منها بعد الألف، نحو: ناقِدٌ، وعاطِسٌ، وعاصِمٌ، وعاضِدٌ، وعاظِلٌ، وناخِذٌ، وواغِلٌ[٥].

وبيَّنَ سيبويه أنَّ مجيء حرف أو حرفين بين أحد حروف الاستعلاء والألف منع إمالة الألف نحو: نافِخٌ، ونابِغٌ، ونافِقٌ، وشاحِطٌ، وعالِطٌ، وناهِضٌ، وناشِطٌ، ومناشيطُ، ومنافيخُ، ومعاليقُ، ومقاريضُ، ومواعيظُ، ومباليغُ[٦].

---

١) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي: ٢٠٢.

٢) المصدر نفسه: ٢٠٢.

٣) ينظر: الكتاب: ١٣٨/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٧-١٦٨.

٤) الكتاب: ١٣٩/٤.

٥) ينظر: الكتاب: ١٣٩/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٨.

٦) ينظر: الكتاب: ١٣٩/٤-١٣٠.

«ولم يمنعه الحرف الذي بينهما من هذا، كما لم يُمنَع السين من الصاد في صَبَقْتُ ونحوه»[١]، «ولم يمنع الحرفان النصب كما لم يُمنَع السين من الصاد في صَوِيقٍ ونحوه»[٢].

وتتحقَّق الإمالة في الأسماء التي تنتهي بألف زائدة للتأنيث أو لغير ذلك؛ لأنَّها «بمنزلة ما هو من بنات الياء. ألا ترى أنك لو قلت في معزى وفي حبلى فعلت على عدة الحروف، لم يجيء واحدٌ من الحرفين إلا من بنات الياء. فكذلك كل شيءٍ كان مثلهما مما يصير في تثنيةٍ أو فعلٍ ياءً، فلما كانت في حروف لا تكون من بنات الواو أبدًا صارت عندهم بمنزلة ألف رمى ونحوها»[٣].

قال الشاطبيُّ[٤]:

وَحَمْزَةُ مِنْهُمْ وَالْكِسَائِيُّ بَعْدَهُ أَمَالاَ ذَوَاتِ الْيَاءِ حَيْثُ تَأَصَّلا
وَتَثْنِيَةُ الأَسْمَاءِ تَكْشِفُهَا وَإِنْ رَدَدْتَ إِلَيْكَ الْفِعْلَ صَادَفْتَ مَنْهلا
هَدَى وَاشْتَرَاهُ وَالْهَوَى وَهُدَاهُمُ وَفِي أَلِفِ التَّأْنِيثِ فِي الْكُلِّ مَيَّلا
وَكَيْفَ جَرَتْ فَعْلَى فَفِيهَا وُجُودُهَا وَإِنْ ضُمَّ أَوْ يُفْتَحْ فَعَالَى فَحَصِّلا

أمال حمزة والكسائيّ كُلّ ألف متطرِّفة منقلبة عن ياء من الأسماء والأفعال، إذا كانت الياء أصلاً وانقلبت الألف عنها، وهذا أحد أسباب الإمالة، نحو: هدى، واشترى، وسعى، وأتى، وأبى ورمى واستعلى، ويخشى ويتوارى، ونحو: الهدى، والمأوى والهدى، ومولى[٥].

وأمالا أيضًا ألفات التأنيث كُلّها، وبيَّنَ الشاطبيّ محلّ هذه الألفات في قوله: «وَكَيْفَ جَرَتْ فَعْلَى»، أي: وجود ألف التأنيث في ما كان على وزن فعلى ساكنة العين «كيف جرت

---

١) المصدر نفسه: ١٣٩/٤.

٢) المصدر نفسه: ١٣٠/٤.

٣) المصدر نفسه: ١٢٠/٤.

٤) الوافي في شرح الشاطبية: ١٣٧.

٥) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١١٩.

بضمّ الفاء وفتحها وكسرها، فالذي بضمّ الفاء، نحو: الدنيا، والأُنثى، والسوأى، والأُخرى، والبُشرى، والكُبرى، والذي بفتح الفاء، نحو: التقوى، والنجوى، وشتّى، وأسرى، وسكرى، والذي بكسر الفاء، نحو: إحدى، وسيماهم، والشِّعرى، والذِّكرى، وأُلحق بهذا الباب موسى، ويحيى، وعيسى»[١]. وتتحقَّق ألف التأنيث أيضًا في ما كان على وزن فعالى مضموم الفاء، نحو: سكارى، أو مفتوح الفاء، نحو: اليتامى[٢].

وذكر الدكتور غالب المطّلبي حالات إمالة الألف التي حدَّدَها سيبويه، وهي:

١. إذا كان بعدها حرف مكسور، نحو: عابِد، وعالِم، وساجِد، ومفاتيح، وهابيل[٣].

٢. إذا كان بين أوّل حرف مكسور من الكلمة وبين الألف حرف متحرِّك، نحو: عِماد، وبِها، وبِنا، وفي مضربِها[٤].

٣. إذا كان بين أوّل حرف مكسور من الكلمة وبين الألف حرفان، الأوّل ساكن، نحو: سِرْبال، وشِمْلال[٥].

٤. إذا كان بين الحرف المكسور وبين الألف حرفان الأوّل مفتوح والثاني هاء خفيّة، نحو: يريد أن ينزِعَها، ويريد أن يضرِبَها[٦].

٥. إذا كان قبل الألف حرف مفتوح قبله ياء، نحو: يريد أن يكيلها[٧].

---

١) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١٣٠.

٢) المصدر نفسه: ١٣٠، وينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ١٤١.

٣) ينظر: الكتاب: ١١٧/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤.

٤) ينظر: الكتاب: ١١٧/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤.

٥) ينظر: الكتاب: ١١٧/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤.

٦) ينظر: الكتاب: ١٢٣/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤.

٧) ينظر: الكتاب: ١٢٤/٤، وفي الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤.

ويرى الدكتور المطّلبي أنَّ هذه الإمالة جاءت بسبب وجود الكسرة في سياق الكلمة، سواء كانت قبل الألف، نحو: عِماد، أم بعده، نحو: عايد، وأنَّ إمالة الألف في هذه الأحوال كانت للانسجام بين الأصوات[١].

وأوضح أنَّ الإمالة لا تحمل أيَّة قيمة فونيمية خاصّة بها، وأنَّ للإمالة درجتين أساسيتين، هما:

١. إمالة قصيرة: تنشأ عندما تُمال الفتحة نحو الكسرة.

٢. إمالة طويلة: تنشأ عندما تُمال الألف نحو الياء.

يبدو لي أنَّ تحديد الدكتور المطّلبي للإمالة لا يُلائم حقيقة الإمالة؛ لأنَّنا لا نتكلّم عن الكمّيَة في صوت الإمالة، وإنَّما نتكلّم عن الكيفية، وأنَّ تقسيم القدماء الإمالة إلى إمالة صغرى، وإمالة كبرى أقرب إلى الواقع؛ لأنَّنا إمَّا أن نلفظ الألف، وهو قريب بعض الشيء من الياء، وإمَّا أن نلفظه وهو قريب جدًّا من الياء.

وذهب سيبويه إلى جواز إمالة خاف[٢]، وبيَّنَ ابن يعيش أنَّ الألف تُمال «إذا كانت في فعل، كطاب وخاف»[٣]، ولم ينظر إلى ما انقلبت عنه.

وأوضح الدكتور غالب المطّلبي أنَّ حالات من الإمالة وَرَدَت مع أصوات الاستعلاء من نحو ما ذكره سيبويه، أو ما ذكره ابن يعيش، وهو أمر يؤكّد أنَّ الإمالة كانت منتشرة في أكثر كلام العرب[٤].

وترى الدكتورة مي الجبوري أنَّ حجج القدماء في تفسير الإمالة للكسرة تبيِّن الآتي:

١. يعمل اللسان عملاً واحدًا مُتسَفِّلاً لتقليل الجهد[٥].

٢. «لا يُستثقَل التسفُّل بعد التصعُّد، نحو: فتح (مِنَ النارِ)، ويُستثقَل التصعيد بعد التسفُّل، نحو إمالة (زاغَ)، والمقصود لا يُستثقَل الكسر بعد الفتح، أي: بعد الألف المفتوحة، مثلاً

---

١) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٤-١٦٥.

٢) ينظر: الكتاب: ١٣٢/٤.

٣) شرح المفصّل: ٢٥٧/٢.

٤) ينظر: في الأصوات اللغوية، دراسة في أصوات المدّ العربية: ١٦٨.

٥) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٢٨.

في (نار) لا تُستثقَل الراء الممالة المكسورة في حين تُستثقَل الغين المفتوحة بعد إمالة الألف من زاغ»[١].

ووصفت الدكتورة الجبوري ما يحدث في أثناء نطق الكلمتين (نار، وزاغ).

أ) عملية نطق (نار) بفتح الألف وكسر الراء

عند نطق النون يعتمد طرف اللسان على أُصول الثنايا العليا مع اللَّثة، وينخفض الحنك اللّيِّن، فيمرُّ الهواء الخارج من الرئتين عن طريق الأنف، ويتذبذب الوتران الصوتيّان، ويستمرّ كذلك للألف، ويرتفع مؤخِّر اللسان قليلاً، ولنطق الراء يتذبذب الوتران ويضرب اللسان اللَّثة ويرتفع الجزء الأمامي من اللسان باتجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة مع استمرار التذبذب لنطق الكسرة[٢]، «فاللسان ينخفض أو يتسفَّل للفتح ثُمَّ يرتفع أو يتصعَّد للكسر على العكس من التصوّر القديم»[٣].

ب) عملية نطق (زاغ) بإمالة الألف وفتح الغين

عند نطق الزاي يعتمد طرف اللسان خلف الثنايا العليا ويلتقي مقدِّمه باللَّثة العليا مع وجود منفذ ضيِّق للهواء ويُرفَع أقصى الحنك ليمنع مرور الهواء من الأنف مع تذبذب الوترين، ولإمالة الألف الشديدة يرتفع الجزء الأمامي من اللسان باتّجاه مقدّم الحنك أقلّ من ارتفاعه للكسرة مع استمرار تذبذب الوترين، ويرتفع أقصى اللسان للغين بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك اللّيّن مع وجود فراغ ضيِّق يسمح للهواء بالنفاذ بصعوبة، واستمرار تذبذب

---

١) المصدر نفسه: ١٣٨.

٢) ينظر: علم الأصوات العامّ: ١١٩ و١٣٨، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٣٨.

٣) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٣٨.

الوترين مع الزاي ومع الفتحة التي ينخفض لها اللسان في قاع الفم[١]، «فاللسان يرتفع للإمالة، ثُمَّ ينخفض للفتحة على العكس من التصوُّر القديم»[٢].

إمالة ألف (كافرين)

ترى الدكتورة مي الجبوري أنَّها إمالة حسنة لتوالي الكسرات، وأنَّها مجانسة صوتية عند جعل الألف قريبةً من الياء[٣].

أمال حمزة والكسائيُّ ألف (كلاهما)

بيَّنَت الدكتورة مي أنَّ وجود الكسرة بعد الكاف أثَّرَ في الألف فأُميلَت، ولم تمنع ذلك اللام أو أن تحجز بينهما[٤].

عند الكلام على الفتح والإمالة، تقول الدكتورة مي الجبوري مرّةً: الألف المفتوحة، وتقول مرّةً أُخرى: فتح الألف[٥]، ولم يقل أحدٌ من القدماء ولا من المحدثين أنَّ الألف تُحرَّك، فهي عند القدماء حرف مدٍّ ساكن، وعند المحدثين صائت طويل (حركة طويلة).

والمراد هنا بالفتح هو فتح الفم بالحرف لا فتح الحرف الذي هو الألف[٦]؛ لأنَّ الألف لا يقبل الحركة، فهو ساكنٌ أبدًا عند القدماء، وهو حركة طويلة عند المحدثين.

وفي باب الفتح والإمالة وبين اللفظين، قال ابن القاصح البغداديُّ: «أي: فتح الصوت لا الحرف»[٧]، وقال ابن الجزريّ: «والفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر»[٨].

---

١) ينظر: علم الأصوات العامّ: ١٢٣، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٢٧.

٢) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٢٧.

٣) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: ١٢٩.

٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٩.

٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٨-١٢٩.

٦) ينظر: الوافي في شرح الشاطبية: ١٤٠.

٧) سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي: ١١٩.

٨) النشر في القراءات العشر: ٢٣/٢.

والفتح ينقسم على فتح شديد وفتح متوسّط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بلفظ الحرف الذي بعده ألف، ويُسمَّى التفخيم، ولا يجوز في القرآن[١]، والفتح المتوسّط «هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسّطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القُرَّاء»[٢].

❖ ❖ ❖

١) ينظر: إبراز المعاني في حرز الأماني: ٢٢٥، والنشر في القراءات العشر: ٢٤/٢.

٢) إبراز المعاني في حرز الأماني: ٢٢٥، وينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٤/٢.

المبحث الثامن

وظيفة الصوائت

لا يخفى على أحدٍ أنَّ وظيفة الصوائت هي الوصل بين أصوات الكلمة الواحدة، فضلاً عن الوصل بين الكلمتين المتجاورتين في درج الكلام، قال سيبويه: «وزعم الخليل أنَّ الفتحة والكسرة والضمّة زوائد، وهنَّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلُّم به. والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه. فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمّة من الواو. فكُلّ واحدة شيءٌ ممَّا ذكرت لك»(١).

ويرى الدكتور غالب المطّلبي أنَّ أوّل إشارة إلى الصوائت في لغتنا جاءت عن أبي الأسود الدؤلي، حين أراد شكْلَ المصحف مستعيناً بكاتب من هذيل، إذ قال له: «خُذ الْمُصحف وصبغًا يُخَالف لون المداد فَإِذا فتحتُ شفتي فانقط واحدةً فَوق الحرف، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفَله فَإن اتبعت شَيئًا من هذه الحركات غُنّة فاجعل نقطتين»(٢).

واستخلص الدكتور المطّلبي من هذا النصّ أنَّ اختلاف أوضاع الشفتين كانت الإشارة الأُولى إلى هذه الأصوات، وأنَّها أخذت أسماءها في العربية من هذه الأوضاع، وأنَّ مصطلح الحركات قد جاء من حركات الشفتين(٣).

وذهب إلى أنَّ أهمِّية الصوائت في اللغات عامّة «تكمن في قدرتها على تجميع الصوامت وإعطائها قوّةً في الإسماع ليوصل إلى التكلُّم بها»(٤).

وبيَّنَ أنَّ للصوائت وظيفتين ـ فضلاً عن وظيفتها في الوصل بين الصوامت ـ وظيفة صرفية، ووظيفة نحوية.

أوّلاً: الوظيفة الصرفية: تؤدِّي الصوائت في الكلمة العربية دوراً بنائيًّا(٥)، فهي فضلاً عمَّا تقوم به من وصل بين الصوامت (أصوات الأصل) وإعطائها القدرة على الإسماع، تؤدِّي وظيفة صرفية من خلال دخولها على أصوات الأصل، ولتغيّر الصوائت الداخلة على أصوات الأصل الواحد تأثيرٌ في تغيّر المعنى الصرفي للكلمة، ويتمّ ذلك ضمن قوالب محدّدة لا يجوز الخروج عنها، وذكر الدكتور المطّلبي بعض الأمثلة التي تبيِّن الوظيفة الصرفية للصوائت،

---

١) الكتاب: ٤/ ٢٤١-٢٤٢.

٢) المحكم في نقط المصاحف: ٤، وينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٦٨.

٣) ينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٦٨.

٤) ينظر: العربية الفصحى: ٥٤، وفي الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٤٧.

٥) ينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٤٨.

ومنها بناء الفاعل من الثلاثي الذي يتُمّ بإدخال صوائت مُعيَّنة بين الصوامت، وتُمثّل الصوائت القالب الصرفي الذي تدخل فيه عناصر الأصل لتأدية المعنى العامّ، ويتألّف بناء اسم الفاعل من الثلاثي كما يأتي:

العنصر الأصلي الأوّل (الصامت) + صائت طويل + العنصر الأصلي الثاني (الصامت) + صائت قصير + العنصر الأصلي الثالث (الصامت): ف + ا + ع + /ـَـ/ + ل[١].

وأوضح الدكتور المطّلبي أنَّ الوظيفة الصرفية للصوائت تتُمّ على وفق قانون (المغايرة)، أي: أنَّ التحوّل من معنًى إلى معنًى لأصل ما إنَّما يتُمّ عن طريق تغيير الصوائت، فضلاً عن عمل السوابق واللواحق، وفي الأمثلة الآتية نلحظ أنَّ المعاني الصرفية تتُمّ عن طريق المغايرة في الصوائت الداخلة على أصوات الأصل، من المفرد إلى الجمع:

كَعَب = كِعاب.

كَبَد = كُبُود.

فِراش = فُرُش.

من اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو إلى الصفة المشبّهة:

مُحارِب = مُحارَب

قاتِل = قتيل.

جارِح = جريح.

من فعل إلى مصدر:

جَرَح = جَرْح.

قاتَل = قِتال.

جَلَس = جُلوس[٢].

وتكون المغايرة في الصوائت إمَّا بشكل جزئي، نحو تحوّل اسم الفاعل من الرباعي إلى اسم المفعول منه، إذ نلحظ تغيّر صائت واحد فقط يأتي بعد عين الكلمة:

---

١) المصدر نفسه: ٢٤٨.

٢) ينظر: في الأصوات اللُغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٤٩.

مَفْعِل: اسم فاعل، مَفْعَل: اسم المفعول.

وإمَّا بشكل أكبر، نحو تحوّل المثنَّى إلى جمع، إذ نلحظ أنَّ الصوائت في لاحقتَي التثنية والجمع تخضعان إلى مغايرة تامّة:

معلّمون: في الجمع، معلّمان: في المثنَّى.

وقد تتُمّ المغايرة عن طريق حذف أحد الصوائت، نحو التحوّل من الفعليّة إلى المصدرية: أَكَلَ = أكْل[١].

ثانياً: الوظيفة النحوية: أوضح الدكتور المطّلبي أنَّ ظاهرة الإعراب تُمثّل تطبيقاً جيّداً لقانون المغايرة، فالفاعل يغاير المفعول، وكذلك يغاير المضاف إليه، وبيَّنَ أنَّ القدماء ذهبوا إلى أنَّ اختيار صوت مدٍّ بعينه في كُلّ موقع تابع للاستثقال والاستخفاف، قال ابن جنّي: «قال أبو إسحاق في رفع الفاعل ونصب المفعول: إنَّما فُعِلَ ذلك للفرق بينهما، ثُمَّ سأل نفسه فقال: فإن قِيلَ: فهلا عُكِسَت الحال فكانت فرقًا أيضًا؟ قِيلَ: الذي فعلوه أحزم؛ وذلك أنَّ الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرُفِعَ الفاعل لقلّته، ونُصِبَ المفعول لكَثرَته؛ وذلك ليقلّ في كلامهم ما يستثقلون، ويكثُر في كلامهم ما يستخِفّون»[٢].

ولكنَّ الدكتور غالب يرى أنَّ استعمال الصوائت القصيرة للدلالة على المواقع الإعرابية، «إنَّما تُمثّل علامات لثلاثة مواقع نحوية، وأنَّ العربية استعملت الضمّة علامة على فكرة (الإسناد) والكسرة علامة على فكرة (الإضافة) والفتحة علامة على أنَّ الموقع ليس موقع إسناد أو إضافة»[٣].

وفي حالات إعرابية تستعمل العربية الصوائت الطويلة للدلالة الإعرابية، وهذه الحالات هي:

١. جمع المذكَّر السالم.

---

١) ينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٥٠-٢٥١.

٢) الخصائص: ١/ ٥٠، وينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٥٧.

٣) في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٥٨.

٢. المثنَّى: تتُمّ المغايرة في الجمع و المثنَّى بين حالتين حَسْب، حالة الرفع وعلامتها الإعرابية هي الواو في الجمع، والألف في المثنَّى، وحالة النصب و الجرِّ وعلامتها الإعرابية هي الياء في الجمع و المثنَّى.

٣. الأسماء الستّة: تتُمّ المغايرة فيها بالواو في حالة الرفع، وبالألف في حالة النصب، وبالياء في حالة الجرِّ.

وهناك حالات إعرابية يتُمّ التمييز بينها باستعمال المغايرة في الصوائت القصيرة، نحو:

١. التمييز بين ثلاثة أنواع من ضمير الفاعل، وهي:

أ. التاء (تُ) في أكلتُ: ضمير الفاعل المتكلّم.

ب. التاء (تَ) في أكلتَ: ضمير الفاعل المخاطَب المذكَّر.

ت. التاء (تِ) في أكلتِ: ضمير الفاعل المخاطَب المؤنَّث.

٢. التمييز بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول، نحو: فَعَل، فُعِلَ: كَتَبَ، كُتِبَ[١].

❖ ❖ ❖

١) ينظر: في الأصوات اللُّغويّة، دراسة في أصوات المدّ العربية: ٢٥٨-٢٥٩.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع الجهد الصوتيّ عند المحدَثين العراقيين، يمكن بيان أهمّ نتائج البحث بما يأتي:

١) يُعدُّ الدكتور سلمان العاني أوّل باحثٍ عراقيٍّ درس الأصوات العربية باستخدام الآلة.

٢) تابع الدكتور إدوار يوحنا الدكتور سلمان العاني باستخدام الآلة في دراسة الأصوات العربية، ولكنَّه تميَّز عن الدكتور العاني أنَّه حصل على شهادة ـ قبل شهادَتي الماجستير والدكتوراه ـ الدبلوم العالي في الأجهزة المختبرية الطيفية، وأجهزة الذبذبات الصوتية، فكان أوّل عراقيّ يحصل على شهادة عليا في اختصاص علم الأصوات اللُغويّ المبنيّ على التجارب الفيزيائية والفسلجية والطيفية.

٣) تميَّز الشيخ جلال الحنفي باستعمال مصطلحات صوتية جديدة رأى أنَّها أكثر ملاءمة لعلم التجويد.

٤) غلب على دراسة الدكتور غانم قدّوري الحمد طابع الدرس الصوتيّ القديم، وبدا تأثير الدرس الصوتي عند علماء التجويد واضحاً على دراسته الصوتية.

٥) أفاد الدكتور حسام النعيمي من دراسة جهود ابن جنّي في الاطّلاع على الدرس الصوتي عند القدماء، واستعان بنتائج الدرس الصوتيّ الحديث في دراساته الحديثة.

٦) ثبت عندي بالأدلّة الصوتية أنَّ اللام حرف قمري، وقد تبعت في هذا الشيخ جلال الحنفيّ، وخالفتُ الدكتورة مي الجبوريّ.

٧) أوضحت أنَّ دعوة الدكتور غانم إلى عَدَّ صوت الضاد مع الأصوات النطعية (ط، د، ت)، لا تصمد أمام الأدلّة الصوتية، وبَيَّنت أنَّ أخذ العيّنات الصوتية يجب أن يكون من البيئات المشهورة بالفصاحة، ومنها البيئة العراقية، التي ما زالت تحتفظ بالكثير من الفصاحة العربية في لهجاتها العامّية.

٨) على الرغم من أنَّ السبق كان للباحثين المصريين، إلاّ أنَّ بحوث بعض العراقيين تميّزت بدراسة الصوت باستخدام الآلة فأصبحوا مرجعاً للباحثين العراقيين والعرب.

٩) اختلف المحدثون في مسألة ثبات صوتَي القاف والطاء، أو تحوُّلهما، وقد ذهب الدكتور حسام النعيميّ إلى ثبات هذين الصوتين.

١٠) بَيَّن الدكتور غالب المطّلبي أنَّ لأصوات المدّ في العربية، وظيفة صرفية نحوية، فضلاً عن وظيفتها الصوتية في الوصل بين أصوات الكلمة الواحدة وبين الكلمتين.

❖ ❖ ❖

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد التميمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨م.

٢. أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، د. رشيد عبدالرحمن، (د. ط)، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨م.

٣. إبراز المعاني من حرز الأماني، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق: أحمد بن يوسف القادري، عالم الكتب، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤. أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ط١، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥. إدغام القُرَّاء، أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي الحفيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦. إدوار يوحنا ودراساته في علم الصوت واللُّغة في عقد السبعينات، د. حامد ناصر الظالمي، دار مكتبة البصائر، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

٧. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ)، قراءة وضبط وشرح: د. مُحمّد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨. أسرار العربية، الإمام أبو البركات عبدالرحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد بهجة البيطار، ط٢، دار النبيه، دمشق، ٢٠١١م.

٩. أُسس علم اللُّغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، ط٩، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٠. إصلاح المنطق، ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق: محمّد مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١١. الأصوات العربية بين التحوّل والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة، (د. ط)، ١٩٨٩م.

١٢. الأصوات اللُغويّة، د. إبراهيم أنيس، (د. ط)، مطبعة محمد عبدالكريم حسن، مصر، ١٩٩٩م.

١٣. الأُصول في النحو، أبو بكر محمّد بن سهل بن السرّاج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٤. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبدالله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، بغداد، (د. ت).

١٥. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٢م.

١٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الشيخ الإمام كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن مُحمّد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت٥٧٧هـ)، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تأليف: مُحمّد محيي الدين عبدالحميد، (د. ط)، ١٩٨٢م.

١٧. البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: هاشم الطعان، ط١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

١٨. البحر المحيط في التفسير، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمّد معوض، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٩. البرهان في تجويد القرآن، محمّد صادق قمحاوي، مكتبة أيّوب، (د. ط)، كانو ـ نيجيريا، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠. بغية المستفيد في علم التجويد، الإمام مُحمّد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي الحنبلي (ت١٠٨٣هـ)، اعتنى به رمزي سعد الدين الدمشقي، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١. التجويد وآداب التلاوة، الدكتور داود العطار، ط٢، مركز مؤسّسة البعثة للطباعة والنشر، طهران، ١٤٠٤هـ.

٢٢. التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، (د. ط)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣. التشكيل الصوتي في اللُّغة العربية، فونولوجيا العربية، د. سلمان حسن العاني، ط١، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٤. التطوّر اللُغويّ مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبدالتواب، ط٢، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٥. التطوّر النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩م المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: د. رمضان عبدالتواب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٦. التعريفات، الشريف الجرجاني، عليّ بن محمّد بن عليّ السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨٢٦هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

٢٧. التفكير الصوتي عند الخليل، الدكتور حلمي خليل، دار المعرفة الجامعة، ط١، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٨م.

٢٨. التفكير الصوتي عند علماء العربية في العراق، د. صبيح التميمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ٢٠١٣م.

٢٩. تهذيب اللُّغة، أبو منصور مُحمّد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، حقّقه وقدَّمَ له: عبدالسلام مُحمّد هارون، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣٠. جمال القُرَّاء وكمال الإقراء، أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق وتعليق وعمل الفهارس: د. عبدالكريم الزبيدي، ط١، دار البلاغة، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣١. جمهرة اللُّغة، أبو بكر مُحمّد بن الحسن دريد الأسدي البصري (ت٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.

٣٢. جهد المقل، مُحمّد بن أبي بكر المرعشي الملقّب بساجقلي زاده (ت١١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. سالم قدّوري الحمد، ط٢، دار عمّار، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٣. الحجّة في القراءات السبع، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٤. الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

٣٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، الدكتور مهدي المخزومي، (د. ط)، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٦. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، (د. ط)، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦ م .

٣٧. الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبدالحميد الهادي إبراهيم الأصيبعي، طرابلس، ط١، ١٩٩٢م.

٣٨. الدراسات اللُّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مُحمّد حسين آل ياسين، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٩. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، د. حسام سعيد النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، (د. ط)، ١٩٨٠م.

٤٠. دراسة الصوت اللُغويّ، د. أحمد مختار عمر، ط٤، عالم الكتب، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

٤١. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، نشريّات مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦ م.

٤٢. رسالة أسباب حدوث الحرف، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا (ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسّان الطيان ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة: د. شاكر الفحام والأُستاذ أحمد راتب النفاخ، (د. ط)، مطبوعة مجمع اللُّغة العربية بدمشق، (د. ت).

٤٣. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها، أبو محمد علي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، ط١، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، ٢٠٠٩م.

٤٤. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ)، عارضه بأُصوله وعلَّق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٥. سرُّ الفصاحة، الأمير أبو مُحمّد عبد الله بن مُحمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٦. سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: مُحمّد حسن مُحمّد حسن إسماعيل، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤٧. سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، الإمام أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن، المعروف بابن القاصح العذري البغدادي

(ت٨٠١هـ)، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته: محمد عبدالقادر شاهين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٨. شرح الأُشمُوني على ألفية ابن مالك، علي بن محمّد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤٩. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين محمّد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: مُحمّد عبدالقادر عطا وطارق فتحي السيد، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥٠. شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين مُحمّد بن الحسن الأستراباذي (٦٨٨هـ)، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبدالقادر البغدادي صاحب (خزانة الأدب)، تحقيق: الأُستاذ مُحمّد نور الحسن، ومُحمّد الزفزاف، ومُحمّد محيي الدين عبدالحميد، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥١. شرح المفصّل، موفّق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي أبو البقاء الأسدي الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدّم له: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.

٥٢. شرح المقدّمة الجزرية، د. غانم قدّوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدّة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٣. شرح الملوكي في التصريف، موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٢، دار الأوعازي، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٤. شعراء الغري أو النجفيّات، عليّ الخاقاني، (د. ط)، مطبعة بهمن، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ـ إيران، ١٤٠٨هـ.

٥٥. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (د. ط)، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر، (د. ت).

٥٦. العربية الفصحى، هنري فلش، ترجمة: د. عبدالصبور شاهين، ط٢، دار الشروق، بيروت ، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٦م.

٥٧. علم الأصوات العامّ، بسّام بركة، (د. ط)، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

٥٨. علم الأصوات اللُّغوية، د. مناف مهدي الموسوي، ط١، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٥٩. علم التجويد دراسة صوتية ميسّرة، د. غانم قدّوري الحمد، ط١، مطبعة أسعد، بغداد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٠. علم اللُّغة العامّ (الأصوات)، الدكتور كمال مُحمّد بشر، (د. ط)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥.

٦١. علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي، محمود السعران، (د. ط)، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

٦٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (د. ط)، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

٦٣. غنية الطالبين ومنية الراغبين، محمد بن القاسم البقري (ت١١١١هـ)، مخطوط بمكتبة المتحف ببغداد، (الرقم ١٢٩٧).

٦٤. فقه اللُّغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة: رمضان عبد التواب، (د. ط)، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٦٥. في الأصوات اللُّغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، غالب فاضل المطّلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، سلسلة دراسات (٣٦٤)، (د. ط)، ١٩٨٤م.

٦٦. في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، (د. ط)، دار الجاحظ للنشر بغداد، ١٩٨٣.

٦٧. في علم اللُّغة، الدكتور غالب المطّلبي، دار الشؤون الثقافية العامّة، (د. ط)، بغداد، ١٩٨٦م.

٦٨. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، د. مي فاضل الجبوري، ط١، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ٢٠٠٠م.

٦٩. قراءة الكسائي من القراءات العشر المتواترة، أحمد محمود عبدالسميع الشافعي الحفيان، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٧٠. قواعد التجويد والإلقاء الصوتي، الشيخ جلال الحنفي البغدادي، (د. ط)، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧١. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

٧٢. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، مطبعة بولاق، مصر، ١٣١٧هـ.

٧٣. كتاب التوحيد والأدلة والتدبير المروي عن المفضّل بن عمر عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، تقديم: جميل إبراهيم حبيب، دار التربية للطباعة والنشر، (د. ط)، بغداد، ١٩٨٩م.

٧٤. كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، مصر ، (د. ت).

٧٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو مُحمّد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، (د، ط)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٧٦. لسان العرب، جمال الدين مُحمّد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (٧١١هـ)، حقّقه وعلّق عليه: عامر أحمد حيدر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٧. اللُّغة والمجتمع، الدكتور علي عبدالواحد وافي، ط٤ للكتاب والأولى للناشر، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدّة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧٨. اللغة: ج. فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القفاص، (د. ط)، لجنة البيان العربي، مصر، (د. ت).

٧٩. ما ذكر الكوفيون من الإدغام، أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ)، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه: د. صبيح التميمي، دار البيان العربي، ط١، جدّة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨٠. المبهج في القراءات السبع المتمّمة بابن محيصن والأعمش وخلف، سبط الخياط عبدالله بن عليّ بن أحمد بن عبدالله البغدادي (ت٥٤١هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨١. متن الشاطبية، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الأندلسي (ت٥٩٠هـ)، ط٢، دار السلام، مصر ـ القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، (د. ط)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٨٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنّي، دراسة وتحقيق: مُحمّد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٨٤. المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، عُنِيَ بتحقيقه: الدكتور عزّة حسن، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، دار الفكر، دمشق ـ سوريا ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨٥. المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدّوري الحمد، (د، ط)، مطبعة المجمع العلمي العربي، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨٦. المدخل الى علم العربية ومناهج البحث اللُّغوي، د. رمضان عبدالتواب، (د. ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٨٧. مدخل إلى نحو اللُّغات السامية المقارن، سباتينو موسكاتي وانطوان شبتلر وإدفار أولندورف وفلرام فون زورن، ترجمه وقدّم له: د. مهدي المخزومي، ود. عبدالجبار المطّلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨٨. مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ، ابن الطحّان السماتي (ت٥٦١هـ)، تحقيق: حاتم الضامن، ط١، مكتبة التابعين، القاهرة، مكتبة الصحابة، الشارقة، ٢٠٠٧م.

٨٩. مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين، ناصر الدين محمد بن سالم المصري المعروف بالناصر الطبلاوي (ت٩٦٦هـ)، تحقيق: محيي هلال السرحان، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩٠. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبدالعزيز الصيغ، (د. ط)، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

٩١. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، ط٣، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٢. المعجم الوسيط، قام بإخراجه: (إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيّات وحامد عبد القادر، ومحمّد علي النجار)، المكتبة الإسلامية، استانبول ـ تركيا، (د. ط)، (د. ت).

٩٣. معجم علم اللُّغة النظري، مُحمّد عليّ الخولي، (د. ط)، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٩م.

٩٤. المفصّل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩٥. المفيد في شرح عمدة المجيد، الإمام حسن بن قاسم النحوي، تحقيق: جمال السيد الرفاعي، صحّحه وقدّم له: الشيخ محمود حافظ برانق ود. حامد خير الله، (د. ط)، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، ٢٠٠١م.

٩٦. المقتضب، أبو العبّاس مُحمّد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٩٧. مناهج البحث في اللُّغة، الدكتور تمّام حسان، مكتبة الأنجلو مصرية، (د. ط)، ١٩٩٠م.

٩٨. المنح الفكرية، ملا عليّ القاضي، تحقيق: أُسامة عطايا، مراجعة: الأُستاذ الدكتور أحمد شكري، ط٢، دار الغوثان للدراسات القرآنية، دمشق ـ سوريا، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٩٩. المنصف، شرح أبي الفتح عثمان بن جنّي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني البصري (ت٢٤٧هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٠. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم بن القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).

١٠١. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، ط١، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٢. مهدي المخزومي وجهوده النحوية، د. رياض السواد، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان ـ الأردن، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٠٣. الموضح في التجويد، عبدالوهّاب بن محمد القرطبي (ت٤٦١هـ)، تحقيق: غانم قدّوري الحمد، ط١، دار عمّار، عمان ـ الأردن ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٠٤. النشر في القراءات العشر، أبو الخير مُحمّد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)، قدَّمَ له: علي محمد الضباع، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١٠٥. هداية المستفيد في أحكام التجويد، محمود الحامد المشهور بأبي ريمة، دار العلوم الحديثة، (د. ط)، بيروت ـ لبنان، (د. ت).

١٠٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠٧. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبدالفتّاح القاضي، ط٥، مكتبة السوادي للتوزيع، جدّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٨. الوجيز في فقه اللُّغة، مُحمّد الأنطاكي، ط٣، دار الشرق، (د، ت).

الرسائل والأطاريح

١٠٩. البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدّوري الحمد، رسالة ماجستير، علي جواد كاظم الحسيني، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

١١٠. خليل إبراهيم العطية وجهوده في اللُّغة والتحقيق، رسالة ماجستير، ماهر خضير هاشم، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠٠٦م.

١١١. روح المريد في شرح العقد الفريد في نظم التجويد، تحقيق المخطوط ودراسة لمنهج الشارح، رسالة ماجستير، إبراهيم عواد إبراهيم، الجامعة العراقية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١١٢. الصوتيّات الوظيفية في دراسات المحدثين العرب، أُطروحة دكتوراه، سارة حمد عزام الزبيدي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

البحوث المنشورة

١١٣. بغية المرتاد لتصحيح الضاد، تحقيق: د. محمد جبار المعيبد، مجلّة المورد، مج١٨، ع٢، بغداد، ١٩٨٩م.

١١٤. الدرس الصوتي عند العرب، الدكتور مُحمّد حسّان الطيان، محاضرة أُلقيَت في دورة (من روائع البيان القرآني)، دمشق، جامع العثمان بدمشق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٥. الدرّ المرصوف في وصف مخارج الحروف، أبو المعالي بن أبي الفرج فخر الدين الموصلي (ت٦٢١هـ)، تحقيق: د. غانم قدّوري الحمد، مجلّة الحكمة، جمادى الثانية، ١٤٢٣هـ، العدد ٢٥.

١١٦. علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، للمستشرق الألماني أرتو شاده (١٨٨٣-١٩٥٢م)، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة: أ. د. صبيح حمود التميمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل/ كلية الآداب، آداب الرافدين، العدد ٥٨، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١٠م.

١١٧. الفكر الصوتي عند الإمام جعفر بن مُحمّد الصادق (عليه السلام)، د. حسن عبدالغني الأسدي، مجلّة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العدد السادس، ٢٠١٣م/ ١٤٣٤هـ.

❖ ❖ ❖

Republic of Iraq

The Ministry of Higher Education and Scientific Research

Baghdad University College of Arts

Department of Arabic Language

PHONETIC LESSON BY IRAQI RESEARCHERS IN THE SECOND HALF OF THE TWENTIETH CENTURY, IN THEIR PRINTED BOOKS

A DISSERTATION
SUBMITTED TO THE COUNCIL OF THE
COLLEGE OF ARTS / UNIVERSITY OF BAGHDAD/
IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE
DEGREE OF MASTER OF ARTS IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

BY

MAJID ABDUL-HUSSEIN ABBAS AJ-JOBOORI

SUPERVISED BY

ASST. PROF. LUMA FA'IQ AL-AANIAL, PH.D

2017 A. D. 1438 A. H

ABSTRACT

All praise due to Allah, Allah's prayer and peace be upon our prophet Mohammed, his family and his selected companions.

The study of Arabic sounds is undoubtedly of great importance. It correlates with the study of Quranic sound. The nation's old and modern scholars have always orally taught their students articulation of Arabic sounds and their features, since they are interested in preserving the sounds of the Glorious Quran.

Old scholars not only were not content in just oral practice, they wrote linguistic books that describe sounds articulation, their features and phonetic phenomena, as sounds are so close to each others.

Iraqi Quranic schools were resources for the scientists of intonation, whether in lessons or writing. Ibn Mujahid's "Kitab As-sabaa", (the book of seven) issued in (327 A.H.), became the source for every follower, among who is the scholar of Andalusia Abu Amro al-Dani (555A.H) who issued a book entitled "At-Tayseer fil Kitabat As-Sabaa" (Facilitating the Seven Readings).

Trusting in Allah and consulting my professors in the Department of Arabic, I decided to entitle my dissertation (Iraqi Researchers' Phonetic Lesson during 2nd Half of 20th Century).

After collecting and studying the researchers' books, I divided my research into three chapters, preceded by an introduction and followed by a conclusion. I added an appendix concerning a bibliography of the

researchers whose books were studied ordered according to the years of birth of each one.

In the introduction I briefed Arabic phonetic lesson. Chapter one dealt with the study of sounds articulation and their features. In chapter two I discussed phonetic phenomena on the level of vocalization. As for chapter three, it was a study of Arabic vowel sounds.

The study arrived at a conclusion in which I mentioned the outcomes which the study arrived at, followed by the resources and finally an abstract in English.

I have to thoroughly thank each and every scholar I mentioned in the study, without the works of whom this study couldn't be done.

At the end I have to thank my supervisor Dr. Luma Fa'iq Al-Aani who offered me a valuable advice and many instructions.

I would thank Allah, the Almighty, and ask for His prayers and peace upon His prophets and messengers.